الشعراء العشاق في العصر الجاهلي

وصدر الاسلام

دراســـة موضوعيـــة وفنيـــة

رسالة تقدمت بها

زهراء هادي سلطان مهدي الخفاجي

إلى مجلس كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد إسماعيل محمد النعيمي

جمادى الأولى 1423هـ — تموز 2003م

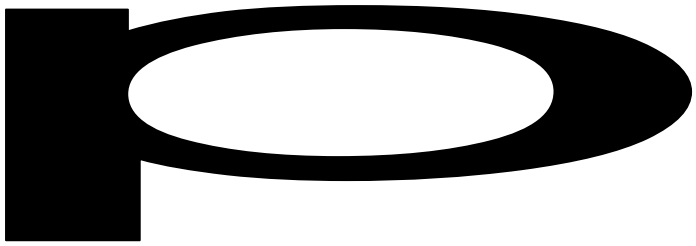

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

صدق الله العظيم

(النساء: الآية 1)

توصية لجنة المناقشة

نشهد إننا أعضاء لجنة التقويم والمناقشة، اطلعنا على الرسالة الموسومة: بـ(الشعراء العشاق في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام) وقد ناقشنا الطالبة (زهراء هادي سلطان مهدي) في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، وتقرر بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير (جيد جدا).

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. زكي ذاكر فجر العاني
رئيساً

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. أنعام داود سلوم
عضواً

التوقيع:
الاسم: أ.م.د. علاء جاسم جابر
عضواً

التوقيع:
الاسم: أ.د. احمد إسماعيل النعيمي
عضوا ومشرفا

تصديق مجلس الكلية

صدق مجلس كلية التربية للبنات في جامعة بغداد قرار لجنة المناقشة.

ناظم رشيد شيخو
عميد كلية التربية للبنات
جامعة بغداد
/ / 2003

توصية المشرف

اشهد ان إعداد هذه الرسالة جرى تحت إشرافي في كلية التربية للبنات بجامعة بغداد - قسم اللغة العربية - وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع

أ.د. احمد اسماعيل محمد النعيمي

(المشرف)

/ / 2003

بناء على هذه التوصية المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

الدكتور

حسن منديل العكيلي

رئيس لجنة الدراسات العليا

في قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

/ /2003

الإهداء

إلى متكأ الحزم وبارق العزم

إلى من ضحى بروحه لحماية تراب الوطن الغالي

إلى قدوتي في الحياة ... والدي رحمه الله

إلى من حملتني وهناً على وهن

وسهرت علي أياماً طوالاً

إلى من بدعائها فتحت لي أبواب السماء ... والدتي الغالية

إلى طيف الذكرى الخالدة في الأذهان

إلى فيض الرأفة والحنان ... جدي

إلى ركني الوثيقين وصنوي الرقيقين

إلى ملامح طفولتنا وعنفوان شبابنا ... أخي وأختي

الخلاصة

ان هذه الرسالة تهتم بدراسة طائفة من الشعراء الذين عرفوا بالعشق واطلق عليهم القدماء من رواة واصحاب كتب التراجم بانهم من عشاق العرب بوصفهم ابطال قصص الحب، ومن هذا المنطلق اثرنا ان نميز اولئك الشعراء على وفق تلك الصفة التي نعتوا او اشتهروا بها وقد جاءت الرسالة في ثلاثة فصول وكل فصل يحتوي على عدد من المباحث، محاولين ان نودع تطلعاتنا في خطة مرتكزة على مناهج بعينها منها، التاريخي والفني والنفسي ونتلمس معطياتها في الاتي:

ولوج مفهوم العشق ودلالاته ومعانيه، كونه في الاصل عنوان دراستنا من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية وانتهاء بدوافعه وبواعثه وهذا ما تضمنه التمهيد.

وجاء الفصل الاول موضحا ومستقصيا اسماء الشعراء العشاق وقصصهم.اما الفصل الثاني فقد تمحور في عرض معاناة اولئك الشعراء العشاق من خلال رصد خطاباتهم الشعرية المتمثلة بمكابدات الشاعر العاشق وقد يتضمن خمسة مباحث.

اما محصلة النتائج التي توصلنا اليها من خلال هذه الرسالة فهي التعرف على مفهوم العشق من خلال معناه اللغوي والاصطلاحي وتبين لنا ان للعشق مراتب ومترادفات وذلك ما افضى الى اختيار اسماء كثيرة له واختلاف البواعث المؤدية الى العشق فمنهم ارجعها الى بواعث داخلية واخرون عزوها الى بواعث خارجية.

ونلاحظ ايضا اتصاف قصص العشاق بمجموعة من السمات والملامح المشتركة التي تكاد تتشابه في العموم وتختلف في الخصوص من خلال نهايات تلك القصص وما يعانيه الشاعر من مصاعب الالم.

واكدت الرسالة على ابعاد المعاناة التي كان يكابدها الشاعر العاشق ازاء من يحب فضلا عن رقة وجدانهم وخصوبة خيالهم. وهذا كله راجع الى وقع الظلم الذي كان يلحق بالشاعر العاشق. ولقد عمد الشاعر العاشق على استقاء افكاره وصوره واخيلته من الطبيعة المحيطة به محاولا ان يبث تلك البيئة والطبيعة وما تحتويه من الوان وصور زاهية فش اشعاره فتراه يعبر من خلال تلك الطبيعة عن حزنه والمه تارة وعن فرحه وسروره تارة اخرى.

ولقد لجأ بعض الشعراء الى الاسلوب القصصي القائم على السرد والحوار في نقل مضامين وافكار تجاربهم، وذكر ما دار في لقاءتهم من احاديث وحوارات وذلك لكون الاسلوب القصصي يعد مجالا متاحا امام الشاعر العاشق لسرد حكاياته وختاما نود القول ان هذه الرسالة عالجت العشق الذي ينبئ عن سمو العاطفة وصفاء النفس للشعراء الذين حلقوا في سماء الخيال الرفيع والوجدان الحي.

المحتويـــات

	الصفحة
المقدمـــة	أ – د
التمهيـــد **العشق .. مفهومه ومراتبه ودوافعه**	1 – 19
توطئـة	1
العشق لغة	2 – 4
مراتب العشق.. ومرادفاته	5 – 12
العشق.. عاطفة إنسانية ودوافعه	12 – 19
الفصـــل الأول **الشعراء العشاق وقصصهم قبل الإسلام**	20 – 61
توطئـة	21 – 26
مضاض الجرهمي ومي	27 – 31
ابو نصر البراق وليلى العفيفة	32 – 33
امرؤ القيس وفاطمة (عنيزة)	34 – 37
خزيمة بن نهد وفاطمة	38 – 39
المرقش الأكبر وأسماء	40 – 42
المرقش الأصغر وفاطمة	43 – 44
عبد الله بن العجلان وهند	45 – 47

	الصفحة
عنترة بن شداد وعبلة	48 – 50
بشر بن عوانة وفاطمة	51 – 52
قيس بن الحدادية وأم مالك (نعمى)	53 – 54
عبد الله بن علقمة وحبيشة	55 – 57
عروة بن حزام وعفراء	58 – 61
الفصل الثاني **مكابدات الشاعر العاشق.. أسبابها ومعطياتها**	62 – 120
توطئـة	63 – 65
المبحث الأول ((بكاء الأطلال))	66 – 81
المبحث الثاني ((الألم والتحسر))	82 – 95
المبحث الثالث ((الغربة والضياع))	96 – 103
المبحث الرابع ((الإقدام والتحدي))	104 – 111
المبحث الخامس ((الأمل والتفاؤل))	112 – 120
الفصل الثالث **التشكيل الفني في خطابات الشعراء العشاق**	121 – 188
توطئـة	122
المبحث الأول ((الخصائص اللفظية والمعنوية))	123 – 137
المبحث الثاني ((السرد والحوار))	138 – 153

	الصفحة
المبحث الثالث ((الصورة الفنية))	174 – 154
المبحث الرابع ((الغلو والمبالغة))	188 – 175
الخاتمـــــة	197 – 189
المصـــــادر	215 – 198
الخلاصــة بالإنجليــزية	A

الاستـــدراكات

الخطأ	الصواب	الصفحة
فأن	فأنت	27
مهل	مهليل	28
الكيت	الكيد	33
ان	أبن	34
انقطع	أن قطع	43
قد عنترة	قد حصل عنترة	49
أوقت	أوقعت	60
لابد	بدا	75
الشاعر يقتصر	الشاعر لم يقتصر	86
المهم	آلامهم	90
ليطوا	ليعطوا	116
خيم وسيبثأ	ضيم وسيثئر	144
إليه ضعف	إليه من ضعف	145
العشاق إن امثل	العشاق وجدنا إن امثل	163

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين على ما أعان ووفق وسدد وله الشكر والثناء الحسن الجميل والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي المختار محمد المصطفى (ﷺ) ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد:

لقد دأب الباحثون على دراسة الشعر الجاهلي وشعرائه من زوايا رصد متباينة ،منها التي أفردت لدراسة خطابات الشعراء المؤثرة استقصاءهم ضمن طوائف او مجموعات بعينها، فبعضهم صنفهم نسبة إلى العصور التي عاشوا في غضونها او الأماكن التي نشؤوا في ربوعها. ففرقوا بين شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين أو صنفوهم بحسب الأغراض التي تناولها الشعراء في أشعارهم فدعوهم بالغزليين والهجائين والمداحين وأمثالهم أو عمدوا إلى تصنيفهم في طبقات على وفق درجات الإجادة في شعرهم.

ومن هذه الطوائف أو المجموعات التي عنى بها الباحثون قراءة ودراسة وشرحا وتحليلا من الناحيتين الموضوعية والفنية طوائف الشعراء الصعاليك والأغربة والفرسان ووصافو الخيل وغيرهم كثير وقد شجعنا ذلك على رصد طائفة من الشعراء تمحورت حول ظاهرة العشق الذين نعتهم القدماء بهذه الصفة حيث صنف الرواة وأصحاب كتب التراجم بعض شعراء الجاهلية بأنهم من عشاق العرب بوصفهم أبطال قصص الحب، فمن المعلوم ان العشق وقصص العاشقين موضوع عرفته المجتمعات الإنسانية وسطرته آداب الأمم في كل زمان ومكان وما يزال الناس يتحدثون عنه نثرا ونظما منذ اقدم العصور إلى يومنا هذا.

ولقد حاول أصحاب البيان والأدب أن يعرضوا لهذه الظاهرة أي ظاهرة العشق كونها ظاهرة اجتماعية او عاطفة إنسانية من خلال أفراد أبواب وفصول او ان يجعلوا كتبا بكاملها تتحدث وتصنف أصحابها وتعلل ما كابدوه وبعضها في

حقيقتها دراسات اجتماعية ونفسية تحلل وتفسر السلوك البشري وتظهر نوازعه وما كان يحس به الفرد إزاء من يعشق.

ومن هذا المنطلق آثرنا ان نميز أولئك الشعراء على وفق تلك الصفة التي نعتوا أو اشتهروا بها وقد بلغ عددهم أثني عشر شاعرا، وقد أخذنا في الحسبان الشعراء الذين عاشوا قبل الإسلام ومن الذين امتد بهم العمر إلى أوائل العصر الإسلامي إيمانا منا ان هؤلاء الشعراء تجمعهم ملامح مشتركة في البعدين الفكري والفني فضلا عن معجمهم الشعري الذي يكاد يكون متقاربا بوصفه وسيلتهم في التعبير عن مكنون عواطفهم اخذين في الحسبان ان بعض الدراسات تطرقت إليهم بهذا القدر او ذاك في معرض تناولهم غرض الغزل لكن تلك الدراسات لم تؤطرهم في مجموعة واحدة مشتركة وهو ما كان هدف هذه الدراسة التي نأمل ان نقدم من خلالها ما يغني المكتبة العربية او يسد فراغا فيها.

وتجدر الإشارة إلى ان العشق الذي نتحدث عنه في هذه الدراسة سما ان يكون استهلاكا جسديا فكان انصهارا روحيا أودع في خطابات شعرية حققت المتعة والفائدة والاستجابة والتأثير في نفس المتلقي فالبحث يقدم تحليلا لهذه العاطفة الرقيقة من حيث بواعث العشق ومظاهره ومعانيه ونوازعه، ويكشف عما كان يختلج في نفوس أولئك الشعراء من مشاعر شوق وحنين، ولقاء وفراق، وحيرة واستقرار، ويقدم البحث أبدع ما هتف به خاطر الشاعر العربي قبل الإسلام تحديدا، مع إضاءة لأمتع قصص الشعراء العشاق في سرد لطيف وبيان رائع فهي قصص تجلي الحب النبيل الصادق ومظاهر الألم والمعاناة والوفاء.

وبما ان العاطفة والحس المرهف هما من أهم بواعث الشعر ولا سيما اقترانهما بالمرأة لذلك جاء شعرهم متصلا بها بوصفها مصدر الهام الشاعر ومرتكز حديثهم ونبض وجودهم.

وقد آثرنا ان نودع تطلعاتنا في خطة مرتكزة على مناهج بعينها منها التاريخي والفني والنفسي ونتلمس معطياتها في الآتي:

وجدنا من المستحسن ان نلج أولا مفهوم العشق أو دلالاته أو معانيه، كونه في الأصل عنوان دراستنا ((الشعراء العشاق في العصر الجاهلي وصدر الإسلام))

مـن النـاحيتين اللغويـة والاصـطلاحية وانتهـاء بدوافعـه وبواعثـه، وهـذا مـا تضـمنه (التمهيد) في هذه الدراسة.

أمـا (الفصـل الأول) فقد عنـي باستقصـاء أسماء الشـعراء العشـاق وقصصـهم ومن اتصف بالعشق منهم ، وللتعرف على ما دار فيها من أحداث ووقائع تسوغ نظم الخطابات الشعرية المعبرة عن هذه العاطفة الإنسانية، من غير التعرض إلى السرد الممل للأحداث والتفاصيل المبالغ فيها.

وبعد مـا أصـبحت لـدينا رؤيـة واضـحة لمعـالم قصـص هؤلاء العشـاق وجـب التعـرف علـى معانـاتهم مـن خـلال رصـد خطابـاتهم الشـعرية وهـذا هـو محـور دراسـة (الفصل الثاني) المتمثل بمكابدات الشاعر العاشق، أسبابها ومعطياتها حيث تم رصد أسباب تلك المعاناة ثم إظهارها من خلال شعرهم وقد توزعت على المحاور الآتية:

البكاء على الأطلال، الألم والتحسر، الغربة والضياع، الإقدام والتحدي الأمل والتفاؤل.

ثم عرجنا على تحليل تلك المعاناة من الوجهة الفنية وهذا ما رصده (الفصل الثالث) تحت عنوان التشكيل الفني في خطابات الشعراء العشاق.

فالدراسة تحاول ان لا تقتصر على الجانب الموضوعي فقط بل الولوج إلى عالم الإبداع والجمال الفني في خطابات العشاق وقد تمحور هذا الفصل في المباحث التالية:

الخصائص اللفظية والمعنوية، السرد والحوار، الصورة الفنية، الغلو والمبالغة.

وفي ختام هذه الدراسة أشرت إلى ابرز نتائج البحث المتحققة. وتجدر الإشارة إلـى إننـا قـد اعتمدنا فـي إعداد هذه الرسـالة علـى طائفـة وافيـة مـن الـدواوين الشـعرية المحققة تحقيقا علميا فضـلا عن المظـان الأدبيـة والتاريخيـة والمعجمـات العربيـة إلـى جانب الدراسات الحديثة المعنية بهذا الموضوع بشكل مباشر او غير مباشر.

وقد حرصنا على توثيق كل نص او رأي إلى المصدر المستقى منه من اجل الأمانة العلمية وللجهد الذي تطلبته.

راجين من ذلك كله ان نظفر باجري المجتهد المصيب ولا نحرم من اجر المجتهد المخطئ – دون قصد.

وختاما أتقدم بجزيل الشكر وفائق تقديري وعظيم امتناني إلى الأستاذ الفاضل الدكتور - احمد إسماعيل النعيمي - الذي أعزو إليه كل الفضل في اختيار هذا الموضوع للدراسة، وإشرافه على إعدادها - الذي لم يبخل بالنصيحة والمشورة علي من بدئها حتى الفراغ منها، فضلا عن ملاحظاته التي أغنت البحث عمقا وتوجيها.

واسأل الله تعالى ان يمن عليه بالصحة والسلامة وجزاه الله عنى خير الجزاء. وأتقدم بوافر الاحترام والامتنان لأساتذة قسم اللغة العربية كافة.. على دعمهم المتواصل لطلبة الدراسات العليا بخاصة، وتشجيعهم على تحقيق رغباتهم في التحصيل العلمي واوجه فائق الامتنان.. والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل في لجنة المناقشة لتجشمهم عناء قراءة هذه الرسالة متضرعة إلى الله العلي القدير ان يحظى هذا البحث بحسن ظنهم..

وأخيرا اسأل الله التوفيق والسداد والله من وراء القصد. وهو نعم المولى ونعم النصير.

الباحثة

التمهيد

العشق.. مفهومه ومراتبه ودوافعه

- توطئة.
- العشق لغة.
- مراتب العشق.. ومرادفاته.
- العشق.. عاطفة إنسانية ودوافعه.

توطئـــة:

لابد لمن يرغب في التصدي لموضوع بعينه أن يلج أولا مفهومه أو دلالاته أو معانيه.. ولا سيما إذا كان قد تمحور في مصطلح بعينه .. ولما كان موضوع دراستنا الشعراء العشاق في عصر ما قبل الإسلام فمن الطبيعي ان نبدأ بالكشف عن دلالة هذا المصطلح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية مرورا بمرادفاته وانتهاءً بدوافعه.. إذ ان ما يتمخض عن ذلك الكشف مسوغ لدراسة من اتصف بالعشق من الشعراء من جهة أو من نعت به من جهة أخرى..

العشق لغـة:

لقد أمدتنا المعجمات العربية تحت مادة (عشق) ما يفيد ان العِشقَ من عَشَقها عِشَقاً والاسم العِشق' ، وفلان عَشِيقُ فَلانةَ ، وفلانةُ عَشِيقتهُ ، وهو عَشِاقٌ وعَشَاشِيقُ فلانةُ.[1]

وقيل : العَشَق' والعَسَق' بالشين والسين اللزوم للشيء لا يفارقه ولذلك قيل للكليف عَاشقٌ للزومه هواهُ والمَعشقَ والعِشق' واجد.[2] قال الاعشى:

أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرّقُ وما بي من سقمٍ وما بي مَعشَقٌ[3]

والعِشقُ فرط الحبّ. وقد عِشقَه' عِشقاً مثال عَلمهَ عِلماً وعِشَقاً ورجلُ عِشيقُ، مثال فِسَّيقٍ ، أي كثير العَشقِ، عن يعقوب: والتِّعشقُ : تكلُّفُ العَشقِ ، قال الفراء: يقولون امرأةٌ محبٌّ لزوجها وعاشقٌ[4]. والعين والشين والقاف اصل صحيح يدل على تجاوز حد المحبة، ويقال المرأة عاشق بغير هاء ورجل عاشق. حملوه على قولهم رجل بادن وامرأة بادن [5]. وكل محبوبٌ معشوقٌ ، واشتقاق العِشقِ من العَشقةَ وهي

---

[1] معجم العين ، للفراهيدي ، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي: (عشق): 124/1، وانظر جمهرة اللغة ،ابن دريد: (عشق): 60/3.

[2] تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : (عشق): 170/1.

[3] ديوان الاعشى، تحقيق محمد محمد حسين : ق217/33.

[4] الصحاح، للجوهري، تحقيق احمد عبد الغفور عطار : (عشق): 1525/4.

[5] معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون: (عشق):321/4.

اللبَّلابُ، واحدتها عَشقةٌ لانه يلتوي على الشّجرَ ويلزمهُ[1]. وقيل العِشقُ هو عُجبُ المحُبّ بالمحبوبِ يكون في عَفَافِ الحُبُّ ودعارته، وقيل : العِشقُ الاسم والعَشَقُ المصدر. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن الحُبِّ والعِشقِ: أيّهما أحمد ؟ فقال: الحُبُّ لأن العِشقَ فيه إفراطٌ وسمي العَاشِقُ عَاشِقاً لأنه يَذبُلُ من شدة الهوى كما تذبُلُ العَشَقَةُ إذا قطعت، والعَشَقَةُ شَجرةُ تَخضَرُّ ثم تَدِقُ وتَصفَرُّ، عن الزجاج وزعم ان اشتقاق العَاشِقُ منهُ[2]. وفي الأساس اشتقاق العِشقُ من العَشِيقُ وقيل في العِشقِ انه لا يختص بنوع الانسان بل سار في جميع الموجودات من الفلكية والعنصريات والنباتات والمعدنيات والحيوانات وانه لا يدرك معناه ولا يطلع عليه والتعبير عنه يزيده خفاء وهو كالحسن لا يدرك ولا يمكن التعبير عنه وكالوزن في الشعر وغير ذلك مما يحال فيه على الأذواق السليمة والطباع المستقيمة[3]. وقيل ان العشق ((هو أمر هذه الأسماء واخبأها وقل ما ولعت به العرب ، وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يفصحوا به ، ولا تكاد تجده في شعرهم القديم ، وإنما أولع به المتأخرون))[4].

قال عنترة:

شَطَّتْ مزارَ العاشقينَ فَأَصَبَحتْ عَسِراً على طِلابكِ ابنَةَ مَخْرَمِ [5]

وعليه نخلص الى حقيقة مهمة هي ان العشق هو أعلى درجات المحبة، وإذا صح ان تجاوز المقدار في الحب فذلك ينم عن سعادة فان العشق بمعنى الحب المفرط يكون المعنى الوحيد السعيد لهذه الكلمة الذائعة في الشعر والأدب، وذلك ما أكده بعض الباحثين[6]. وان مجمل مستويات المحبة مندرجة فيه مثل الشوق والوجد والغرام لأنه يشتمل على جميعها لذلك يقول الجاحظ (ت 255هـ) ((ليس كل حب

---

[1] اساس البلاغة ، للزمخشري : (عشق): 421.

[2] لسان العرب ، ابن منظور: (عشق): 251 ، وانظر القاموس المحيط ، فيروز آبادي : (عشق): 265.

[3] تاج العروس في جواهر القاموس، للزبيدي: (عشق) : 13/7.

[4] روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن قيم الجوزية : 27.

[5] ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي : ق186/1.

[6] انظر الحب في التراث العربي، محمد حسن عبد الله : 156.

يسمى عشقا، وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار))[1]. وعليه فان العشق هو ((أقوى غريزة تختلج بها لبنة الإنسانية وهو لم يخلق للذة العاشقين فحسب ولكنه خلق لبقاء النوع واستدامة الحياة))[2]. وذلك ما افصح عنه بعض الشعراء ، قال عبد الله بن علقمة:

ألم يكُ حقاً أن يَنولَ عَاشِـقٌ تكلفُ أدلاج السرى والودائـقِ[3]

وقال آخر:

لا خيرَ في الدّنيا ولا في نَعْيِمها وأنتَ وحيدٌ غيرُ عَاشِـق[4]

وقال آخر:

وما تَلِفتْ إلا من العِشقِ مُهجَتِي وهل طَابَ عِيشٌ لامرئ غير عَاشِق[5]

---

[1] رسائل الجاحظ ، جمعها حسن السندوبي : 266.

[2] القصة في مقدمة القصيدة العربية في العصرين الجاهلي والاسلامي ، علي جابر المنصوري : 7.

[3] ذم الهوى ، ابن الجوزي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد : 496.

[4] روضة المحبين : 175.

[5] المصدر نفسه: 176.

مراتب العشق ومرادفاته:

لقد اهتمت العديد من الدراسات العربية القديمة والحديثة بتحديد مراتب العشق ومرادفاته ، حتى أفضى ذلك الى اختيار أسماء كثيرة له ، اختصرها بعضهم في سبعة أو ثمانية وارتفع بها آخرون إلى خمسين أو ستين اسماً، وفي كلتا الحالتين غدت هذه الأسماء مستغرقة مختلف أطوار مسميات تلك العاطفة الإنسانية وما يعتريها من مشاعر نفسية واضطرابات سلوكية بشكل عام. ويرى بعضهم ان في تلك المسميات ترادفا وقد عزي إلى ((ان الفهم لهذا المسمى اشد، وهو اعلق بقلوبهم، كانت أسماؤه لديهم اكثر . وهذه عادتهم في كل ما اشتد الفهم له، أو كثر خطورة على قلوبهم ، تعظيما له ، أو اهتماما به، أو محبة له))[1].

ومعنى هذا ان الإنسان كلما ازداد اهتمامه بشيء وضع له مسميات كثيرة كانت قريبة أو بعيدة عنه لذلك نرى ان قضية الترادف من عدمه تأخذ حيزا واسعا لدى بعضهم فهناك أسماء دالة على مسمى واحد من خلال جعل ، ان أحدهما يدل عليه باعتبار الذات فقط ، فهذا النوع هو الترادف المحض ، نظير الاسم والكنية واللقب ، والنوع الثاني ان يدل على ذات واحدة على أساس تباين صفاتها كأسماء الرب تعالى فهذا النوع مترادف بالنسبة إلى الذات ، متباين بالنسبة إلى الصفات، فالرب والعزيز والقدير والملك يدل على ذات واحدة كونها صفات متعددة.[2]

ويعلل أحد الباحثين المحدثين ان الترادف ناتج عن اهتمام الدراسات العربية ((بالكلمات ذات الطابع الوصفي ، التي تدل على حالة أو درجة من حالات الحب أو درجاته ، وراح بعض تلك الدراسات يتقصى الدلالة المعجمية ويحاول جاهدا ان يربط بينها وبين الدلالة الاصطلاحية التي اكتسبتها الكلمة من دورانها مع قرائن ملازمة واستعمالها استعمالا خاصا))[3].ولكن آخرين رفضوا فكرة الترادف في اللغة لأنه((ما من اسمين لمسمى واحد إلا وبينهما فرق في صفة أو نسبة)) [4]. وهذا ما

---

[1] روضة المحبين: 16.

[2] انظر المصدر نفسه :54.

[3] الحب في التراث العربي : 158.

[4] روضة المحبين : 54.

أكده أحد الباحثين المحدثين بقوله((ان ألفاظ العشق بعيدة كل البعد عن ان تكون مترادفات ، اذ ان كلا منها تعبر عن درجة ما من درجات العشق))[1]. ويبدو هذا الرأي صحيحا ((باعتبار الواضع الواحد ، ولكن قد يقع الترادف باعتبار واضعين مختلفين يسمى أحدهما المسمى باسم ، ويسميه الواضع الآخر باسم غيره ، ويشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة ، وهذا كثير ومن هنا يقع الاشتراك أيضا فالأصل في اللغة هو التباين وهو اكثر اللغة))[2].

لهذا ليس من الغريب أو العجيب ((ان تتعدد هذه الكلمات الاصطلاحية عن حالات الحب ودرجاته ما دمنا إزاء عاطفة خاصة، ذاتية الطابع من الصعب تحديد ملامحها وإخضاعها للتحليل القطعي))[3]. لذلك نجد ان ((بعض اللغات ليس فيها لفظة تدل على الحب بخلاف العربية التي كثرت فيها الألفاظ الدالة على هذا المعنى))[4].

ويبدو ان بعض المهتمين بدراسة ظاهرة العشق لم يكتف برصد نقطة البداية أو النهاية للعشق بل راح يصور هذه العلاقة من خلال وضع سلم تصاعدي لها على وفق نظام معين. وان مراتب العشق لا تعني مجرد وصف لحالة أو شعور معين، وإنما هي وصف لحالة متولدة عن حالة سابقة ومؤدية إلى حالة لاحقة. وهذا ما أكدته الدراسات التي تعرضت لمصطلحات العشق وحاولت رسم ترتيب للتدرج العاطفي- ان جاز التعبير- برغم إنها لم تتفق على حسم مشكلة تسلسل هذه الكلمات وذلك لأنها متداخلة الدلالات. وعلى الرغم من ذلك فان هذه المصطلحات تتدرج عاطفيا وبشكل تصاعدي حيث تمضي هذه المفردات عبر التذكرة والحنين والمناجاة إلى ان تبلغ درجة الاستيلاء الكلي.

ولعل الجاحظ (ت:255هـ) هو أول من تعرض إلى مراتب عاطفة العشق بإيجاز وافٍ وهو القائل ((ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو اصل الهوى، والهوى

---

(1) الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، يوسف اليوسف : 16.

(2) روضة المحبين:54.

(3) الحب في التراث العربي :158.

(4) المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي:43 .

الذي منه العشق ، والعشق الذي يهيم له الإنسان على وجهه او يموت قهرا على فراشه))[1]، أما ترتيب محمد بن داود (ت 297هـ) فقد كان اكثر توسعا اذ قال ((اول ما يتولد عن النظر والسماع والاستحسان، ثم يقوى فيصير مودة، ثم تقوى المودة فتصير محبة، ثم تقوى المحبة فتصير خلة...ثم تقوى الخلة فتوجب الهوى... ثم تقوى الحال فيصير عشقا... ثم يزداد العشق فيصير تتييماً، وهو ان تصير حال المعشوق مستوفية للعاشق، فلا يكون فيه معها فضلا لغيرها. ولا يزيد بقياسه شيئا إلا وجدته متكاملا فيها))[2]. أي انه يرى سلم التصاعد العاطفي في سبع درجات تبدأ بالاستحسان ، والمودة ، والمحبة ، والخلة ، والهوى ، والعشق ، والتتيم. ويشاطر ابن الجوزي (ت 597هـ) هذا الترتيب لكنه يضيف إليه مرتبة ثامنة، اذ ((يزيد التيم فيصير ولها، والوله يخرج عن حد الترتيب، والتعطيل عن أحوال التمييز))[3]. إذا مبدأ العشق ((أوله نظرة أو التفات نحو شخص من الأشخاص))[4].

ويثبت ابن قيم الجوزية (ت:751هـ) خمسين اسما للعشق ، دون ترتيب بعينه أو شرح لها شرحا لغويا واصطلاحيا وهي بحسب تعاقبها في كتابه:

((المحبة، والعلاقة ، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقة ،والوجد، والكلف ، والتتيم، والعشق ، والجوى ، والدنف ، والشجو، والشوق ، والخلابة، والبلابل، والتباريح ، والدم ، والغمرات ، والوهل ، والشجن ، واللاعج، والاكتئاب ، والوصب، والحزن ، والكمد ، واللذع، والحرق ، والسهد ، والارق ، واللهف، والحنين ، والاستكانة، والتبالة ، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم ، والخبل، والرسيس ، والداء المخامر ، والود، والخلة ، والحلم ، والغرام، والهيام، والتدليه، والوله، والتعبد))[5].

ويرى بعض العلماء ان ((أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة... ثم الخلة، ثم الصبابة... ثم يصير عشقا وهو أعلى ضرب...

---

[1] رسائل الجاحظ ، جمعها حسن السندوبي: 266.

[2] الزهرة، محمد بن داود ، تحقيق لويس نيكل البوهيمي : 1/19-20.

[3] ذم الهوى: 293

[4] رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء، الرسالة السابعة والثلاثون: 3/ 273.

[5] روضة المحبين: 16.

ثم يترقى فيصير ولهاً... ثم بعده التتيم، ومن التتيم يكون الداء الدوي والجنون الشاغل))[1] وقيل ((اول الحب العلاقة... ثم يصير حباً... ثم يصير هوىً، ثم خلة، ثم عشقا، ثم ولهاً، ثم يصير تيتماً، وهو ارفع منازل الحب، لان التتيم التعبد، والوجد ألم الحب، والهيمان الذهاب في طالب غرض لا غاية له، والكلف والشغف ، واللهج بطلب الغرض))[2].

أما رأي ابن الدباغ (ت: 699هـ) فيلخصه رأيه الآتي((فأما العشق فأول مقامات الغرام وهو الانتشاء من خمر المحبة ثم الافتتان... ثم الوله... ثم الدهش وهو الذهول ، ثم الفناء عن رؤية النفس وهو ان يكون العاشق لا يسمع إلا بمحبوبه ولا يبصر إلا به))[3]، ويرى الابشيهي (ت: 850هـ) ان ((أول العشق النظر))[4].

ان وضع هذه المصطلحات في ترتيب متباين من عالم إلى آخر لا يعني بالضرورة ان يكون معناها المعجمي هو الذي يساعد على ترتيبها في هذا التدرج أو ذاك لان بعضهم جعل تتابع تلك المصطلحات معتمدا على تفسير الأصل اللغوي في حين اعتمد آخرون على معايير أخرى. لذلك تداخلت الدلالات واضطربت الدرجات.

وننبه إلى بعض من مصطلحات العشق تحمل معنى الشيء وضده لذلك تحتاج تلك المصطلحات إلى شيء من التأمل الهادئ والنظرة الفاحصة فيها ونحاول الان بإيجاز عرض بعض المسميات التي اصطلح على كونها مترادفة مع مصطلح العشق.

1- الهوى: هويه' يَهُواهَ وهَوَ هَوٍ ، وهي هَوِيَةُ. وقيل الهَوَى العِشْقُ، ويكون في مداخل الخِيرِ والشَّرِ والهَوّى المهَويٌ، وقال اللغويون الهوى محبةُ الإنسان الشيء وغلبته على قلبه[1].

---

[1] ذم الهوى: 293.

[2] المصدر نفسه: 294.

[3] مشارق انوار القلوب ومفتاح اسرار الغيوب، ابن الدباغ، تحقيق هـ. ريتر: 38.

[4] المختار من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف، الابشيهي، اختيار محمد عبد اللطيف :15.

[1] اساس البلاغة: (هوى): 708، لسان العرب: (هوى): 849.

وذلك ما نتلمس معطيات في قول مضاض الجرهمي:

فَظَلَ فُؤادِي غَرِيقَ الهوى وظَلت جَفُوني تُرَاعِي النجوما [2]

وعروة بن حزام :

فيا ليتَ كُلَّ أثنينِ بينهما هَوىً من الناسِ والأنعامِ يلتقيانِ [3]

2–الصبابة: اصلها صبَبَ ، يقال صبَ اليه صبَابَةٌ، وقيل هو رَقَّةُ الشَّوْقُ وحرارته وصَبْبت إليه صَبَابَةً، فأنا صَبٌ أي عَاشِقٌ، وصَبّ الرجل إذا عَشِقَ يَصَبُّ صَبَابةً.[4]

قال امرؤ القيس:

فَفَاضتْ دموعُ العِينِ مّنِي صَبابةً على النّحر حَتّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي [5]

وقال أَعرابي:

فَلَوْ قَطِرَتْ عِينَ أمرئ من صَبَابَةٍ دَماً ، مَطِرَتْ عِينِي دَماً فَأَلمت [6]

3–المتيم: التيم هو تَيْمُ الله أي عبدُ الله ، وتامتهُ المرأةُ او العِشْقُ والحُبُّ تِيماً وَتِيمّتَهُ تتيماً عبدتهُ وذللتهُ.[7] ومنه التَتِيم وهو أمتلاءُ وَعِي العَاْشِق بالمَعَشُوقِ وَحدهُ، ولا يوجد في قلبهِ سواه.[8] من ذلك ما صرح به امرؤ القيس قائلا:

دارٌ لفاطمةَ التي تَبَلتْ قَلبِي وتيمَ حُبُّها نَفسِي [9]

4–الجوى: الحُرقَةُ وشدة الوجدِ من عِشْقِ أو حِزْنٍ ، تقول عنه ، جَوْى الرجلُ بالكسر فهو جوٍ مثل دوٍ[1].

قال عبد الله بن علقمة:

---

[2] التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه : 193.

[3] شعر عروة بن حزام ، تحقيق ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع ، 1961 م : ق12/1.

[4] الصحاح: (صب): 161/1، وانظر اساس البلاغة: (صب): 1، لسان العرب: (صب):518، والقاموس المحيط: (صب): 91.

[5] ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم : ق9/1.

[6] شعراء الاعراب، خليل مردم بك، شرح عدنان مردم بك: 111.

[7] الصحاح: (تيم): 1879/5، اساس البلاغة: 66، لسان العرب: 698، القاموس المحيط: 85/4.

[8] انظر الغزل العذري: 15و22.

[9] ديوان امرئ القيس : ق243/52.

[1] الصحاح: (جوى):3206/6

لو قلتِ ما قالوا لزِدتُ جَوىً بكم على أنهُ لم يَبْقِ ستر ولا صبرُ[2]

5-الشوق: الشَوقُ والاشتِيْاقُ : نِزَاعُ النَفْسِ الى الشِيء والجمع أشَواقٌ، والشَوُقُ حَرَكَةُ الهَوَى ، والشَوقُ : العُشّاقُ[3]. قال قيس بن الحدادية:

وحسُبكَ من نأيٍ ثلاثةَ أشهرٍ ومن حزنٍ أن زادَ شوقك رابعُ[4]

وقوله:

بانَتْ سعادُ وأمسى القلبُ مشتاقاً وأقْلقَتْها نوى الإزماعِ إقلاقا[5]

6-الخبل: يقال رجلٌ مَخبُولٌ ومَخَّبل ، وخَبّلهُ الحُبُّ ، واختَبَلتهُ فُلانةٌ ، وعَاْشِقٌ مُختبِلٌ[6]. قال امرؤ القيس:

أشَاقَكَ من آل لَيْلَى الطَّلَلْ فَقَلْبُكَ من ذِكرِهَا مُخْتَبَلْ[7]

7-الغرام: هو مُغَرمٌ بِفُلانةُ ، وبه غَرامٌ وأُغرم بالأمرِ أُولِعَ به ، ويقال رجلٌ مُغرمٌ : مُولعٌ بِعِشْقِ النِسَاءِ وغيرهنَّ ، وَفُلانٌ مُغَرمٌ بكذا أي مُبتَلى به.[8] انشد امرؤ القيس قائلا:

وقالت متى يُبخَل عليكَ ويُعتَلَلْ يَسُؤكَ وأن يُكشفْ غَرامُك تَدرب[9]

وقال بعض الأعراب :

لا أحملِ اللومَ فيها والغَرَامُ بها ما حمّل الله نفساً فَوقَ ما تَسعُ[1].

8-الهيام: هو هائمٌ بِفُلانة ومُستهامٌ ، وقد هام بها، وبه هُيامٌ وهو كالجنون من العِشْقِ، يقال هَامَ في الأمرِ يهيمُ إذا تحير منهُ، ويروي المهيمنات وهو ايضا الذاهب

---

[2] الاغاني، ابو فرج الاصفهاني (طبعة دار الكتب): 281/7.

[3] الصحاح: (شوق): 4/1، اساس البلاغة: 340، لسان العرب: 192، قاموس المحيط: 252.

[4] عشرة شعراء مقلون، تحقيق حاتم صالح الضامن : ق38/9.

[5] المصدر نفسه: ق40/10.

[6] اساس البلاغة: (خبل) : 214.

[7] ديوان امرئ القيس: ق296/73.

[8] اساس البلاغة: (غرم): 449، ولسان العرب: 981.

[9] ديوان امرئ القيس: ق42/3.

[1] شعراء الاعراب: 113.

على وجههِ عِشقاً. والهيامُ العشاق، والهيم: هيمان العَاشِقُ والشاعر اذا خلا في الصحراءِ ، وهام على وجههِ يَهِيمُ هيماً وَهِيماناً ذهب العِشَقُ وغيره[2]. قال المرقش الأكبر :

يهيم ولا يَعِيَا بِاسماء قلبهُ كَذلكَ الهوى أمرائه وعواقبُه[3]

وقال المرقش الأصغر :

أفاطِمَ لو أن النساءَ ببلدةٍ وأنتِ بأخرى لاتَنْعُتكِ هائما[4]

وقال قيس بن الحدادية :

إن الفؤادَ قد أمسى هائماً كلفاً قد شَّفَهُ ذكرُ سلمى اليومَ فانتكسا[5]

9-الدله: الدَّلْهُ والدَّلَهُ : تحير وذهب فُؤاده من هَمٍّ أو نحوه.[6] كما يَدْلَهُ عقل الإنسان من عشقٍ أو غيره ، وقد دَلَّهَهُ الهَمُّ أو العِشْقُ فَتَدلَّه، والمدلَّهُ الذي لا يحفظ ما فَعَلَ ولا ما فُعلَ به والتدله ذهاب العقل من الهوى ، انشد ابن بري:

ما السنُّ ألا غَفْلةُ المُدَلَّهِ[7]

ويبدو ان هذه المصطلحات هي التي تضارب العلماء والباحثون بشأن تحديد مراتب العشق ومرادفاته فضلا عن تعريفه اذ فهمه الحضريون على طريقتهم والأعراب على طريقة أخرى. وذلك لان العشق ليس من العواطف التي يسهل تعريفها أو تحديد مفهومها وتحديد عدد المصطلحات التي يمكن ان تكون مترادفة معها بصورة قاطعة أو جازمة وحسبنا في هذا الشأن ان نعول على مفردة العشق نفسها وما تتضمنه من معان ودلالات.

العشق .. عاطفة انسانية ودوافعها:

---

[2] اساس البلاغة: (هيم) : 709، لسان العرب : 857.

[3] شعر المرقش الاكبر، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة العرب السعودية ، الجزء السادس ، العدد الرابع، 1970: ق888/12.

[4] شعر المرقش الاصغر، تحقيق نوري حمودي القيسي، مجلة كلية الاداب ، العدد الثالث عشر: ق536/2.

[5] عشرة شعراء مقلون: ق35/8.

[6] اساس البلاغة: (دله): 281.

[7] لسان العرب: (دله): 488.

لقد شغلت دراسة ماهية العشق أو دوافعه مكانا واسعا في كثير من الدراسات القديمة والحديثة ،ومن زوايا رصد متباينة إذ الآراء قد تنتقل من كتاب إلى آخر، وربما قد يجمع كتاب واحد بين اكثر من رأي وقد لا نجد بينها فرقا أو اختلافا واضحا من ناحية المضمون، وعلى الرغم من هذا فأن مفهوم العشق لا يمكن ان نجعله مقتصرا على معرفة معناه اللغوي فقط ، وانما وجب معرفة معناه الاصطلاحي بوصفه عاطفة تختلج النفس الإنسانية. لذا فان معظم الدراسات التي حاولت البحث في هذه العاطفة متفقة على النظر إلى العشق بوصفه ظاهرة إنسانية لا تعدو حدود الأحوال البشرية المعهودة، المشهودة من أهلها، من الحيرة عند مشاهدة الجمال ، وتعلق القلب بالمعشوق ، والألم عند الهجر وكيف تؤثر هذه العوامل في عواطفهم وحيلهم والغلو والمبالغة في العشق وكيف يؤدي الى الجنون أو الموت [1].

وان مناقشة دوافع العشق من المواضيع المهمة التي اهتمت بها الدراسات فنجد طائفة منها قد عزت هذه الظاهرة إلى دوافع ذاتية ، أي متعلقة بذات الإنسان، وهذا ما حاول ان يفسره الفلاسفة والأطباء والحكماء . وأخرى عزتها إلى ظروف بيئية أو اجتماعية.

ومهما كانت الأسباب لدوافع العشق فان الحقيقة الظاهرة للعيان ان العشق حاصل في كل زمان ومكان، منذ اقدم العصور والى يومنا هذا سواء عللت تلك الظاهرة أم لا.لان ((ظاهرة العشق وأحوال العاشقين ظاهرة اجتماعية إنسانية عرفتها المجتمعات منذ ان وجدت وحاولت تعليلها انطلاقا من أعرافها وتقاليدها، حتى شغل ذلك مساحات واسعة في آداب الأمم... ولعلاقة هذه الظاهرة بالنفوس ، وصلتها بالقلوب ، وامتزاجها بأذواق الناس وطبائعهم))[1].

ابتداء من نظرة الطب القديم والفلاسفة الى العشق التي تضمنتها بطون العديد من الكتب القديمة والحديثة . اذ نقلت ان العشق ((طمع يتولد في القلب ويجتمع اليه مواد من الحرص ، فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق

---

[1] انظر الحب في التراث العربي : 53.

[1] انظر الحب والعشق والتوجه الاجتماعي ، نوري حمودي القيسي ، مجلة افاق عربية ، العدد التاسع ، 1976.

وكثرة الشهوة))[2] وهذا ما أكده فيثاغورس ((فكلما ازداد الاهتياج واللجاج ، والتمادي في الطمع ، والفكر في الأماني والحرص على الطلب، ادى ذلك بصاحبه الى الغم المقلق))[3]. وفي رأي جالينوس ما يدعم التفسير الطبي هو دوافع العشق فيقول : ((العشق من فعل النفس وهو كامن في الدماغ والقلب والكبد... وليس يكمل لأحد اسم عاشق إلا إذا فارق من يعشقه))[4]. أما أرسطو فقد قال: ((العشق جهل عارض صادف قلبا فارغا لا شغل له من تجارة ولا صناعة))[5]. ويبدو ان اغلب آراء الأطباء والفلاسفة تتفق على ان العشق يتكون في القلب أو هو من فعل النفس. وهذا ما قاله أحد الحكماء ان العشق هو ((هوى غالب في النفس نحو طبع مشاكل في الجسد أو نحو صورة مماثلة في الجنس))[6]. وبعضهم لم يقتصر فهمه لدوافع العشق بجعلها متعلقة بالقلب أو النفس وانما جعلها متعلقة بالأرواح. وهذا ما أكده أفلاطون فقال: ((ان الله [جل ثناؤه] خلق كل روح مدورة الشكل على هيئة الكرة ، ثم قطعها أيضا ، فجعل كل جسد نصفا ، وكل جسد لقى الجسد الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي معه كان بينهما عشق للمناسبة القديمة))[7]. لهذا قيل ان ((العشق هو إفراط المحبة وشدة الميل الى نوع من الموجودات دون سائر الأنواع ، والى شخص دون سائر الأشخاص ، أو الى شيء دون سائر الأشياء ، بكثرة الذكر له ، وشدة الاهتمام به، اكثر مما ينبغي))[1]. وذلك ما نتلمسه عند ابن حزم (ت: 456هـ) الذي وافق رأية مع رأي أفلاطون لاسيما في قوله ان العشق هو ((اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع))[2] لان هذه

---

[2] الزهرة : 17/1، روضة المحبين: 137.

[3] ذم الهوى : 289.

[4] الزهرة: 18/1.

[5] روضة المحبين: 138.

[6] رسائل اخوان الصفا، الرسالة السابعة والثلاثون : 272/3.

[7] الزهرة: 15/1.

[1] رسائل اخوان الصفا: 271/3.

[2] طوق الحمامة في الالفة والالاف، ابن حزم، تحقيق حسن كامل الصيرفي : 7، وانظر روضة المحبين: 74، وانظر الحب عند العرب، احمد تيمور:20.

النفوس قد ((خلقت بالفطرة تألف بعضها بعضا من اجل المناسبة القديمة))[3] وقد استند ابن حزم في تعريفه الى الآية الكريمة: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا))[4] فالعشق لا يحدث ((إلا بزواج النفسين وامتزاج الشكلين، وهو دليل على تمازج الروحين))[5] ويرى ابن الدباغ (ت: 699هـ) ان تجاذب وامتزاج النفوس يحصل نتيجة وجود جذب إذ ((ليس في العالم شيء إلا وله مغناطيس يجذبه.. ومغناطيس النفوس شعاع نور الجمال فلهذا كان تعاشق الأرواح انجذاب بعضها إلى بعض))[6] وان هذا التجاذب ليس موقوفا على الجمال فقط وانما رجع الى ((تشاكل النفوس وتمازجها في الطباع المخلوقة))[7] ، وعن هذه المشاكلة ينتج ((لمح نور ساطع تستضيء به النفس في معرفة محاسن المعشوق فتسلك طريق الوصول اليه))[8] لذلك قيل ان العشق ((لا يقع الا لمجانسة وانه يضعف ويقوى على قدر التشاكل))[9]، وهنا يبرز لدينا معيار جديد هو المشاكلة وذلك ما أكده جالينوس القائل ((ان العشق يقع بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل ولا يقع بين الاحمقين من باب تشاكلهما في الحمق لان العقل يجري على ترتيب فيجوز ان يتفق على طريق واحد والحمق لا يجري على ترتيب فلا يجوز ان يقع به اتفاق بين اثنين))[1]، واذا كانت فكرة العشق لا تقع الا بين متجانسين لذلك ((لا تجد ولا ترى نفسا تحب وتعشق وتشتاق إلا لأبناء جنسها وما يشاكلها من المحبوبات والمعشوقات))[2] وعليه فان هذا المبدأ اصبح يبحث عن عملية التجانس والتشاكل في عناصر الطبيعة الأخرى غير الإنسان متجها إلى الحيوان والنبات.

---

[3] مشارق انوار القلوب، ابن الدباغ: 14.

[4] سورة الاعراف/ الاية 189.

[5] دراسة الحب في الادب العربي ، مصطفى عبد الواحد: 40.

[6] مشارق انوار القلوب: 97، وانظر روضة المحبين : 139.

[7] روضة المحبين: 141، وانظر دراسة الحب :40.

[8] المصدر نفسه : 139.

[9] ذم الهوى: 217.

[1] الزهرة :1/16-17.

[2] رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا: الرسالة (37): 3/279.

وان هذه الأسباب التي ذكرناها لدوافع العشق تمثل التفسيرات العلمية أو المادية فهي متعلقة بالطب وما يحدث داخل جسم الإنسان من تغيرات أو حالات تعتريه نتيجة العشق ولكن الملفت للنظر ان هناك دوافع أخرى للعشق تكون خارجية تدرك بالحواس، حيث ان ((القلب ليس وحده دائما حاسة العشق بل تشاركه الحواس الأخرى كالعين والأذن واللمس))[3] وذلك ما افصح عنه الشاعر بشار بن برد (العباسي) الذي نستشهد به لدلالة على اثر الحواس في العشق- استثناء- فهو القائل:

يا قَومِ أُذنِي لِبَعضِ الحيّ عاشقةٌ والأُذنُ تَعْشَقُ قبلَ العَينِ أحيانا[4]

لذلك فان بعضهم قد حدد النظر سببا قريبا لبداية العشق وذلك ما يؤكده ابن حزم (ت: 456هـ) من ان ((العلة التي توقع الحب – أو العشق – ابداً في اكثر الأمر على الصورة الحسنة ، فالظاهر ان النفس حسنة تولع بكل شيء حسن، وتميل الى التصاوير المتقنة ... وان للصورة لتوصيلا عجيبا بين أجزاء النفوس النائية))[5].

قال إعرابي:

نظرتُ اليها نَظَرَةً فَهَوِيتُها ومن ذَا لهُ عَقلٌ سَليمٌ لا يَهُوى [6]

أي ان النفس تميل إلى الصورة الحسنة فأن ابن حزم (ت: 456هـ) وضع للصورة الصدارة في موضوع العشق وكونها السبب الموجب له، وان هذه الصورة يمكن ان توصل بين أجزاء النفوس الغريبة عن بعضها. ولأهمية النظر الى الصورة الحسنة لدى ابن حزم فقد جعل باباً في كتابه اسماه (باب من احب من نظرة واحدة) وقال في مستهلها ((وكثيرا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة))[1].

ويتطابق كلام ابن حزم مع رأي ابن الجوزي (ت: 751هـ) فقد كرر الأفكار نفسها تقريبا وأضاف ان دوافع العشق هي ((مصادفة النفس ما يلائم طبعها.

---

[3] ادب العرب في عصر الجاهلية ، حسين الحاج حسن : 209.

[4] ديوان بشار بن برد ، تحقيق محمد طاهر ابن عاشور: 194.

[5] انظر طوق الحمامة: 9.

[6] روضة المحبين :176.

[1] طوق الحمامة: 22.

فتستحسنه وتميل إليه ، واكثر أسباب المصادفة النظر، ولا يكون ذلك باللمح بل بالتثبيت في النظر ومعاودته، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس ورامت القرب منه، ثم تمنت الاستمتاع به فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه في الغيبة حاضرا ، وشغلها كله به))[2] نفهم من هذا الرأي ان العشق لا يتم بالنظرة السريعة الخاطفة وإنما يجب ان تكون نظرة تمحص وتفكر ولا يكتفى بنظرة واحدة وإنما يجب معاودة النظر عدة مرات من اجل التثبت والتفكر وتصور صور المحبوب في كل زمان ومكان. وهناك من يرى ان العشق ليس عاطفة مجردة تصيب الإنسان وإنما يجب ان تكون عاطفة تصاحبها معاناة وألم وتحسر وهذا ما أكده اندرياس القائل ان العشق ((معاناة يسببها النظر الى جمال الجنس الاخر فحين يبصر الرجل المرأة اللائقة يحبه، والمصورة كما يتطلب ذوقه، يشتهيها قلبه في الحال. وكل منا يتعرض للإصابة بسهم الحب، الا من كان شيخا كبيرا، أو أعمى ، أو كان ذا شهوة عمياء))[3].

وان العشق معاناة عند العاشق لان ((العاشق يتعذب قبل ان يتمكن من تسمية غرض رغبته. ولكن ان كان هذا الغرض في متناول النظر فأن العذاب يخف تبعا لذلك))[1]. هذا لمن عد العشق معاناة تخف تبعا للنظر، ثم ينكشف للعاشق من خلال النظر خصال وجمال المعشوق لان العشق هو ((رغبة في امتلاك الجمال الجسدي الظاهر حين تراه، فالرؤية من قبل المحب، والجمال المرئي من قبل المحبوب هما منطلقا الحب الاول والثاني. أما المنطلق الثالث كون العاشق شابا، سليم البصر والبصيرة مترفعا عن النهم الحيواني ترفعا يجعل حبه مصدر نبل وغنى نفسي))[2] لذلك يقال ان النفس عندما تدرك جمال ((نفس إنسانية مناسبة لها إدراكا عريا عن العلل والعوارض يحصل لها من الابتهاج واللذة بجمال ما أدركت ويزيل

---

[2] ذم الهوى : 296.

[3] الحب بين تراثين، ناجية مراني : 29.

[1] انظر الغزل عند العرب، جان كلود فادية ، ترجمة ابراهيم الكيلاني : 69/2.

[2] انظر الحب بين تراثين:29.

عنها كثير من حب الشهوات البدنية التي كانت قبل هذا مألوفة لها))[3] لذا نجد ان كل ((ذي حس من الناس تتأثر نفسه بمشاهدة الجمال الظاهر ونعلم ان ذلك فيهم غريزي، وربما ودّى كثيرا من الناس إلى إفراط المحبة الذي هو العشق فبلغ بهم إلى إتلاف النفوس وأما الجمال الباطن فليس له هذا التأثير العظيم عند الأكثر))[4] وان ((الجمال الظاهر والباطن إنما يستلذه الإنسان ويفتتن به لأنه اثر من آثار العالم الأعلى وإنما قبلت منه النفوس الإنسانية والصور الجسمانية بقدر اعتدالها وصفائها))[5] وان الاعتدال لا يكون إلا من ((اعتدال في الصورة وتكافؤ في الطريقة وملائمة في الهمة))[6].

ويبدو لنا ان دوافع العشق في طروحات التراث العربي والنتاج العربي تكاد تبدو متماثلة وذلك ان العشق مبعثه النظرة إلى المرأة. في الأغلب الأعم – نظراً يؤجج الرغبة والشوق اليها، ويعبر العشاق عن أشواقهم ساهرين باكين، ومتطلعين الى فرصة اللقاء التي تبل الاكباد وتشفي الأفئدة [7].

اذا العشق هو ((ميل طبيعي في الإنسان نحو الأشياء))[1] الجميلة وهناك من ارجع دوافع العشق الى عوامل أو مؤثرات اجتماعية أو بيئية ذات صلة بحياة الفرد.

فنجد ان الكثير من القدماء قد علل عشق الأعراب بأنه راجع إلى فراغهم الطويل الذي لم يجدوا وسيلة يقطعونه ويقتلونه بها غير العشق[2] ولذلك يقول الجاحظ (ت: 255هـ) ((رجلان من الناس لا يعشقان عشق الأعراب ، احدهما الفقير المدقع، فان قلبه يشغل عن التوغل فيه ، وبلوغ أقصاه والملك الضخم الشأن

---

[3] انظر مشارق انوار القلوب : 16.

[4] المصدر نفسه : 48.

[5] المصدر نفسه: 50.

[6] دراسة الحب: 40.

[7] انظر الحب بين تراثين :83.

[1] انظر الاسس الجمالية في النقد العربي – عز الدين اسماعيل: 134.

[2] انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي ، حسين عطوان : 63.

، لان في الرياسة الكبرى في جواز الأمر والنهي وفي ملك رقاب الامم ما يشغل شطر قوى العقل عن التوغل في الحب، والاحتراق في العشق))[3].

ويؤكد داود الانطاكي (ت: 1008هـ) مقولة الجاحظ من حيث ((ان الغرام اشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد إلى المعشوق ، والعجز عن الوصول إليه ، فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك لاشتغالهم بتدبير الملك))[4]. لذا يكون العشق عند أهل البادية ، لعدم اشتغالهم بعوائق ومن ثم هم اكثر الناس موتا بالعشق.

وتبدو علاقة العشق على المستوى المجرد البحت ، ليست سوى صلة طبيعية بين الذكر والأنثى، قد عرفها الفرد عندما ((أدرك العلاقة بينه وبين أخيه الإنسان))[5] وان هذه الصلة تختلف بدورها بين كل شخصين باختلاف مزاجهما أو طبائعهما وتتأثر بطبائع المجتمع عقائده المتوارثة وحاجته النفسية وضغوطه الموجهة لسلوك الأفراد والمحددة لافكارهم.

وأخيرا ان العشق في جوهره هو ((اقتحام واستئثار وامتلاك ، وعدوان أرواح على أرواح ، واستبداد قلوب بقلوب))[6]. والعشق أيضا ((صفة عامة سائرة في سائر الذوات على اختلاف أجناسها حيها وجمادها... وهي كامنة في كل جوهر وما من وجود في العالم الا وله نصيب منها))[1].

ويبدو ان العشق هو ((الرافد الثر الذي يظل أريجه الندي يمنح مشاعر الإنسانية سر البقاء، ويمكنها من السعي والاجتهاد. فهي معنى كامن في ذات الإنسان يدفعه إلى الصراع مع الطبيعة، وجها لوجه عبر العصور المتعاقبة ، ليثبت وجودها على هذه البسيطة))[2]. ومن المؤكد ان الشعر الجاهلي لم يحفظ الوقائع والغزوات والأحداث السياسية وغيرها. فحسب وإنما حفظ لنا في تضاعيفه أخبار من

---

[3] رسائل الجاحظ ، جمع حسن السندوبي : 272.

[4] انظر تزيين الاسواق في اخبار العشاق ، داود الانطاكي : 9.

[5] انظر الحب والعشق والتوجه الاجتماعي، نوري حمودي القيسي : 47.

[6] العشاق الثلاثة، زكي مبارك : 11.

[1] مشارق انوار القلوب : 26.

[2] القصة في مقدمة القصيدة :5.

ابتلي بهذه العاطفة الإنسانية الشاخصة معطياتها في ذوبان القلوب والأفئدة[3]. وتبقى هذه العاطفة ((بحر بعيد الشط))[4]. على كل من يحاول سبر أغواره. وان هذه العاطفة هي ((فضيلة ظهرت في الخليقة ، وحكمة جليلة وخصلة نفسية عجيبة. وذلك من فضل الله على خلقه))[5].

ويبدو لنا ان ما أسلفنا الحديث عنها حول العشق والعشاق من حيث اللغة والاصطلاح والمراتب والدوافع تنطبق معايير ما أفاض به المعنيون بهذا المصطلح أو بهذه الظاهرة على بعض شعراء ما قبل الإسلام الذين خفقت أفئدتهم بالعواطف الجياشة التي ارتسمت خطوطها على نتاجهم الشعري وظهرت واضحة المعالم غير خافية لمن يسمعها أو يراها لأنها مشاعر وعواطف تخص كل إنسان في كل زمان ومكان وإذا كان الإنسان في الوقت الحاضر هو إنسان غاطس حتى أذنيه في مشاغله اليومية التي تمنعه في كثير من الأحايين من العشق.[6] فهذا لا يمنع ان يكون العشق موجودا في كل الأوقات وان كان ذلك بمستويات متفاوتة.

وعليه فإننا سنفصل القول في الفصل اللاحق لمن شهدت له الأيام بأنه عاشق، وضرب المثل بعشقه.

---

[3] انظر تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام، شكري فيصل : 27.

[4] الحب عند العرب : 52.

[5] رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء: 279/3.

[6] انظر الغزل العذري : 20.

الفصل الاول

الشعراء العشاق وقصصهم قبل الإسلام

- توطئـة.
- مضاض الجرهمي ومي – ابو نصر البراق وليلـى
  امرؤ القيس وفاطمة – خزيمة بن نهد وفاطمــة
  المرقش الأكبر وأسماء – المرقش الأصغر وفاطمـة
  عبد الله بن العجلان وهند – عنترة بن شداد وعبلـة
  بشر بن عوانة وفاطمة – قيس ابن الحدادية وأم مالك
  عبد الله بن علقمة وحبيشة – عروة بن حزام وعفراء

توطئـــة:

من المعروف إن كل عصر تاريخي أو أدبي يحفل بالكثير من القصص والحكايات في أبعادها الدينية والاجتماعية والعاطفية والأسطورية والخرافية وغيرها من المضامين ويبدو لنا ان المجتمع العربي قبل الإسلام كان حافلا بمثل هذا النوع من الحكايات والقصص شأنه في ذلك شأن المجتمعات الإنسانية الأخرى وحسبنا في هذا الشأن ان نستقري تلك الحكايات والقصص العاطفية التي انضوت تحت عنوان قصص العشاق ولا سيما الشعراء منهم الذين لم تقتصر شهرتهم على عصر ما قبل الإسلام فحسب إنما تجاوزت حدود زمانها ومكانها.

ولكل قصة مذاقها الخاص المتباين عن الأخرى في التفاصيل وهي في جملتها تمثل نزعات أو خلجات النفس الإنسانية التي تنزع إليها أهواء القلوب واوطار النفوس ، ثم ان ((صلة العرب بالفن القصصي قديمة جدا، تجدها في أساطيرهم عن الأصنام والكواكب... ونجدها في سردهم لتاريخ القبائل البائدة منهم))[1]. فضلا عن ان العصور الأدبية اللاحقة قد حفلت هي الأخرى ((بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته.. وما زالت قصصهم تضرب مثلا على الإخلاص والوفاء))[2] وإزاء غزارة تلك المادة وتوفرها تقريبا في كل العصور فإننا نرى ((أنفسنا بين طوفان من الأخبار والحكايات والقصص، تجمع المواقع أو الممكن إلى المستحيل)) [3]. ووجود هذا الكم الهائل من هذه الأخبار والقصص من غير المعقول ان يأتي من فراغ وذلك لان اغلب ما يصوره الفن أو الشعر هو مأخوذ من البيئة المحيطة بالإنسان وان الفن والشعر يخلد ولو نسبيا ما يصفه، وان رواية الشعر للحوادث تستغرق زمنا خاصا يختلف عن أزمنة الحوادث الأصلية اختلافا كبيرا[4]. ولا يخفى ان المرأة – بوجه عام – لم تكن ممتهنة في العصر الجاهلي بل كانت في المكان المصون، لذلك فقد عبر

---

[1] الحب في التراث العربي : 263.

[2] الحب عند العرب : 15.

[3] الحب في التراث العربي: 14

[4] انظر دراسات فنية في الادب العربي، عبد الكريم الياقي: 179-180

فريق من الشعراء عن قصص حبهم وما يسقا المحب من كؤوس الصد والهجر ونحس ذلك في شعر صادق أصيل، تصونه المثل العليا وتحوطه القيم الجاهلية في النبل والمروءة والشرف[1]. ونجد ان الحياة الجاهلية كانت عبارة عن ((سلسلة من العواطف التي اخذ الجاهليون بها أنفسهم والتي وجدت صورتها التعبيرية في شعر هؤلاء الشعراء))[2]. لذلك كثرة القصص وشملت العديد من أشعار الشعراء. وقد امتلأت حياة الشاعر بذكر المرأة لكثرة فراغه واتصال حياته بحياتها في الحل والترحال[3].

وان قصص الشعراء والعشاق تكاد تتشابه في العموم وتختلف في التفاصيل فالشاعر تقع عينه على فتاته فيعشقها من أول نظرة ثم يقول فيها شعرا تتناقله الركبان ثم يخطبها من أهلها فيرفضون تزويجها، وربما يتم الزواج بين العاشقين وقد يحدث طارئ يفرق بين الزوجين فلا يزيد العاشق إلا حبا وهياما بحبيبته[4]. وان تلك القصص الموجودة في موروثنا الشعري قبل الإسلام تعطي المرأة مكانة ((وكأنها هي واهبة الحب أو سالبته، وهي المالكة الآمرة الناهية في دنياه))[5]. ونرى ان المرأة قد أثارت عاطفة الرجل لان ((الله قد بنى الوجود الإنساني على الصلة بين الرجل والمرأة))[6]. لذلك كان طبيعيا ان تشغل المرأة فراغ ذلك المجتمع البدوي الذي يعوز الكثير من المتع وألوان الفنون التي كانت تألفها المجتمعات الأخرى، ولهذا كان محور حديثهم وبؤرة أفكارهم ، وللمرأة مكانة في ذلك المجتمع ، اذ كان الشاعر يشيد بها ويخضع لسلطان حبها[7]. وهناك عوامل قد أسهمت في تأجيج نار العشق في تلك المرحلة هي فرصة لقاء الفتيان بالفتيات في هذه المناسبة أو تلك ولا سيما في أوقات الرعي أو في مواسم الظعن والرحيل من مكان إلى آخر، ولهذا كثيرا ما ينمو

---

[1] انظر ادب العرب في عصر الجاهلية : 143.

[2] تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: 226

[3] انظر تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري : 61

[4] انظر دراسات في ادب ونصوص العصر الاموي، محمد عبد القادر احمد: 18

[5] الحب بين تراثين: 64

[6] دراسات في الادب والعلم والفلسفة ، عمر فروخ: 18

[7] انظر الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، محمد غنيمي هلال: 18

الحب بين فتاة وفتى منهم[1]. والحب الأصيل عند البدو في رأي (ساتندال) ((إنما يبحث عن الحب الحق ووطنه الأصيل تحت خيام البدوي الدكناء فجمال الإقليم والشعور بالعزلة قد ولدا هناك- كما يولد في أي مكان آخر- أسمى عواطف القلب الإنساني))[2].

فيعنى بذلك ان العامل البيئي اسهم مع عوامل أخرى في نمو تلك العاطفة بين الرجل والمرأة. ولكن تظل هذه العاطفة في إطار التقاليد والأعراف الاجتماعية التي لا يمكن الخروج عليها لذلك برز نوع جميل من الحب عرف في العصر الجاهلي بالغزل العذري حيث ان مجموعة من العشاق قد تغنوا في شعرهم بعواطفهم الحارة الصادقة، وسموا بها فوق نوازع الجسد، ولذلك كانوا بحق النواة الأولى لظاهرة الحب العذري الذي انتشر في العصر الأموي وما تلاه[3]. وقد اصطلح على تسمية العشق بامرأة بعينها (بالحب العذري) نسبة إلى بني عذرة الذين اشتهروا دون العرب بالحب حتى الموت[4]. ولقد ظهر في قبيلة عذرة عشاق كثيرون، ولم تكن عاطفتهم الصادقة حصرا بهم وإنما عرف بها العديد من شعراء الجاهلية ولكن ليس فيها السعة والشهرة التي حضي بها العشاق العذرين في العصر الأموي[5]. لذلك فالعذرية لا ترتبط بمصدر محدد وهي مرحلة من العمر وان الظروف الفردية والاجتماعية هي التي تحدد امتدادها.

ويرى بعضهم ان المرأة عند العشاق الجاهليين قد سمت لديهم فكانت ((فوق حدود الآدمية، فوصلت إلى السماء وأصبحت معبودة))[6]. إذاهم عشاق لها بكل ما

---

[1] انظر المرأة في الشعر الجاهلي : 36

[2] الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية : 18

[3] انظر دراسات في ادب ونصوص العصر الاموي: 19

[4] انظر الشعراء العشاق والحب العذري، احمد اسماعيل النعيمي، جريدة العراق- السبت 27 تشرين الاول 2001 : 4

[5] انظر صورة المرأة في الشعر العربي الاموي، ساجدة هاشم احمد، رسالة تقدمت بها إلى كلية التربية للبنات في جامعة بغداد وهو جزء من متطلبات درجة الماجستير اداب في اللغة العربية : 16

[6] الحب بين تراثين: 47

تعنيه كلمة العشق من معان ودلالات، إذ وقفوا أعمارهم على الحب وقدموا قلوبهم نذورا في معابده[1].

وان العصر الجاهلي قد عرف الحب في نمطيه الحسي والعذري ولكن الذي يهمنا من هؤلاء الشعراء هو عشقهم العفيف المتجه نحو امرأة بعينها فالشاعر العفيف إذا كان بدويا أو حضريا فانه يغلب عليه الميل إلى امرأة واحدة يجد فيها نعيمه وشقاؤه. سواء بادلته الحب ام لا[2].

ونجد ان للعشق والهوى أحكاما وتصاريف وقواعد وقوانين يخضع لها ويتحرك في إطارها، وأصبحت فئة من الناس محصورة في هذه الأعراف والتقاليد لذلك أصبحت نماذج خالدة وغدت قصصهم مضربا لكل مثل[3].

ولابد لكل قصة ان يكون لها أبطال رئيسيون شاخصون في طرفي المعادلة أي الرجل والمرأة إلى جانب شخصيات أخرى ذات صلة ببطلي قصة العشق هذه أو تلك.

ونطالع ان الرواة القدماء يصفون بعض شعراء الجاهلية بانهم من عشاق العرب وانهم لا يرون لأكثرهم الا أبياتا. ولكن الشعر ليس كل شيء في قصص هؤلاء العشاق. لان اغلبهم من أبطال قصص الحب التي يختلط فيها الخيال بالحقيقة وهي قصص تتفق في إنها تصور الحب الصادق النبيل، وانها تحتوي على صور من الألم وتنتهي نهايات تؤكد نقاء الحب والإخلاص فيه[4].

لذا نجد ان قائمة الشعراء العشاق طويلة ممتدة من العصر الجاهلي وحتى العصور اللاحقة ولكننا نخص بالدراسة مجموعة العشاق في العصر الجاهلي والمخضرمين منهم. وقبل الولوج إلى قصص أولئك الشعراء حسبنا ان نعرف من ظفر بلقب الشاعر العاشق اعتمادا على ما نقلته لنا المظان الأدبية، فقد أفادنا (ابن قتيبة ت : 276هـ) بذكر طائفة من الذين نعتوا بالعشاق أمثال (امرؤ القيس، المرقش

---

[1] لنظر الرحلة في الشعر الجاهلي ، وهب رومية : 401

[2] انظر تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ : 82

[3] انظر الحب والعشق والتوجه الاجتماعي: 47

[4] انظر تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، نوري حمودي القيسي : 293

الأكبر، المرقش الأصغر، عنترة وعبد الله بن العجلان، وعروة بن حزام، وقال انهم من ((عشاق العرب المشهورين))[1].ويؤكد (الوشاء : ت 325هـ) أسماء أولئك الشعراء ويضيف إليهم (بشر بن عوانة) ويقول عنهم انهم شعراء ((اشتهروا بالصبوة والغزل))[2]، إما صاحب الأغاني (ت: 356 هـ) فقد أغنانا بترجمته لعدد كبير من هؤلاء الشعراء فضلا عن الشعراء (مضاض الجرهمي، وخزيمة بن فهد، قيس بن الحدادية، عبد الله بن علقمة) وتأكيده على انهم من الشعراء العشاق.

وهناك مصادر أخرى قد عنيت بالشعراء العشاق مع ذكر قصصهم ومن أبرزها مصارع العشاق (لابن السراج البغدادي المقرئ : ت 500هـ)، وذم الهوى (لابن الجوزي ت: 597هـ)، وتزيين الأسواق (للانطاكي ت: 1008هـ).

وقد أولى الباحثون المحدثون هؤلاء الشعراء العشاق اهتماما.. وافاضوا بالحديث عنهم فيذكر الأستاذ جرجي زيدان[3] طائفة منهم في كتابه أمثال (ابو نصر البراق وامرئ القيس ، والمرقش الأكبر، وعنترة بن شداد ، وعبد الله عجلان، وعروة بن حزام) ويذكر الأستاذ عمر فروخ [4] طائفة أخرى ، والأستاذ محمد عبد القادر احمد[5]. والأستاذ محمد حسن عبد الله[6]. والأستاذ يوسف اليوسف[7] وزكي مبارك في كتابه مدامع العشاق. وهناك غيرها من الدراسات التي يصعب حصرها لكثرتها التي ذكرت أولئك العشاق.

ونرى من المستحسن .. قبل ولوج أشعار هؤلاء الشعراء ان نعرج على تفاصيل حكاياتهم وأخبارهم.. وما تضمنته من حوادث ووقائع.. لتبدو أشعارهم –من بعد –

---

[1] انظر الشعر والشعراء ، ابن قتيبة، تحقيق اجمد محمد شاكر : 64/1 ، 138، 142، 171، ، 2/ 519،604

[2] الظرف والظرفاء ، للوشاء : 1/ 43

[3] انظر تاريخ اداب اللغة العربية ، جرجي زيدان : 1/ 145، 111، 113، 136، 138 .

[4] انظر تاريخ الادب العربي، عمر فروخ ، 116/1، 145، 207، 298

[5] انظر الدراسات في ادب ونصوص العصر الاموي، 19

[6] انظر الحب في التراث العربي: 208 ، 311 ، 333

[7] انظر الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : 43، 148

انعكاسا ووثيقة صادقة لتجاربهم العاطفية المتأججة التي عاشوها.. ليستقيم طرفي المعادلة العشق والشعر مبتدئين بالأقدم منهم...

مضاض الجرهمي ومي

هو مضاض بن عمرو بن نفيلة الجرهمي من ملوك العرب في الجاهلية ، وكان مقيما في الحجاز تابعا لليمن وعاش قبل الميلاد بزمن بعيد[1]. وهو شاب من أبناء الملوك احب في مقتبل عمره إحدى بنات عمه وهي (مي بنت مهليل بن عامر) صاحب الشعب وكان معها في نسق واحد وهي اجمل من رأتها العيون ففتن بها وفتنت به[2].

وتعد ((قصة مضاض الجرهمي وصاحبته مي من اقدم قصص العشق))[3]. فضلا عن كونها ((صورة إنسانية نابضة بالحياة في معظم الآداب العالمية فانت تراها في روميو وجولييت وأنت تراها في بول وفرجيني))[4]. وهي تتضمن معاني جميلة عن الحب الطاهر العفيف البعيد عن الريبة[5].ويبدو ان شهرة (مضاض) قد ذاعت من خلال حبه الكبير لابنة عمه (مي) التي شب معها وشبت معه في حي واحد وصان مئزره عنها وكان ذلك خيفة الطعن فيها وفي الملك فلما بلغ بهما الهوى مبلغه وحذرا من الفضيحة أو السقم أو الموت، اقبلا على عمهما (الحارث بن مضاض الجرهمي) فشكوه ما نزل بهما من شوق بعضهما إلى بعض فأرسل إلى والد (مي) (مهليل بن عامر) يبلغه بالخبر وما كان من حالهما فقال والد (مي) أنت وليهما فافعل بهما برأيك وزوجها منه[6].

وقد هجم الشهر الأصم (رجب)، وكانوا لا يحدثون فيه حدثا غير العمرة والطواف حتى ينسلخ. وقد قال الحارث لمهليل ينصرف رجب ثم نزوجهما ففرح (مضاض)، ومضى ليطوف ويعتمر ، وبلغ ذلك (مياً) فأقبلت تعتمر وتطوف متنكرة

---

(1) انظر الاغاني (طبعة دار الثقافة): ج15، وانظر الاعلام – للزركلي، 152/8.

(2) التيجان : 188

(3) مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي : 57.

(4) في الرواية العربية عصر التجميع ، فاروق خورشيد: 97 ، وانظر تراث الحب، د.عادل البياتي، مجلة اداب المستنصرية ، العدد السابع ، 1983 : 112.

(5) دراسات في ادب ونصوص العصر الاموي: 19

(6) انظر التيجان: 189 ، تراث الحب : 123

غيرة على مضاض ، ومضاض لا يعلم بمكانها .. وكان (قبيس بن سراج) من رهط صغير في جرهم ، قد رأى (مياً) فهويها وهي لا تعلم ومضاض لا يعلم، وكان قبيس يتابع أخبار مي ، فلما بلغه إنها اعتمرت خرج إلى الطواف ليقضي حاجته من النظر إليها.. فكانت مي تطوف وتراعي أحوال مضاض ومضاض لا يعلم بذلك، وكان قيس يطوف في اثر مي ومي لا تعلم بذلك[1]

وفي أثناء الطواف كانت رقية بنت البهلول الجرهمي تطوف وتعتمر وكان يوما قائظا فعطشت ،فلما أبصرت مضاض نادت عليه ليسقي لها ، فأمر رجاله فاقبلوا بالماء فناولها إياه ، ومي تنظر إليهما عن كثب فاشتعل قلبها غيرة، فسقطت مغشيا عليها، وجعلت ترعد لا تدري ما هي فيه، ثم أدركت مياً نفسها فقامت ولم تستطع الطواف وولت إلى منزلها، وكان منزلها في سفح جبل مكة فاتت أباها وقالت له: انصدع قلبي صدعا لن يلتئم بعدها صدعة، يا أبتي ان مضاض ابن عمي دعا قلبي فاجابه فلما أجابه قذف الهوى خلف النوى، رأيته يلاحظ رقية بنت البهلول وسقاها ماء ثم قالت انه بدل حسبا بحسب وخطرا بخطر ولم يبلغ والله خطر البهلول مهليل بن عامر ولا رقية بنت البهلول مياً بنت مهل فقال لها أبوها صدقت..

وهنا تظهر غيرة (مي) ((ليست غيرة محبة على حبيبها وحسب ، وانما هي غيرة عربية من عربية مثلها، غيرة لها علاقة بالأحساب والأنساب))[2].

زأقسمت ألا تقيم في موضع يقيم فيه مضاض ورحلت إلى خالها (جسرة بن قين من حمير من بني قضاعة)، وانشأت تقول:

مضاضُ الحُبُّ والحُبُّ صادقٌ وللحبِ سلطانٌ يعزُ أقتداره'
غَدرتْ ولم أغدرُ وللعهدِ موثقٌ' وليس فتى من لا يقر' قراره'
إذاجَاءنِي ليلٌ تململت بالذي دَعَا كَبدِي حتى تمكن ضاره'

---

[1] انظر التيجان: 189

[2] في الرواية العربية عصر التجميع : 99

أبيتُ أقاسي النجمِ والليلِ دامسٌ وللنجمِ قطبٌ لا يدورُ مداره، (1)

ثم ان قبيس آتاها وانشأ يبس لها أخبارا ليفرق بينها وبين مضاض مستغلا غيرتها حين سقطت بالطواف . فعمل شعرا على لسان مضاض وشعرا على لسان رقية[2].

فرحل بها أبوها، وان رجلا من أهل الحي اقبل على مضاض فابلغه بما قال قبيس وبما قالت مي، فركب فرسه واخذ سيفه وخرج يريد قتل قبيس.. وانذر قبيس فخرج هاربا في البيداء، فلما لم يجد مضاض من قبيس اثر رجع إلى مي وأصاب أهل الحي يحتملون وأصاب مياً راكبة فقصدها وقال لها: أعيذك بالله ان تعذري من لم يعذرك وهذا موقفي بين يديك فجودي لمن لم يجترم جرما وقال:

يَعِيش عن الناسِ لحَظَ طَرَفِي وعنكِ يا مي غير عَاشِي
أتَهجرِينِي بغيرِ ذنبٍ وتقتلينني بقولِ وَاشِي (3)

قال فولت عنه وعيناه تغرورقان دموعا وتبعها وهي تقول :

كَنْبَتَ هَوى وحنثت، إذائيمِينِي إذاطَالبتُ اثر بُعدَ عِينِ
سأرحلُ والفؤاد، لهُ وَجِيب، وأقطع، لِلنُوى بَينَا بَينِي(4)

فمضى مضاض حتى اتى مكة فغلب عليه الهوى ورجا منها عطفا، فتعرض لها قائلا:

عَلامَ قَبستِ النارَ يا أم غالبِ بنارِ قُبيسَ حين هاجتكِ ناره،
على كَبدِ حرى وأنتِ عليمةً بِغَيبٍ رَقِيقٍ لا يبين ضماره،

---

(1) التيجان : 190

(2) المصدر نفسه: 191

(3) المصدر نفسه: 191

(4) المصدر نفسه: 192

سَألتكِ بالرحمنِ لا تجمعي هوى عليهِ وهجرانا وحبكِ جاره، [1]

فولت عنه وتجهمته وقالت له: والله لا ألقاك بها أبداً .. فولى إلى صاحبيه وهما أبناء عمه وقال: والله لا اشرب بعدها ماء أبدا. فضل على هذه الحال يرفض شرب الماء إلى ان غشيه الموت، ثم مات ودفن في (موطن الموت) بين الدوحتين[2].

أما مي فقد لقيت رقية بنت البهلول ، فقالت لها رقية ، يا مي ، ما كان من شأنك مضاض؟ فاعلمتها ، فقالت لها رقية: ظلمتيه يا مي ، يا لله ما كان بيني وبينه قط سبب، ولا كلمته غير أسقاني منه الماء.

فبعثت مي إلى مضاض فلم تجده ، فتعاظم شوقها لما علمت من كلفه بها وبراءته، فبينما هي تسأل عنه إذ نعي إليها مضاض، فتوارت عن الحي وآلت على نفسها ان لا تشرب الماء فأقامت يومين وليلتين ، فلما كان اليوم الثالث ولا أحد يعلم بها غير جاريتها سلمى غشيها الموت مع الليل ، فولت إلى الربوة واتبعتها سلمى، فلما بلغت أعلى الربوة سقطت.. وقالت لسلمى:(قولي لأبي يدفنني بالدوحتين بجوار مضاض) ثم لم تلبث الا يسيرا حتى ماتت وبلغت سلمى أباها فاعلمته فدفنها في الدوحتين[3].

ولقد ضرب بموت مضاض المثل في زمانه قال رجل من اهل الطائف يقال له (بهنان)[4].

أموت، إذا جّدَ الفراقِ بيثربٍ كما ماتَ من حَرِ الفراقِ مُضَاضَ[5]

والدليل على كون قصة مضاض كانت مضربا للأمثال والأحاديث هو ما قاله مضاض في هذه الأبيات.

---

[1] انظر التيجان : 193

[2] المصدر نفسه : 194-195

[3] المصدر نفسه: 195-197، وانظر الرواية العربية ،: 95 – 96

[4] بهنان، وهو رجل كان من اهل هزان بن سكسك بن وائل بن حمير

[5] التيجان: 197

قال مضاض الجرهمي:

كَأَنّ لم يكُن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بِمكةِ سامـر

بلى نحن كُنا أهلها فأبادنـــا صُروف الليالي والجدود العواثر

فصرنا أحاديثا وكـنا بِغِبطـة كذلك عَضَتنا السنون الغوابر[1]

[1] الحماسة البصرية، للبصري – تحقيق مختار الدين احمد: 2/ 411

ابو نصر البراق وليلى العفيفة

وهو ابو نصر البراق بن روحان بن أسد بن بكر بن مرة من بني ربيعة. وهو من قرابة المهلهل وكليب كان شاعرا مشهورا من أهل اليمن، وهو جاهلي قديم توفي نحو سنة (150 ق هـ – 470م)[1].

أما ما جاء في قصته هو انه احب ابنة عمه يقال لها ليلى بنت لكيز[2] التي عرفت بـ (ليلى العفيفة). وهي فتاة حسنة الوجه كثيرة الأدب وافرة العقل. وقد خطبها البراق إلى أبيها لكيز فوعده بها. وقد كان والد ليلى لكيز يترد على ابن ذي صبهان ابن أحد ملوك اليمن وكان يجزل العطاء لوالد ليلى فطلب يد ليلى منه وقد جهز اليه بالهدايا السنية فانف ان يرد طلبه وأمل ان يكون الملك فرجا لشدائد قومه. فلما بلغ البراق خبر ليلى أتى إلى أبيه واخوته وامرهم بالرحيل فارتحلوا ونزلوا على بني حنيفة قومهم في البحرين. وثارت في اثناء ذلك حرب ضروس بين بني ربيعة قوم البراق وقبائل قضاعة وقتل كثيرون من الفئتين وتعاضمت الشرور. فاجتمع إلى البراق كليب بن ربيعة واخوته يستنجدونه وكان البراق معتزلا عنهم بقومه لرغبة لكيز عنه بابنته ليلى. وخاطبهم قائلا:

وهل أنا إلا واحد' من رَبيعةٍ أعُزِ إذاعَزُّوا وفَخرهُمُ فَخـرِي
سَأمنحكُمْ مِنّي الذي تَعرفُونـه' أشّمر' عن ساقي و أعلُو على مُهرِي
وأدعُو بني عّمي جميعاً واخوتي إلى موطنِ الهيجاءِ أو مَرتَع الكـرّ[3]

ثم ردهم خائبين ولم يوافقهم على القيام فيهم. ثم امر البراق قومه بالركوب وقال لهم: حثوا أفراسكم وقلدوا نجائبكم قلائد الجزع في الأستنصار.

ومن مآثر البراق الحميدة في تلك الحرب انه فك أسرى قومه ومنهم ليلى فأصطلحت بعد ذلك القبائل. أما عمرو بن ذي صهبان فانه أرسل إلى لكيز يستنجزه

---

[1] انظر الاعلام : 16/2، شعراء النصرانية، لويس شيخو: 141/1، وموسوعة الشعر العربي، مطاع صفدي، تحقيق احمد قدامة : 13/3، الادب القصصي عند العرب ، موسى سليمان: 83.

[2] شعراء والنصرانية: 148–150، تاريخ اداب اللغة: 145 ، المرأة في الشعر الجاهلي: 221، شهيرات النساء، خليل بدوي: 222.

[3] شعراء النصرانية: 141/1، وانظر موسوعة الشعر العربي: 17/3

وعده في أمر ابنته ليلى فلم ير بدا من إجابة دعواه إلا ان ملك فارس حال دون مرامه فطلب ليلى من عمرو بن ذي صهبان وارسل فرسانا سبوها في طريقها وحملوها إلى فارس مرغمة. فنما خبرها إلى البراق ورجع لكيز يستنصر بقومه فحشد البراق الفرسان وسار إلى فارس. ولم يزل يكد ويسعى حينا بالقتال وآخر بالكيت حتى خلصها من يد مغتصبيها وأعادها إلى ديار ربيعة فأثنى عليه وآله جميلا وتزوج البراق بليلى. وان موقف ليلى من كسرى الذي أراد الزواج منها فأبت وامتنعت عليه وأرسلت تستنجد بأهلها شعرا فقالت:-

ليتَ للبُراقِ عيناً فترى ما أقاسَي من بلاءٍ وَعَنَا
يا كُليبا ياعُقيلاً اخوتي يا جُنَيداً ساعِدوني بالبُكَا
...
وأحذرُوا العَارَ على أعقابِكم وعليكم ما بقِيتُمَ في الورى[1]

وقد توفيت ليلى نحو سنة (483م).

أما ما جاء من شعر البراق فإننا لسنا نقع على يمثل عاطفته الشديدة الملتاعة على ابنة عمه وهناك أبيات قالها يصف الديار بعد غياب ليلى عنها:

أَمِنْ دونِ لَيلَى ، عَوَّقَتنا العَوَائِقُ جُنُودٌ وقفْرٌ تَرتَعِيهِ النَّقَانِقُ
وَعُجمٌ، وأعرابٌ، وأرضٌ سَحِيقةٌ وحصنٌ ، ودورٌ دُونَها وَمَغَالِقُ
وغَرَبَهَا عَنِّي لُكَيزٌ بِجهلِهِ ولمَّا يَعُقهُ ، عند ذلكَ ، عائِقُ
وَقَلَّدَني ما لا أُطِيقُ ، إذاونتْ بُنُو مُضَرَ الحُمرُ، الكِرامُ ، الشَّقَائِقُ[2]

---

[1] شعراء النصرانية: 149/1

[2] المصدر نفسه: 145/1

امرؤ القيس وفاطمة (عنيزة)

وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور الكندي توفي نحو سنة (540م)[1].

وكثيرة هي المصادر التي تحدثت عن امرئ القيس وعن مغامراته العاطفية ولكن على الرغم من ذلك تبقى هناك تجربة أو مغامرة تكون متفردة وذات طعم خاص، وتكون تلك التجربة صادقة وحقيقية في عواطفها وهذا ما نجده عند امرئ القيس فعلى الرغم من مغامراته وتجاربه الكثيرة مع النساء التي حكي عنها ولكن تبقى قصته وتجربته العاطفية مع ابنة عمه المسماة فاطمة أو عنيزة ذات مذاق خاص ومتفردة في عواطفها حيث يصف ان قتيبة (ت 276هـ) امرأ القيس بأنه يعد (من عشاق العرب ، والزناة))[2].

ويبدو لنا ان نعت امرئ القيس بانه من عشاق العرب – باعثة حبه لابنة عمه– اما نعته بانه من الزناة. فباعثه هو لهوه وعبثه ومجونه مع بقية النساء اثر اخفاقه بكسب ود ابنة عمه (فاطمة).

وان تعدد أسماء النساء، وذكر المغامرات لدى امرئ القيس لا يعني بالضرورة ان تكون أسماء لمحبوبات احبهن امرؤ القيس أو تعرف عليهن أصلا وذلك لان الكثير أو العديد من الشعراء قد ذكروا أسماء لنساء وهم لم يتعرفوا عليهن أصلا فنجد ابن رشيق (ت 456هـ) يقول ((للشعراء أسماء تخف على ألسنتهم ويحلو في أفواههم ، فهم كثيرا ما يأتون بها زورا نحو ليلى، وهند، وسلمى، ودعد، ولبنى، وعفراء ،واروى، وريا، وفاطمة ، ومية وعلوة، وعائشة ، والرباب، وجمل،وزينب ، ونعم، وأشباههن))[3] فهذا النص يدل على ان الشعراء كانوا يصرحون بأسماء لم

---

[1] انظر طبقات فحول الشعراء، ابن سلام ، تحقيق محمود محمد شاكر : 52/1، والشعر والشعراء 50/1، والاغاني (دار الكتب) : 9/ 77، وتجريد الاغاني ، للحموي، تحقيق طه حسين وابراهيم الابياري : 1029/3 والاعلام : 352/1، خزانة الادب ، للبغدادي: 160/1، و 609/3–612، والاشباه والنظائر ، للخالديين ، تحقيق محمد يوسف : 19/1، 21/2، الحماسة البصيرية: 48/1،47، 79/2، 87.

[2] الشعر والشعراء : 64/1

[3] العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محي الدين عبد الحميد : 2/ 121–122

يكونوا يعنون بها حبيباتهم وقد يعود هذا الاستخدام إلى اسباب منها ((ان الشاعر كان يعمد إلى تنويع الأسماء ليخفي اسما حقيقيا لا يريد البوح به))[1]. أو ربما يعمد الشاعر إلى ذكر تلك الأسماء من اجل إثارة غيرة المحبوب كما فعل امرؤ القيس في العديد من الآبيات في معلقته لإثارة غيرة ابنة عمه التي كانت تتمنع عليه وقد كان طالبا لها. إذا ليس من المسلم به ان كل الأسماء التي وردت في شعر امرئ القيس هي دليل على وجود علاقة معهن جميعا ويجب ان لا ننسى ((تأثير البيئة التي نشأ فيها شاعرنا فنجعله كل شيء ونضيف إليه كل شيء. ونمحو تلك البيئة التي نشأته وكونته وتضافرت على تربية جسمه وعقله ومشاعره))[2]. حيث وجدنا ((الشاعر العربي يسمي حبيبته باسمها وباسم غيره في القصيدة الواحدة))[3]. وقد ذكرنا الصفحات المتقدمة من هذا الفصل انه كانت توجد فرص للقاء الفتيان بالفتيات ولكن على الرغم من ذلك كانت هناك قيود كثيرة موجودة في العصر الجاهلي فهي لا تتيح لهم التعرف على المرأة عن كثب أو التكلم معها بصورة مباشرة وذلك حفاظا على العادات والتقاليد.[4] وإنما كانت اكثر فرصهم لقاءات عابرة ونظرات من بعيد لذلك نجد اغلب أشعارهم جاءت عبارة عن وصف لمعالم المرأة الخارجية.

ونجد ان من بين الاسباب التي دعت والد امرئ القيس إلى طرده لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع.[5] وقد كان ((عاشقا لها فطلبها زمانا، فلم يصل إليها ، حتى كان يوم الغدير وهو يوم دار جلجل))[6]. وقد انشد لاميته المشهورة في هذه الحادثة التي مطلعها :

---

[1] دراسات نقدية في الادب العربي، محمود عبد الله الجادر: 68

[2] امير الشعراء في العصر القديم ، محمد صالح سمك : 34

[3] وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، حياة جاسم : 192

[4] انظر الحب في التراث العربي : 18

[5] انظر العمدة ، ج43/1، معلقات العرب ، بدوي طبانة: 65، والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، /360، وشرح شواهد التلخيص ، للعباسي، 5/1 ، وخزانة الادب : 160/1، حيث قال انما طرده لتشبيبه بهرة وهي ام الحويرت وكانت زوجة والده فلذلك كان طرده وهم بقتله من اجلها.

[6] الشعر والشعراء، 65/1.

قِفَانَبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ بِسقطِ اللّوى بين الدَّخُولِ وحَومَلِ[1]

وقد كان امرؤ القيس يطلب ملاقاة عنيزة ابنة عمه ولكنها قد حظر عليه لقاؤها وقد منعوه منها ((لما عرفوا من رغبته في الشعر وخشيته ان يجري ذكرها في إحياء العرب على السنة الرواة ، فيظن الناس بها الظنون))[2] .

ان طرد امرئ القيس من قبل أبيه دفعه ((للبحث عن المتع الجسدية عند المرأة))[3]. في الشطر الأول من حياته . وان امرأ القيس ((لم يدع امرأة أعجبته الا شبب بها وتغزل فيها))[4]. وعلى ما يبدو ان هذا السلوك ناتج عن الاضطراب العاطفي كما يروي الرواة من انه كان مكروه من النساء رغم كل هذا الادعاء الصارخ الذي تمتلئ به قصائده ،ومن المرجح ان مثل هذا الشعور الذي يرتبط باضطراب علاقته بابيه وحنينه المرضي إلى امه قد انتج لديه هذه المبالغة بالإحساس بالمرأة واللذة دون تورع أو حرج.[5] ومع ذلك فان شعره لم يخل في بعض المواضع ((من عاطفة حب صادق))[6]. فهو ((شاعر وجداني قدمه النقاد على معاصريه من شعراء الجاهلية وعلى جميع الشعراء الذين جاءوا بعده))[7] وأخيرا فان الحب يبقى دائما قادرا على تفسير ما يعجز الواقع عن تفسيره وإضفاء الإثارة والحيوية على وقائع تأريخية غامضة تحتاج عناصر ومواد تشويق تجعلها اكثر درامية وتقبلا.

وان العديد من القصص التي لها اصل تاريخي ، لم يحافظ على نقاوتها وأصالتها فيدخل عليها عناصر من الخيال فتتحول إلى أساطير لا تمت إلى الحقيقة بشيء[1].

---

[1] ديوان امرئ القيس: ق8/1

[2] معلقات العرب : 83 ، وانظر تاريخ اداب اللغة : 111/1

[3] ملامح السرد القصصي في الشعر العربي قبل الاسلام، حاكم حبيب ، رسالة تقدم بها إلى كلية الاداب جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير ،1986 : 146

[4] دراسة الشعراء ، محمد حسن نائل المرصفي : 7

[5] انظر دروس ونصوص في قضايا الادب الجاهلي، عفت محمد الشرقاوي : 249

[6] ملامح السرد القصصي: 146

[7] تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ : 1/ 117

[1] انظر المفصل : 373/8

خزيمــة بن نهـــد وفاطمـــة

ان بعض القصص التي تروى عن العشاق قد تكون مضربا للأمثال وذلك ((لتوفر عنصر الحوادث والحوار والشخوص))[1] فيها وهذا ما وجد في قصة خزيمة بن نهد الذي ضرب المثل في قصته. يقال ((حتى يؤوب قارظ عنزة))[2]. وقيل ((ما القارظ العنزي آبا))[3].

وهو خزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود اسلم بن الحاف بن قضاعة شاعر مقل من قدماء الشعراء في الجاهلية. وكان يتعشق فاطمة وهي فاطمة بنت يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار[4].

وكانت قبيلتا العاشقين تلتقيان في مواسم الغيث والكلأ ويفرقهما النجع فتظعنان فيهيج الشجن في قلب الشاعر. فيصور هذا الفراق واللقاء في شعره.[5]

أما أحداث قصته فترويها المظان الأدبية وخلاصة فحواها. ان خزيمة ابن نهد ين زيد كان مشؤوما فاسدا ، متعرضا للنساء فتعلق فاطمة بنت يذكر بن عنزة ، فشبب بها وقد طلبها ولم يقدر عليها فاجتمعوا في مربع فلما تجرم الربع ارتحلت فرجعت إلى منازلها فقيل يا خزيمة لقد رحلت فاطمة. قال أما إذا كانت حية ففيها اطمع وانشأ القصيدة التي قال فيها:

إذا الجَوزَاءُ أَرَدفتْ الثُّريا ظننتُ بآل فَاطِمةَ الظُّنُونا
ظننتُ بها وظنَّ المرءِ حُوبٌ وأَن أَفِي وان سكن الحَجُونا
وحالتْ دونَ ذلكَ من هُمُومي هُمُومٌ تُخرِجُ الشجنَ الدَفِينا
أَرى أَبنَةَ يَذكُر ظَعَنت، فحلت جَنوبَ الحَزن ياشحطاً مُبِينا[6]

---

[1] الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، مصطفى عبد اللطيف : 85

[2] معجم ما استعجم، للبكري ، تحقيق مصطفى السقا : 20/1

[3] المستقصى في امثال العرب، للزمخشري : 127/1

[4] انظر الاغاني (طبعة دار الثقافة): 75/13، ومعجم ما استعجم: 19/1 ، وصحيح الاخبار ، محمد بن عبد الله : 6/3 ، ولب اللباب في تحرير الانساب، للسيوطي : 93/1 ، والمفصل: 487/9-488.

[5] انظر تراث الحب : 134

[6] الاغاني : 75/13، وانظر الازمنة والامكنة، للمرزوقي : 130/2، ومعجم ما استعجم : 19/1 ، ولسان العرب: (قرظ) 63/2 ، وصحيح الاخبار : 6/3.

وقد خطبها من أبيها فلم يزوجه إياها. فمكث زمانا ولم يزل عند رأيه وقد بلغ شعره ربيعة، فرصدوه ، حتى اخذوه وضربوه ، ثم التقى خزيمة ويذكر وهما يجتنيا القرظ – نبات يفيد في بعض المواد الصناعية– وقد مرا ببئر فاستقيا فسقطت الدلو فنزل يذكر ليخرجها فلما صار إلى البئر منعه خزيمة الرشاء وقال زوجني فاطمة قال: على هذه الحال اقتسارا؟ قال أخرجني افعل، وأبى ان يفعل فتركه وانصرف فمات وهذا أحد القارظين وأما الآخر فهو رهم بن عامر بن عنزة. وقد ضرب المثل بهما فتقول العرب ((حتى يؤوب قارظ عنزة))[1]. أو قولهم ((إذا ما القارظ العنزي آبا))[2]. وهو مثل يضرب للغائب الذي لا يرجى إيابه.

ولما رجع خزيمة – وليس معه يذكر – سأله عنه أهله ، فقال : لست ادري، فارقني وما ادري اين سلك. فكان في ذلك شر بين قضاعة وربيعة. وتكلموا فيه فاكثروا، ولم يصح على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاةٌ كَأَنَ رِضابَ العبيرَ بِفِيها يُعلّ به الزَنجبِيلَ
قتلتُ أباها على حُبِّها فتبخلُ أن يَخلفُ أو تنيلَ[3]

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيان فاقتتلوا وصاروا أحرابا ، ولما ثبت ان خزيمة بن نهد قتل يذكر بن عنزة تقاتلوا فهزمت قضاعة وقتل خزيمة بن نهد وخرجت قضاعة متفرقة. وقد ذكر ابو ذؤيب القارظان فقال :

وحتى يَؤوبَ القارظانِ كلاهما وينشرُ في القتلى كُليبُ لوائلِ[4]

---

[1] معجم ما استعجم : 20/1، صحيح الاخبار: 7/3 .

[2] جمهرة الامثال ، ابو هلال العسكري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش: 123/1 ، وانظر فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، للبكري ، تحقيق احسان عباس و عبد المجيد عابدين: 373.

[3] الاغاني : 76/13.

[4] ديوان الهذليين ، ابو سعيد السكري : 145/1.

المرقش الأكبر واسماء

كثيرة هي أخبار العشاق ولا سيما ((أخبار العشاق الذين مرضوا وماتوا أو جنوا وهاموا على وجوهم))[1]. ومن هؤلاء العشاق الذين ماتوا شاعرنا المرقش الأكبر. وهو أحد من قال شعرا فلقب به[2]. حيث قال:

الدَّارُ قَفْرٌ والرَّسومُ كما رَقَشَّ في ظهرِ الأديمِ قَلَمْ[3]

وقيل ان المرقش لقب غلب عليه ((لتحسينه شعره وتنميقه))[4]. وهو عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن بكر بن وائل.[5] وهو احد ((عشاق العرب المشهورين))[6]. وكان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك ، وهو من الشعراء المقدمين ، ويختلف عن اكثر شعراء الجاهلية بأنه مات عشقا. وقد توفي نحو سنة (552 م). أما ما كان من خبر المرقش الأكبر[7]. انه عشق ابنة عمه يقال لها أسماء. وقد علقها وهو غلام، فخطبها إلى أبيها ، فقال له : لا أزوجها حتى تعرف بالناس ، ثم انطلق المرقش إلى ملك من الملوك ، وكان عنده زمانا، فأجازه.

---

(1) الحب بين تراثين : 96

(2) انظر البيات والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : 374/1، وامالي القالي :246/2، سمط اللآلئ في شرح امالي القالي ، للبكري، تحقيق عبد العزيز الميمني : 873/2، وخزانة الادب : 514/3 – 515 ، تجريد الاغاني: 572/2 ، والمزهر ، للسيوطي : 435/2 ، الاشباه والنظائر:110/2 ، الحماس البصرية : 86/1، معجم القاب الشعراء ، سامي مكي العاني : 222 ، المفضليات ، وثيقة لغوية وادبية ، علي احمد علام : 295 .

(3) شعر المرقش الأكبر: ق884/10.

(4) الشعر الجاهلي ، قضاياه الفنية والموضوعية ، ابراهيم عبد الرحمن : 151.

(5) انظر ديوان المفضليات ، شرح الانباري : 257 ، والمفضليات ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون: 221 ، والاغاني (طبعة دار الكتب): 127/6 ، والمؤتلف والمختلف ، للآمدي ، تحقيق عبد الستار احمد فراج: 281 ، والعمدة : 87/1 ، جمهرة انساب العرب ،ابن حزم، تحقيق عبد السلام محمد هارون : 319 ، ومعجم الشعراء ، المرزباني ، تحقيق عبد الستار احمد فراج: 4 ، والاعلام : 575/5 ، والمفصل : 9 /460.

(6) الشعر والشعراء : 138/1، وانظر شرح شواهد التلخيص : 163/1 ، سمط اللآلئ : 28/1 ، مصارع العشاق ، ابن السراج : 227/1 ، الظرف والظرفاء : 73/1.

(7) انظر القصة في الشعر والشعراء : 138/1 ، الاغاني : 127/6، ومصارع العشاق : 227/1 ، وتزيين الاسواق: 160/1، وشرح شواهد التلخيص : 163/1 ، وتاريخ اداب اللغة :136/1 ، تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ : 139/1، تاريخ الادب العربي قبل الاسلام: 239.

وان الغلاء وقع بالبادية وطرقها جدب فقدم مرادي على عوف والد أسماء فخطبها منه فزوجها إياه على مائة ناقة واحتملها إلى قومه، ورجع المرقش، فقال اخوتها : لا تخبروه إلا إنها ماتت وذبحوا كبش فأكلوا لحمه، ودفنوا عظامه، وعندما قدم المرقش اخبروه بموت أسماء، واتو به إلى موضع قبرها، وكان بعد ذلك يعتاده ويزوره وبينما هو مضطجع في أحد الأيام وقد تغطى بثوبه، وابنا أخيه يلعبان بكعاب لهما، اذ اختصما في كعب فقال أحدهما: هذا كعبي اعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه، وقالوا: إذا جاء مرقش أخبرناه انه قبر أسماء فكشف مرقش عن رأسه، ودعا الغلام وسأله عن الخبر فاخبره فعزم الرحيل إلى ارض المرادي وقد اخذ معه وليدة له وزوجها غفيلة وفي أثناء الطريق مرض المرقش حتى صار لا يحمل إلا معروضا، وقد نزلا كهفا بأسفل نجران ، وهي ارض المرادي، وقد سمع المرقش قول الغفلي لزوجته بان يتركانه لأنه قد هلك سقماً. وألح الغفلي على زوجته في الرحيل ، وفي أثناء ذلك كان المرقش يكتب على مؤخرة الرحل:

ياصاحبّي تَلوّما لا تعجَلا إنّ الرحيل رهينٌ أن لا تعذلا
فلعلّ بُطأكما يُفرطُ سيئاً أو يُسبقُ الإسراعُ سيباً مقبلا
يا راكبا إمّا عرضتَ فبلغنَ أنسَ بن سعد إن لقيتَ وحَرمَلا
لله درُّكما ودَرُّ أبيكما إن أفلتَ الغُفلِيُّ حتى يُقتلا
من مُبلغُ الأقوام أن مُرّقِشاً أمسى على الأصحاب عِبئاً مُثقلاً
ذهب السِباعُ بأنفه فتركنه أعثى عليه بالجيالِ وجئلا
وكأنما تَردُ السباعُ بشِلوهِ إذ غابَ جمعُ بني ضُبَيعة مَنهلا[1]

ورجع الغفلي وامرأته إلى أهلهما ، وقالا: مات المرقش ونظر حرملة إلى الراحلة، وجعل يقلبه. فقرأ الابيات، فدعاهما وخوفهما وأمرهما ان يصدقاه ، ففعلا، فقتلهما، وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المرقش.

أما ما كان من حال المرقش فانه قد بقى في الكهف وكان يتردد على الكهف راع من مراد فلما ابصر المرقش قال له الراعي: من انت؟ وما شأنك ؟ فقال له

[1] شعر المرقش الأكبر :ق1/ 873.

المرقش: انا رجل من مراد ، ثم سأله عن اسم الشخص الذي يرعى له غنمه فإذا هو زوج أسماء الحبيبة فقال له: هل تكلم مولاتك؟ قال: لا. ولا ادنوا منها. ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فاحلب لها عنزا، فآتيها بلبنها. فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبت فالقيه في اللبن فإنها ستعرفه ، وانك مصيب به خيرا لم يصبه راع قط. فاخذ الراعي الخاتم، فلما حلب العنزة وضع الخاتم في القدح، وانطلقت به الجارية ووضعته بين يدي أسماء، أخذته أسماء فشربته ، فقرع الخاتم ثنيتها ، فأخذته واستضاءت به بالنار فعرفته، وجعلت تستنطق الجارية والراعي، ثم أرسلت إلى زوجها فركبوا جميعا إلى المرقش ، فحملوه وبه رمق ، ثم لم يلبث ان مات بين يدي أسماء وهو ينشدها قصيدته[1]

سَرى ليلاً خيالٌ من سُليمى فأرّقني وأصحابي هُجودُ
فبتُّ أديرُ أمري كلَّ حالٍ وأرقُبُ أهلها وهم بعيدُ[2]

فدفن في ارض مراد ولحقت به أسماء بعد ذلك.

[1] الاغاني (طبعة دار الكتب):127/6

[2] شعر المرقش الأكبر: ق874/2.

المرقش الأصغر وفاطمة بنت المنذر

هو ربيعة بن سفيان ين سعد بن مالك بن ضبيعة ابن اخ المرقش الأكبر وتوفي نحو سنة (570 م)[1]. ويعد واحدا من عشاق ومتيم العرب المشهورين وفرسانهم[2]. وكان مغامرا قليل الغيرة [3] .والمرقش الأصغر اشعر المرقشين وأطولهم عمرا.[4] وكان اجمل الناس وجها وأحسنهم شعرا وكان يعشق فاطمة بنت المنذر الثالث ملك الحيرة وله معها قصة غرام طويلة، ومن شدة عشقه لها ضربت العرب المثل به حيث قالت: ((أتيم من المرقش))[5]. حيث بلغ من أمره أخيرا انقطع إبهامه بأسنانه وجدا عليها ، وان المرقش كان راعيا لا يفارق ابله، وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق قصرها بكاظمة وتنظر إلى الناس ، فإذا بها في أحد الأيام ترى المرقش الأصغر وقد دخل عند جاريتها بنت عجلان ، وفي اليوم التالي سألت جاريتها عن الرجل الذي دخل عندها، فحدثتها به، وقد تعلقت به فاطمة عندما رأته. فطلبت من جاريتها ان تدخله عليها وكان لا يدخل عليها أحد ولكن ابنة عجلان تحايلت فأدخلته عند فاطمة، فعندما رآها المرقش عشقها ، ولكن لقلة غيرته على محبوبته ارتكب خطأ جعله نادما فعض على إصبعه فقطعه ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه، حياء مما صنع.[6] وقال المرقش في ذلك :

---

[1] ديوان المفضليات : 493، وانظر الاغاني (طبعة دار الكتب): 136/6 ، والمؤتلف والمختلف: 281 ، معجم الشعراء :4 ، العمدة : 87/1 ، جمهرة انساب العرب : 319، جمهرة اشعار العرب، ابو زيد القرشي : 545/2، تجريد الاغاني : 752/2 ، الاعلام : 41/3 ، المفصل : 662/9، معجم القاب الشعراء : 222.

[2] المفضليات ، تحقيق عبد السلام محمد هارون : 241 ، وانظر الشعر والشعراء : 142/1 ، الظرف والظرفاء: 43/1 ، الحب في التراث العربي:311 .

[3] تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ : 145/1

[4] الاغاني : 136/6، وانظر شعراء النصرانية : 328/3، والمفضليات وثيقة لغوية وادبية: 141.

[5] مجمع الامثال ، للميداني،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : 148/1 ، وانظر المستقصي في امثال العرب : 38/1.

[6] انظر الاغاني : 136/6–139، وتجريد الاغاني : 756/2–759.

ألا يا أسلمي لا صُدرمَ لي اليومَ فاطما ولا أبداً مَا دامَ وصُلكِ دائمـا
رمتكَ أبنةُ البكري عن فرع ضالـةٍ وهُنّ بنا خُوصٌ يُخلن نعائمـا
....
ألم تر أنّ المرءَ يَجـذمُ كفّـهُ وَيجشمُ من لومِ الصديقِ المجاشما
أمن حَلُمِ أصبحتَ تنكتُ واجمـاً وقد تعتري الأحلامُ من كان نائما [1]

[1] شعر المرقش الاصغر :ق2/ 534-537. وانظر الاصمعيات : 153 .

عبد الله بن العجلان وهند

وهو عبد الله بن العجلان بن الأحب بن عامر بن صباح بن نهد. وهو شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء وقد قتله العشق توفي نحو سنة (574م)[1] وقد قال عنه الجاحظ (ت255هـ) بانه قد ((قتلته هند))[2]، أما ابن قتيبة (ت276هـ) فقد وصفه بأنه ((من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقا))[3]. وقد عشق هند بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي[4].

وقد تزوجها وكانت احب الناس اليه، ولكن التفريق قد حال بينهما فمات لذلك يقال((الترويع بالفراق هو السهم الذي لا يعدل عن مقاتل العشاق))[5] ونرى ان الكثير من الشعراء أو الرجال كانوا ((شديدي التعلق بأزواجهم يقدسوهن ويتعشقونهن))[6]. وان قصة عبد الله هي قصة الزوج الذي يعاديه أبوه في زوجته التي لا تلد ويرجو هذا الأب ان ينصاع له ولده وينفذ ما يطلبه. فينصاع الابن ويصوب سهم التسريح إلى زوجته، التي يندم عليها فيما بعد. وإننا ((لا نعدم في أخبار الجاهلين صورة نادرة لاستحواذ العاطفة على القلب وغلبتها على المشاعر حتى تصل بصاحبها إلى الموت))[7]. ولم تكن قصة فراق الزوج عن زوجته مقصورة على العصر الجاهلي بل شملت العصور اللاحقة[8]. وقد تواردت قصته في العديد من المصادر القديمة والحديثة[9].

أما ما جاء في قصته انه كان متزوجا من هند بنت كعب بن عمرو ، وكان سبب اعتلاقه بها ، انه خرج يوما إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء بقال له

---

(1) الاغاني (طبعة دار الثقافة):245/22 ، المبهج، ابن جني :55، الاعلام :ج238/4 ، سمط اللآلئ :738.

(2) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون: 104

(3) الشعر والشعراء:604/2 ، الظرف والظرفاء: 43/1، موسوعة الشعر العربي : 189/3.

(4) تزين الاسواق:141/1.

(5) الزهرة:155/1.

(6) المرأة في الشعر الجاهلي:146.

(7) دراسة الحب في الادب العربي: 20.

(8) انظر العشاق الثلاثة: 20.

(9) انظر الاغاني: 245/22، ذم الهوى:532، تزيين الاسواق:140/1،وانظر تراث الحب:136، المرأة في الشعر الجاهلي:122.

نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده لتستحم فيه، فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة ، فمكث ينظر إليهن متخفيا فصعدن حتى بقيت هند، وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه فعندما رآها عبد الله بن عجلان تعلقها وخامره من حبها.[1] فانشد قائلا:

لقد كنتُ ذا بأسٍ وهمــةً إذا شئتُ لمساً للثُريا لمستُها

أتتني سِهامٌ من لحاظٍ فأرشقت بِقلبي ولو أستطيعُ ردَّ أرددتُها[2]

ثم قال هذه والله الضالة التي لا ترد ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبره صديقا له ، فقال: اكتم ما بك وأخطبها إلى أبيها فانه يزوجك بها وان أشهرت عشقها حرمتها ففعل وخطبها فأجيب وتزوج بها. فمكث معها سبع سنين أو ثمانية ولم تلد، فقال له أبوه: انه لا ولد لي غيرك، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر فطلقها وتزوج غيرها، فأبى ذلك ، وقد عمد إليه يوما وقد شرب عبد الله الخمر حتى سكر وهو جالس مع هند فأرسل إليه أبوه فمنعته هندا ، وقالت: والله لا يدعوك لخير وما أظنه الا عرف انك سكران فيريد ان يعرض عليك الطلاق ولئن فعلت لمت وأظن انك فاعل ، ومضى إلى أبيه فعاوده الأمر فأطاع والده فطلقها وبعد ذلك اصبح أسف عليها أسفا شديدا فلما رجعت إلى ابيها خطبها رجل من بني نمير فزوجها أبوها منه وأخرجها إلى بلده.[3] فقال ابن العجلان:

فارقتُ هنداً طائعاً فندمتُ عند فراقِها

فالعين تُذري دمعةً كالدّرّ من آماقها

مُتحلّياً فوق الردا ء يجول من رَقراقها

خود رادحٌ طفلـةٌ ما الفحشُ من أخلاقِها

ولقد ألذّ حديثها وأسرُّ عند عناقِها[4]

---

[1] انظر تزيين الاسواق:141/1.

[2] المصدر نفسه : 141/1.

[3] انظر الاغاني (طبعة دار الثقافة): 245/22.

[4] المصدر نفسه :246/22.

ولم يزل شوقه ينمو ووجده يسمو حتى لزم الوسادة. وان قوم النمير وهم بني عامر كانت بينهم وبين بني نهد ثارات ودماء. فأراد عبد الله الذهاب إلى بني نمير لرؤية هند ، ولكن حذره أبوه من ذهابه لئلا يقتلوه فأبى ذلك وخرج سرا حتى آتاها ، فرآها جالسة على حوض وزوجها يسقي إبلا له، فلما تعارفا شد كلا منهما على صاحبه ودنا منه حتى اعتنقا وسقطا إلى الارض. فجاء زوجها فوجدهما ميتين.[1]

ومن أشعاره فيها:

ألا أنَّ هنداً أصبحتْ مِنكَ محرماً أصبحتَ من أدنى حَمُوتَّها حَما

فأصبحتَ كالمقمورِ جَفنَ سلاحهِ يُقلَّبُ بالكفّينِ قوساً وأسَّهُما [2]

وقال ايضا:

حِجازِي الهوى علقَ بِنجـدٍ ضَمين لا يعيش ولا يمـوتُ

تخالُ فُؤادهُ كفيّ طريــد كأنما بِشاطئ البحرِ حُـوتُ[3]

---

[1] تزيين الاسواق: 142/1.

[2] الاغاني (دار الثقافة):53/9، ترجمة (مسافر بن ابي عمرو) ، وانظر ذم الهوى:503، وديوان الحماسة، ابو تمام ، شرح التبريزي :80/2، مصارع العشاق:21/1.

[3] الحماسة البصرية:115/2.

عنترة بن شداد وعبلة

يقال في العشق ((هو نزوع إلى السكينة وهذا يتعارض مع تربية الفارس)) [1]. ونجد ان الشاعر العاشق سواء اكان بدوياً أم حضرياً يغلب عليه الميل إلى امرأة واحدة سواء كانت تبادله الحب ام لا وإننا نجد ((ان عنترة مثلا قد وقفت سعادته على الزواج بعبلة))[2]. وظل يتوق إليها ((فمن اجل هذا الحب يعيش عنترة ومن اجله يحارب ويناضل ومن اجله يموت ميتة الأبطال))[3]. فان هذا الحب يمثل ((جانبا كبيرا من جوانب الحياة عند عنترة لأنه يمثل الفروسية الشريفة التي هيأت مثلها الرفيعة لظهور الغزل العذري عند العرب))[4].

فهذا هو بطلنا عنترة بن شداد بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن عبس [5]. وهو أحد اغربة العرب لان أمه كانت سوداء[6] . وقد توفي نحو سنة (615م) وقد كان ((مغرما بابنة عمه عبلة فقل ان تخلو له قصيدة من ذكرها))[7]. وهو فارس من فرسان العرب في الجاهلية. أما ما جاء في قصته من انه عشق ابنة عم يقال لها عبلة وبما انه كان من اغربة العرب – وهو لقب يطلق على السود – ولان أمه كانت أمة سوداء يقال لها زبيبة. وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبدوه [8]. لذلك كان من الصعب على عنترة الظفر

---

[1] الغزل العذري ، دراسة في الحب المقموع:13.

[2] تاريخ الادب العربي، عمر فروخ:82/1.

[3] الادب القصصي، موسى سليمان: 99.

[4] الفروسية في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي: 288.

[5] طبقات فحول الشعراء:152/1، وانظر الاغاني(طبعة دار الثقافة):235/8، وطبعة (دار الكتب):220/9، وامالي القالي :245/2، المؤتلف والمختلف:225، الاشباه والنظائر :2/1و19، ج237/2، جمهرة اشعار العرب، ابي زيد القرشي: 403/2، مختارات الشعر الجاهلي، شرح وترتيب عبد المتعال الصعيدي:329، تجريد الاغاني: 966/3، خزانة الادب:62/1، ونزهة الجليس ومنية الاديب الانيس، العباس بن علي:163/1.

[6] الشعر والشعراء:172/1 ، المحبر، محمد بن حبيب، تحقيق د.ايلزة ليختن :307 ، انظر تاريخ الادب العربي، عمر فروخ:207/1، تاريخ اداب اللغة :113/1.

[7] الاعلام:269/5.

[8] الشعر والشعراء: 171/1، الاغاني :237/8.

بابنة عمه الحرة إذا هو ((عشق محرم اجتماعيا نتيجة لعوامل البيئة والأعراف والسنن العربية أيام جاهليتها))[1]، فوجب على هذا العبد ان يتخذ من الفروسية طريقا للتخلص من أغلال العبودية ويحصل على اعتراف أبيه به وبعد ذلك يقربه هذا الاعتراف ممن يحب ويعشق وينال قلبها. وبالفعل قد حصل عنترة بن شداد على حريته بعد ان وعده والده بان يعترف به ان هو ساعد القبيلة في التصدي لطي حيث قال له أبوه : كر يا عنترة ، فقال: أو يحسن العبد الكر! فقال له ابوه : العبد غيرك فاعترف به.[2] ولكن يبقى السؤال هو هل ان عنترة حصل على قلب عبلة أم لا؟ وهل تزوج منها ؟ ذلك ما لم تقطع لنا المظان الأدبية به الشك. ومهما يكن من أمر فان عشق عنترة واضح كوضوح الشمس الناصع بضوئها والدليل على ذلك الأشعار التي تغنت بحبه وعشقه الأبدي لابنة عمه عبلة ومن ذلك قوله:

يا دّارَ عبلةَ بالجواءِ تكلَّمي وَعِمِي صباحاً دّارَ عبلةَ وأسلمي
دّارٌ لآنسةٍ غَضيضِ طَرفُها طوعِ العناقِ لذيذةِ المُتبسّمِ
فوقفتُ فيها ناقتي وكأنّها فَدَنٌ لأقضي حاجةَ المُتلـوّمِ
وتُحلُّ عبلةُ بالجواءِ وأهلنا بالحزنِ فالصَّمانِ فالمُتثلَّـمِ[3]

ويرى احدهم ان ((لعنترة مكانة في الفروسية عند العرب. كمكانة أخيل عند الإغريق))[4]. ونجد في شعر عنترة ((آثار العظمة النفسية التي رضها ذلك الفارس العربي الذي اصبح اسمه علما على الشجاعة والنجدة، وعنوانا على الحب الصادق، والبذل والسخاء))[5]. لذا ترى ان ذكراه ما زالت عالقة بالأذهان

وقد اتخذت من ((أخباره نواة للملحمة المعروفة باسمه والتي يمكن ان تعد إلياذة العرب))[1].

---

[1] سيرة عنترة بن شداد، دراسة تحليلية ، احمد محمد الشحاذ، رسالة دكتوراه اجازتها كلية الاداب ، جامعة بغداد، 1979 : 207.

[2] الشعر والشعراء:173/1، وتجريد الاغاني: 967/3 .

[3] ديوان عنترة :ق183/1- 185.

[4] تاريخ العرب مطول ، فيليب حتي:121/1، وانظر :131.

[5] معلقات العرب:179.

[1] تاريخ الادب العربي ، العصر الجاهلي ، شوقي ضيف:370.

وان سيرته تمثل ((تجسيدا للقيم الرفيعة في حياة الصحراء تتعشقها الجماهير العربية حتى الساعة))[2].

[2] حب وبطولة، سليمان العيسى:23.

بشر بن عوانة وفاطمة

واسمه بشر بن عوانة العبدي، وقد كان صعلوكا[1]. ويعتبر بشر بن عوانة من الذين ((اشتهروا بالصبوة والغزل))[2]. وقد جاء في قصته انه أغار على ركب فيه امرأة جميلة، فتزوج بها، وقال: ما رأيت كاليوم، فقالت:

أعجبَ بشراً حورٌ في عيني وساعدٌ أبيضُ كاللُّجينِ
ودونهُ مسرحَ طرفِ العينِ خَمصانَةٌ تَرفُلُ في حِجلينِ
أحسنُ من يمشي على رجلينِ لو ضمَّ بشرٌ بينها وبيني
أدامَ هجري وأطالَ بيني ولو يقيسُ زَينَهَا بِزيني
لأ سفرَ الصُّبحُ لذي عَينينِ[3]

قال بشر: ويحك من عنيت؟ فقالت: بنت عمك فاطمة، فقال أهي من الحسن بحيث وصفت؟ قالت: وأزيد، فأنشد قائلا :

ويحكِ يا ذاتَ الثَّنايا البيضِ ما خِلتُني منكِ بِمُستعيضِ
لاضُمَّ جَفنَاي على تَغميضِ إذا لم أشُلْ عِرضِي من الحضِيضِ
كم عاشقٍ في أثرِها ألحَّا وهي إليكَ أبنةُ عمٍّ لحَّا[4]

ثم أرسل إلى عمه فخطب ابنته- فمنعه أمنيته وإلى ان لا يبقى على أحد منهم باقية ان لم يزوجه ابنته وكثرت فيهم مضراته، فاجتمع أهل الحي إلى عمه وقالوا له: كف عنا مجنونك، فقال لهم: لا تلبسوني عاراً، واصبروا حتى أهلكه ببعض الحيل ثم ان عمه قال له: اني آليت ان لا أزوج ابنتي الا ممن يسوق إليها ألف ناقة حمراء ولا أرضاها الا من فوق خزاعة وكان في طريق خزاعة أسد يقال له ذادا وحية يقال لها أشجاعا. وكان غرض عمه ان يهلكه بأحدهما، فوافق بشر وسلك ذلك

---

[1] شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ، محمد محي الدين عبد الحميد:449، الاعلام:27/2، الصعلوك: أي اللص الفاتك، واصل الصعلوك الفقير المعدم ، ثم سموا ذؤبان العرب ولصوصها: صعالكة.

[2] الظرف والظرفاء: 43/1.

[3] شرح مقامات بديع الزمان:452-456، وانظر نزهة الجليس:338/1، وانظر تراث الحب: 129.

[4] نزهة الجليس :338/1.

الطريق فلما أنتصفه خرج عليه الأسد فنزل عن مهره وتمكن من قتله ثم كتب بدم الأسد على قميصه إلى ابنة عمه شعرا وأرسله مع عبده وهو:

أفاطِمُ لو شَهِدتِ ببطنِ خبْتٍ وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاهِ بِشْرَا

إذا لرأيتِ ليثاً أم ليثـاً هَزبراً أغلباً لاقى هَزبـرا

تَبَهنسَ إذ تُقاعَسَ عنهُ مُهرِي مُحاذرَةً، فقلتُ: عُقِرت مُهرا[1]

وهي أبيات طويلة. فلما بلغت الأبيات عمه ندم على منعه من تزويجها وخشى عليه من الحية فخرج على اثره حتى لحقه وقد سورت له الحية فلما رأى عمه أخذته الحمية فجعل يده في فم الحية وحكم فيها سيفه فلما قتل الحية قال له عمه: ارجع معي لازوجك ابنتي فلما رجع بشر إذا هو بغلام عرض عليه في الطريق. وبعد كلام بينهما حمل كل واحد منهما على الآخر. ثم اذن الغلام لبشر ان يمضي في أمان. ولكن بشر اشترط ان يفصح عن نفسه فقال الغلام: أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك، فقال بشر: هذه العصا من تلك العصية ولا تلد الحية الا حية. وحلف بشر الا يركب بعده فرساً، ثم زوج الغلام من ابنة عمه بعد ان عرف انه ابنه وحسن حاله ورغد عيشه.[2]

---

[1] الحماسة البصرية: 1/104-106، وانظر حياة الحيوان الكبرى، الدميري، تحقيق حسن الهادي حسين : 54/2.

[2] انظر شرح مقامات بديع الزمان: 479-484، وانظر نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس:339.

قيس بن الحدادية وام مالك (نعمى)

وهو قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد ضياطر بن صالح وهو من كنانة، والحدادية أمه وأبوه منقذ[1]. وكان فارسا شجاعا، فاتكا خليعا صعلوكا جاهليا[2]. وهو شاعر قديم كثير الشعر. وقد كان يهوى ام مالك بنت ذؤيب الخزاعي واسمها – نعمى –[3] وما جاء في قصته: قيل ان نعمى رأت قيسا يوما وقد ركب في ملعب وزينة ففخر على اكثر من حضر بالشجاعة فدعته للمحادثة وقد نزلت مع اتراب لها على متنزه فنزل وتحادثت معه ساعة فانتشأ الود بينهما ولم يزالا على ذلك مدة من الزمن إلى ان أجدبت أرضهم فارتحلوا منتجعين وافترقت القبيلتان، وقد كانت كنانة وخزاعة يتقاربون في المنزل لان بينهم نسبا فلما كان يوم من الايام نظرت كنانة إلى موضع ديارها فوجدوا البروق ملية والسحب فضية فعلموا ان الغيث عمها فارتحلوا إلى ان نزلوا بها فنظر قيس في مواضع خزاعة فتذكر اجتماعه بنعمى[4] فقال:

أجِدَّكَ أن نعمٌ نأت أنتَ جازعُ قد اقتربَتْ لو أنَّ ذلكَ نافِـعُ
قد أقتربَتْ لو أنَّ في قُربِ دّارِها نوالاً ولكن كلَّ من ضَنَّ مانِـعُ
وقد جاورتنا في شهورٍ كثيرةٍ فما نوَّلت واللهُ راءٍ وسامِـعُ
فإن تَلقينْ نُعمى هُديتَ فحيِّها وسَلْ كيف ترعى بِالمغيب الودائِعُ[5]

ثم لم يزل متعللا بالأماني يعتوره الخيال أياما إلى ان بلغه ان خزاعة بجبل بالشم من اليمن فارتحل حتى وقع بهم فقيل انه عند رؤيتها سقط ميتا[6]. وقيل قتل

---

[1] الامالي ، لليزيدي :153، وانظر الاشتتاق، ابن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون:470/1، والاغاني (طبعة دار الثقافة) :137/14، ومعجم الشعراء:202، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد الديجاوي :417/1، ولب اللباب :76/1.

[2] انظر الاختيارين، الاخنش الاصغر، تحقيق فخر الدين :216، الاعلام:61/6.

[3] انظر القصة في الاغاني:146/14، تزيين الاسواق:184/1، والحب في التراث العربي:333.

[4] انظر تزيين الاسواق: ج184/1.

[5] عشرة شعراء مقلون :ق37/9.

[6] تزيين الاسواق :ج158/1.

عندما التقى جمعا من مزينة يريدون الغارة. وقيل انه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها فقتلوه[1].

[1] انظر الاغاني:ج152/14.

(*) عبد الله بن علقمة وحبيشة

وهو عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة[1]. وصاحبته حبيشة بنت سعد بن اسلم من خزيمة قبيلة من اليمن وكانت رائعة الجمال وتحسن قول الشعر وتحفظه[2]. وقد كان في اوائل الهجرة[3]. أما سبب اعتلاقه بحبيش فهو:

ان عبد الله بن علقمة كان غلاما جميلا وقد نزل في احد الايام مع والدته ضيفا على أهل حبيش فاجلسوه، فخرجت حبيشة وعلى وجهها سب اخضر، ثم وقفت تحلب ناقة وهو ينظر فضرب الهواء السب، فكشف عن وجهها. وكانت طويلة جميلة. ثم جاءت اليه باللبن ليشرب فلما تناوله ارتعد حتى سقط من يده. ففطنت لما به ، وكان شابا كأنه القمر، فداخلها ما داخله. وانصرف وترك امه عند جارتها أم الفتاة. فلبثت عندهم يومين. ثم آتاها عبد الله ليرجعها إلى منزلها، فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحي، فازداد بها عجبا وانصرف بأمه في يوم ممطر[4]، فمشى معها شيئا ثم انشأ يقول:

وما أدري ، بلى أنّي لأدري أصَوبُ القَطرِ أحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيْشَةُ والذي خلق الهَدَايا وما عن بُعدها للصَّبِّ عَيشُ [5]

فسمعت ذلك أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله. ثم مشيا مليا، فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض فقال:

يا أمَّنا أخبريني غيرَ كاذبةٍ وما يُريد مَسُولُ الخَيرِ بِالكذبِ

(*) لقد اختلف بعض القدماء والمحدثين في عد الشاعر عبد الله بن علقمة جاهليا أو مخضرما لكننا توصلنا بما يقطع الشك باليقين انه مخضرم وانه شهد اوائل الاسلام واكد ذلك العديد من الدراسات منها دراسة محمد عبد القادر احمد في كتابه دراسات في ادب ونصوص العصر الاموي وايضا ان قصة مقتله دليل اخر على كونه مخضرم فقد قتل في حملة خالد بن الوليد التي ارسلها الرسول محمد (ص) إلى بني جذيمة بعد فتح مكة أي (عام 8هـ) . وليس كما ذكر د.جرجي زيدان بأنه شاعر من شعراء الدولة الاموية لانه مات قبل ان ينهي العصر الراشدي في فكيف به يبلغ العصر الأموي.

(1) الأغاني (دار الكتب):280/7، وانظر تجريد الأغاني :909/3، وتزيين الأسواق:153/1.

(2) شهيرات النساء:95.

(3) تزيين الاسواق :ج153/1.

(4) انظر مصارع العشاق: 314/1، وانظر تزيين الاسواق :153/1.

(5) انظر الاغاني: 280/7، الظرف والظرفاء: 68/1، مصارع العشاق:207/10.

حُبَيْشُ أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ لا بل حُبَيْشَةُ من درٍ ومن ذهبِ[1]

فزجرته امه وقالت له: ما أنت وهذا! نزوجك بنت عمك فهي اجمل من ذلك وأتت امرأة عمه فأخبرتها ان تزين ابنتها وتدخلها على عبد الله. فلما رآها اطرق، فقالت أمه آيهما احسن؟ فقال:

إذا غُيّبت عنّي حُبَيْشَةُ مرةً من الدَّهرِ لم أملك عَزاءً ولا صبرا
كأنَّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشُّهُ وقود الغَضَى والقلبُ مُستَعِـرَا[2]

وجعل يراسل الجارية وتراسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حُبَيْشَةُ هل جدّي وجدُّكِ جامعُ بشملكُمُ شَملي وأهلكُمُ أهلـي
وهل أنا مُلتّفٌ بثوبكِ مـرَّةً بصحراءِ بين الأُلَيتِين إلى النَّخلِ
وهل أشتفي من ريق ثَغرِكِ مرَّةً كراحٍ ومِسكٍ خالطا ضَرَبَ النَّحلِ[3]

فلما بلغ أهلها خبرها حجبوها عنه، وهو يزداد غراما، فحاول أهلها ان يضغطوا عليها لتسمعه ما يكره، فلم ينجحوا واتوها مرة فقالوا لها: عديه ليأتي عند السرحة فإذااتاك قولي له: نشدتك الله ان كنت احببتني فوالله ما على الارض شيء ابغض اليَّ منك. ونحن قريب نسمع. ففعلت فلما رأت ابن علقمة قادم دمعت عينها والتفتت إلى حيث أهلها جلوس، فعرف انهم قريب فرجع وبلغه ما قالوا لها ان تقول[4]. فانشأ يقول:

لو قلتِ ما قالوا لزِدتُ جَوَى بكم على أنَّه لم يبق ستّرٌ ولا صبرُ
ولم يُك حُبّي عن نوالٍ بذلتِـهُ فُيسليني عنه التجهُّمُ والهجرُ
سوى أن دائي منكِ داءُ مودةٍ قديماً ولم يَمزج كما تُمزج الحمرُ

---

[1] ذم الهوى :497.

[2] الاغاني: 281/7، وانظر تجريد الاغاني: 910/3.

[3] المصدر نفسه:281/7.

[4] مصارع العشاق: 207/10، وانظر ذم الهوى:297.

وما أنسَ بكِ أشياء لا أنس دمعها ودمعتها حتى يُغَيّبني القبرُ[1]

وبينما هما على اشد ما كان عليه من الهوى والصبوة، اذ هجم عليهم جيش خالد بن الوليد يوم (الغميصاء)[2]، فأخذ الغلام رجل من أصحاب خالد وأراد قتله ، فقال له : المم بي أهل تلك البيوت اقضي اليهن حاجة، ففعلت ما طلب فانتهى إلى خيمة منها، فقال: اسلم حبيش بعد انقطاع العيش، فأجابته فقالت: سلمت وحياك الله عشرا، وتسعا وتراً ولثلاثا تترى، ثم خرجت وعليها خمار اسود وكانت جميلة جدا. فقال لها:

أريتكِ أن طالبتُكم فوجدتُكمْ ببرزةَ ، أو إن لم تُفتني الخَرَانقُ

أما كانَ حقاً أن يَئُوَّلَ عاشِقٌ تكلّفَ إدلاجَ السُّرى وهو رَاهقُ[3]

فلما سمع الرجل ذلك أدركته الغيرة، فضربه ضربة. قطعت يده وعنقه ، فلما رأته حبيشة نزلت عنده فجمعته، وهي تبكي[4]. وانشأت تقول:

لا تبعدنْ ياعمرو حيّاً وهالكاً فحقّ بحسن المدح مثْلُك من مثلي

لا تبعدنْ يا عمرو حيّاً وهالكاً فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعلِ

مَدْمنِ لِطِراد الخيل تُشجَر بالقَنَا وللفخرِ يوماً عند قَرْقَرَةِ البُزْلِ[5]

وجعلت تبكي وتردد هذه الأبيات ثم شهقت فخرجت نفسها. ولما اخبروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك قال أما كان فيكم رجل رحيم[6].

---

[1] الاغاني:ج282/7، ذم الهوى:498.

[2] انظر التنبيه والاشراف، للمسعودي: ص268. والغميصاء : هو المكان الذي تم فيه قتال سرية خالد بن الوليد مع بني جذيمة قوم عبد الله بن علقمة وكانت هذه السرية قد بعثها رسول الله(ص) داعيا للاسلام ولم يأمره بالقتال لذلك فقد واداهم الرسول فيما بعد. وحدث ذلك بعد فتح مكة (8هـ)، وانظر ذم الهوى: 498.

[3] الظرف والظرفاء:70/1، وانظر مصارع العشاق (طبعة بيروت): 315/1،وتزيين الاسواق:154/1.

[4] انظر الزهرة، ابن داود : 352/1، ومصارع العشاق:316/1.

[5] الاغاني(دار الكتب): 284/7.

[6] انظر تزيين الاسواق: 155/1، وذم الهوى: 501، وانظر تراث الحب: 145.

عروة بن حزام وحبيبته عفراء

وهو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني ضبة بن عبد من بني عذرة[1]. ((وهو احد العشاق الذين قتلهم العشق))[2]. ومات عشقا في حدود الثلاثين للهجرة (650م) في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)[3]. وهو صاحب عفراء بنت مالك التي كان يهواها. وقد ضرب بعشق عروة المثل لانه أطولهم صبوة وأكثرهم في العشق كثرة[4].

وان عروة كان يتيما وتربى في حجر عمه حتى بلغ فعلق عفراء، وقد سأل عمه ان يزوجه اياها فوعده، ثم خرج عروة إلى عم له باليمن ليطلب من ما يمهر به عفراء لان امها سامته كثيرا في مهرها، وقد جاء إلى والد عفراء ابن اخ له يقال له (اثالة بن سعد بن مالك) وبينما هو جالس رأى عفراء فطلبها من عمه فزوجها اياه، وخرج بها إلى بلده. واقبل عروة راجعا، حتى إذا كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلة من ناحية المدينة فيها امرأة على جمل احمر، فقال لأصحابه والله لكأنها شمائل عفراء، فقال: ويحك! ما تترك عفراء على حال من الاحوال فلما قربت فإذا بها عفراء، فوقف باهةً لا يحير جواباً حتى افترق القوم وانشد:

وأني لتعروني لذِكراك رعدةٌ لها بين جِسمي والعظامِ دبَبيبُ
وما هو ألا أن أراها فُجاءةً فأبهَتَ حتى ما أكادُ أجيبُ[5]

ثم انصرف إلى أهله باكيا محزونا ، فأخذه الهلاس حتى لم يبق منه شيء وقد عجز أهله عن مداواته فقد راحوا به إلى الأطباء والعرافين لشفائه ولكنه لم ينفع فلما يئسوا

---

[1] انظر الاغاني:300/23(دار الثقافة)، ذم الهوى:407، الاشباه والنظائر:120/2و248و254 ، الاعلام:17/5، الزهرة:369/1، تزيين الاسواق:84/1، الحماسة البصرية:166/2-209.

[2] الشعر والشعراء: 519/2.

[3] فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق احسان عباس: 447/2، وفي خزانة الادب ، للبغدادي 535/1. يذكر انه توفي في خلافة معاوية بن ابي سفيان

[4] الظرف والظرفاء: 42/1.

[5] شعر عروة بن حزام : ق28/2.

قعدوا به وقضى عروة نحبه صبابة على عفراء ولما وصل الخبر إلى عفراء طلبت من زوجها ان يأذن لها لتزور قبره ، فأذن لها فخرجت[1] وهي تقول:

ألا أيُّها الرَّكبُ المخبِّونَ ويحكمْ بحقٍ نعيتم عُروة بن حزامِ
فأن كان حقاً ما تقولون فاعلموا بأن قد نَعيتم بدر كلَّ ظلامِ
فلا لقى الفتيانَ بعدكَ راحـة ولا فرحتْ من بعدهِ بغُلامِ[2]

فما زالت تردد هذه الأبيات حتى ماتت بعده بأيام قلائل.

---

[1] انظر القصة في اماكن متفرقة من مصارع العشاق: 13/1، 8/6،172/131 ، 208/10 ، وانظر تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ : 298/1، والحب في التراث العربي : 24و 208و312و332و336، ودراسة الحب: 196.

[2] الشعر والشعراء:523/2، والزهرة :369/1، ومصارع العشاق : 211/10 ، وتزيين الاسواق: 86/1، خزانة الادب: 535/1.

ومن خلال تلك القصص التي ذكرناها نجد ان هناك ملامح مشتركة بين الشعراء العشاق ظهرت واضحة المعالم من أبرزها :

1- اشتراك اغلب هؤلاء الشعراء في حبهم لابنة العم التي يتعذر الزواج بها لاسباب تتعلق بوالد أو والدة العروس أو نتيجة الأعراف والتقاليد ومن بين هؤلاء الشعراء الذين احبوا ابنة العم وهم ((مضاض الجرهمي ، ابو نصر البراق ، وامرؤ القيس ، والمرقش الأكبر ، وعنترة العبسي ، وبشر بن عوانة ، وعروة بن حزام)).

2- العشق حتى الموت: حيث نجد ان بعضهم قد مات عشقا نتيجة عدم الظفر بالحبيبة زوجة وذلك لزواجها من رجل آخر أمثال ((المرقش الأكبر ، وعروة بن حزام)) أو يتزوجها ولكن الظروف تضطره على طلاقها ثم الندم بعد ذلك كما حصل مع ((عبد الله بن العجلان)) أو الموت نتيجة لقاء الحبيبة التي فارقها لرحيله عنها كما حدث مع ((قيس بن الحدادية)).

3- أما الاشتراك الآخر هو رحيل اغلب هؤلاء العشاق بحثا عن مهر للحبيبة التي غالت أمها في طلبه مهرا لابنتها في بعض الاحيان فيضطر العاشق للرحيل لتأمين هذا المهر أمثال ((أبي نصر البراق ، والمرقش الأكبر ، وبشر بن عوانة ، وعروة بن حزام)) أو يرحل المحب نتيجة جدب الأرض فيفترق المحبان ويغترب أحدهما عن الآخر أمثال ((قيس بن الحدادية)).

4- ان العذال والوشاة والمفترين وغيرهم ينغصون على العاشق أوقات الوصال الحلوة ويكدرون متعها [1]. اذ ان ((الأعراض الحادثة في العشق وقوع الوشاية بين المتحابين))[2]. ولكن على الرغم من ذلك فان الوشاية ((بالمحبوب إلى المحب قد تزيده استمساكا بالهوى وحرصا على أسبابه))[3].

وترى ان الوشاية قد أوقعت وأصابت عددا من الشعراء أمثال ((مضاض الجرهمي ، وعبد الله بن علقمة)).

---

[1] الحب بين تراثين :111.

[2] دراسة الحب في الادب العربي :116.

[3] المصدر نفسه: 118.

5- افتراق المحبين نتيجة ارتكاب أحد الطرفين خطأ يحول بينهما ويحولهم إلى متباغضين كما حصل مع ((المرقش الأصغر ، وخزيمة بن نهد)).

ان هذه الملامح المشتركة لقصص هذه الطائفة من الشعراء العشاق قد تركت آثارها في تضاعيف قصائدهم ومقطعاتهم وأبياتهم المفردة بهذا التوجه الفكري أو ذاك ، ومن خلال هذه الصورة الفنية أو تلك وذلك ما ستتكفل به الصفحات اللاحقة.. محاولين عرض تلك الملامح المشتركة والمعاناة التي شعر بها الشعراء العشاق واستظهارها من خلال شعرهم.

الفصل الثاني

مكابدات الشاعر العاشق.. أسبابها ومعطياتها

- توطئة.
- المبحث الأول: بكاء الأطلال.
- المبحث الثاني: الألم والتحسر.
- المبحث الثالث: الغربة والضياع.
- المبحث الرابع: الإقدام والتحدي.
- المبحث الخامس: الأمل والتفاؤل.

توطئـــة:

تؤكد العديد من الدراسات الأدبية القديمة والحديثة التي حاولت دراسة الشعر الجاهلي ، إن هذا الشعر استطاع أن يرسم صورة للواقع الذي كان يعيشه الإنسان العربي ، ويرصد الاتجاهات الدينية والاجتماعية والنفسية وغيرها رصدا دقيقا. ومتابعة الأوضاع الإنسانية بكل أبعادها متابعة توحي بالقدرة على استيعابها جميعا. وهذا ما حمل العلماء والمؤرخين والأدباء والنقاد على تأليف الكتب بغية تحليل تلك الأوضاع الإنسانية ودراستها وتعريف الناس بها ، ووضع التعليلات لها. فضلا عن رصد خطابات الشعراء بعامة ومكابدات الشعراء العشاق بخاصة. وتحليل معاناتهم وآلامهم وأحزانهم من خلال نتاجهم الشعري لان هؤلاء الشعراء كانوا يتعاملون مع الحياة تعاملا إنسانياً ، ويتأثرون بها تأثيرا عاطفيا مملوءا بالود والحنين موجهين تلك العواطف إلى من يعشقون فكان شعرهم ((نتاج العاطفة والعقل ، وثمرة التآلف الاجتماعي ... وخلاصة اللحظات الآنية التي كانت تصاحب هذا الإنسان فهو بذلك يملك الطاقة الوجدانية الشاملة ويستوعب التجربة الحسية المباشرة))[1]. ويبدو ان الشاعر العاشق قد استوحى أو استلهم رؤيته كما قلنا من البيئة المحيطة به فكان نتاجه ذا توجه اجتماعي ومن بين الأشياء التي كانت تحيط بالشاعر أو الإنسان العربي المرأة ، لذلك احتل الحديث عنها الكثير من قصائد الشعر الجاهلي فهي مصدر الإلهام ومصدر الوحي والشعر[2]. لذا فالشاعر ((لا يرى في المرأة مخلوقة من لحم ودم وأعصاب ، وإنما يراها سبيكة نورانية))[3]. لذلك وضعوها في مكانة عالية ((فهي ليست بشرا كالنساء ، يجوز
عليها ما يجوز على البشر حتى لتوشك أن تكون روح الحياة وجوهرها))[4]. أو رمزا معبودا. ومن ذلك ما قاله المرقش الأكبر في وصف حبيبته:

---

[1] الشعر الجاهلي مصدر من مصادر دراسة الجزيرة العربية ، نوري حمودي القيسي، مجلة افاق عربية، العدد الحادي عشر ، السنة الثانية ، 1977: 42.

[2] انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: 54.

[3] العشاق الثلاثة: 14.

[4] قراءة جديدة لشعرنا القديم ، صلاح عبد الصبور : 98.

أينما كُنتِ أو حللتِ بأرضٍ أو بلادٍ أحييتِ تلكَ البلادا[1]

ولأهمية المرأة نجد محاولة الرجل ولا سيما الشاعر في كل زمان ومكان كسب ودها والتخلق بما يوافقها والأخبار عن تصرف هواها به والاجتهاد بمودتها والصبوة إليها والتشوق لمنازلها وديارها.[2] لذلك حاول الشعراء العشاق الحصول على منفذ لبث معاناتهم من خلالها. فاختلفت أساليبهم ووسائلهم في التعبير عن تلك المعاناة. وإننا نطالع في طائفة غير قليلة من النصوص الشعرية المفصحة عما يكابده الشعراء من شدة الوجد والاشتهار بمودة النساء والصبوة إليهن والتشوق لمعاهدهن.[3] وان الشعراء الذين ذكروا المرأة منهم، ومن بينهم أهل الغزل فهم مجموعة كبيرة بحيث لا يعدمهم مصرُ. ولا تخلو منهم قبيلة. ومن بين هؤلاء العشاق ومكبلو الحب الذين حاولوا تصوير آلامهم اصدق تصوير من خلال شعرهم الذي لم يكن على صورة واحدة.[4] حيث اختلفت الرؤى لان ((الإحساس بالعشق كان دافعا نفسيا نشيطا ومحركا قويا في إثارة مشاعر الشعراء وأحاسيسهم وشحذ طاقاتهم الشعرية، فكان غزلهم انعكاسا لعشقهم))[5]. وان هؤلاء الشعراء قد بلغ بهم الأمر إلى اتخاذ الموت كآلية دفاعية في مواجهة المكابدة.[6] وفي هذا الشأن نقلت إلينا المظان ان العشق سبب للكثير منهم الموت أمثال (المرقش الأكبر وعبد الله بن العجلان وعروة بن حزام) وغيرهم.

ومما لا شك فيه ان التعبير عن عاطفة الحب يرتبط كل الارتباط بأوضاع المجتمع وما يرتضيه من قيم فهي تسمو بسمو قيمها في المجتمع وتهبط بهبوطها.[1]

---

[1] شعر المرقش الأكبر: ق888/11.

[2] انظر الشعراء العشاق والحب العذري: 4.

[3] المفارقة موضوعا شعريا– قبل الاسلام، احمد اسماعيل النعيمي، مجلة كلية التربية للبنات ، العدد التاسع (2) 1998: 19.

[4] انظر المرأة في الشعر الجاهلي : 51.

[5] الليل في الشعر العربي قبل الاسلام ، رغد عبد النبي، رسالة ماجستير اجازتها كلية التربية للبنات –جامعة بغداد 2001: 17.

[6] الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : 84.

[1] انظر دراسة الحب في الادب العربي: 13.

وقبل الولوج إلى مكابدات الشاعر العاشق وبواعثها وجب التعرف على مفهوم لفظة المكابدة من الناحية اللغوية.

فالمكابدة هي :
مكابدة الأمر: معاناة ومشقته وكابدت الأمر إذا قاسيت شدته وكابد الأمر مكابدة وكبادا قاساه.[2]

[2] انظر لسان العرب: (كبد): 376.

المبحث الأول
بكـــــاء الأطـــــلال

ان الناظر إلى الشعر الجاهلي يجد ان ظرف المعاناة وطبيعة موقعه من الحدث سيبقى المسؤول عن ردود الفعل عند هذا الشاعر أو ذاك لان ((وقع الظلم وحده الذي يمكننا ان ندرج تحت كل أشكال المعاناة وأنواعها التي كابدها الشعراء في ظل تجربتهم القبلية وانساقوا بتأثيرهم إلى فلسفة الحياة))[1]. وان هذه المعاناة للناس بعامة والشاعر بخاصة تستقى مادتها من واقع الحياة ولكن هذا الواقع يستحيل في الشعر إلى واقع آخر مغاير للواقع الحقيقي فالفن عامة والشعر خاصة لا يقصد إلى تصوير الحياة كما هي في حقيقتها... ولكن رؤية هذا الواقع الشعري من خلال الواقع الحقيقي.[2]

ويبدو ان الشعراء قد اختلفت طرائق تعبيرهم عن المعاناة فمنهم من وجد في البكاء سبيلا لإظهار المعاناة، وآخر وجد في الشكوى منفذا له. وراح بعضهم الآخر إلى اكثر من ذلك ، بان جعل من خلال أمله وتفاؤله تعبير عن معاناته أو من خلال إقدامه رؤية صادقة لما يعاني وفيما يأتي أشكال وصور المعاناة التي اتخذها الشعراء.

ويظهر لنا من خلال قراءتنا للشعر الجاهلي بأنه قد زخر بمقدمات تتدفق بالحياة تدفقا حتى لنكاد نسمع من خلالها نبضات قلوب الشعراء وخفقانها. ونحيبهم وبكاءهم ونراهم يذرفون العبرات ويسكبون الدموع بغزارة وحرارة وحسرة على أيام ودعوها فأصبحت ذكريات دفينة في أعماقهم ولكنها ما تلبث ان تعاود الظهور والخروج من حبستها فتبدأ بتدفق الذكريات كلما مروا بديار محبوباتهم ووقفوا على أطلالهن.

---

[1] القبيلة للشعر العربي قبل الاسلام ، احمد اسماعيل النعيمي ، رسالة ماجستير اجازتها كلية الاداب الجامعة المستنصرية ، 1985 : 288.

[2] انظر الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: 370.

وان هذا البكاء على الأطلال أفرزته لنا طبيعة الحياة التي كان يعيشها المجتمع بعامة والشاعر الجاهلي بخاصة. فهو اذاً مرتبط بظروف وعوامل واسباب مهمة جدا هي :

العوامل البيئية: فان العامل البيئي يحمل الشاعر على تكبد المعاناة والذي أحدثته ((طبيعة الحياة الصحراوية التي من خلالها كان الشاعر وقومه يتحركون وينفعلون من اجل البقاء ومحاولاتهم المستمرة للتغلب على عقباتها والانتصار عليها))[1]. وان هذه الظروف كانت تدفع بالقبيلة إلى الرحيل ومن ضمن الراحلين حبيبة الشاعر، وهنا تكمن معاناة الشاعر ((حيث تعقل الإبل وتزم الأمتعة ، ويظعن القوم مخلفين وراءهم قلوبا أحزنها الفراق وقصص حب انتهت وامالا تبددت))[2]. وهذا امرؤ القيس قد عبر عن رحيل الأحباب فهو القائل:

أن الخليطَ نأوكَ بالأمسِ وأستَيقَنتْ بفراقِهِمْ نفسي

وغدوا على خُوصِ العُيونِ سَواهمٍ مثلِ السَّام خُلِقَنَ للمَلْسِ[3]

وذلك نظير عبد الله بن العجلان قد عبر عن حزنه لفراق من يحب بعد ان طلق زوجته فهو القائل :

خليلي زورا قبل شحطِ النوى هنداً ولا تأمنا من دّارِ ذي لطفٍ بعدا

...

وقولا لها ليس الضلالِ أجازنا ولكننا جِزنا لنلقاكم عمدا

غداً يكثُرُ الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعدا[4]

وقال عبد الله بن علقمة :

فلا ذَنَبْ لي إذ قلت إذ نحن جيرةٌ أثيبي بودّ قبل إحدى البوائقِ

أثيبي بودٍّ قبل أن تَشحَط النّوى وَينأى خليطٌ بالحبيبِ المُفارقِ[5]

---

[1] القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام: 305

[2] مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: 57.

[3] ديوان امرئ القيس: ق272/62.

[4] الاغاني(طبعة دار الثقافة) : 253/22 – 254، وانظر تزيين الاسواق : 144/1.

[5] المصدر نفسه: 284/7، وانظر تجريد الاغاني: 913/3.

ويحاول الشعراء إظهار تلك المعاناة فترددت لديهم الشكوى من الحرمان وضن الوصال ، وخلف المعياد، ونتيجة لهذا الحرمان يصف الشاعر نفسه بسقم الجسم والهزال والضنى [1] فترى عروة بن حزام قد خفف بالشكوى عن معاناة حقيقية دفينة في نفسه فهو القائل:

فَوا كَبِداً أمستْ رُفاتاً كأنَّمـــا يُلذِّعُها بالموقداتِ طبيبُ

بنا من جَوى الأحزانِ في الصَّدرِ لوعَةٌ تكادُ لها نفسُ الشَّفيقِ تذوبُ

ولكنَّما أبقى حُشاشَةُ مقــولٍ على ما به عودٌ هناك صليبُ[2]

لذا نرى إن النسيب والوقوف على الأطلال والرحلة ما هي ((الا تعبير من خلال التجربة الفردية عن القضايا الوجدانية والروحية والحيوية للجماعة))[3]. فان الشاعر قد وجد في الطلل ((منفذا مهيئاً للتعبير عن معاناة الوقوع تحت سطوة الظرف البيئي الشحيح ، وقانون الزمن الصارم وقدرته الخارقة على تغيير الناس والأشياء))[4]. فكان كل شاعر يحمل في رحلته ذكريات الأيام الحلوة التي قضاها مع حبيبته فيعبر عنها من خلال وقفته الطللية.[5] لذلك عد بعضهم ان الوقوف على الأطلال عاطفة لأنها قد جعلت ((من البكاء مصدرا من مصادر الراحة النفسية التي تلوذ بها نفس الشاعر في حالات كثيرة من السأم والوحدة والعزلة واضطراب المواقف))[6]. لذا لا تعدو المقدمة الطللية إلا إن تكون ((ذكريات وضربا من الحنين إلى الماضي والنزوع إليه))[7]. بما يتضمنه من أيام الهناء والسعادة.

وتعد الوقفة الطللية بالنسبة للقصيدة الجاهلية ((بداية المرحلة الشعورية التي تمر من خلالها أحاسيس الشاعر الجاهلي))[8]. لذا فان ((إطلالة الشاعر على

---

[1] انظر دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي : 21.

[2] شعر عروة بن حزام: ق9/30-31.

[3] الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية :382.

[4] القبيلة الشعر العربي قبل الاسلام: 310.

[5] انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: 54.

[6] المرثاة الغزلية في الشعر العربي ، عناد غزوان : 8.

[7] مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: 229.

[8] وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، نوري حمودي القيسي: 9.

رحاب الماضي هي الأرضية المشتركة لأطر لوحات الافتتاح))[1]. وان ظاهرة وقوف الشعراء على أطلال الديار قد شغلت العديد من الدارسين القدماء والمحدثين وأشاروا لها من زوايا رصد متباينة ، وهم يرون ان سبب الوقوف على الديار هو الحب ، فابن قتيبة (ت: 276هـ) يرى ((ان مقصد القصيدة ، انما ابتدأ فيها بذكر الديار ، والدمن ، والآثار ، فبكى ، وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب))[2]. أما قدامة بن جعفر (ت: 337هـ) فقد قال : ((ان يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة... وقد يدخل في النسيب الشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ،و البروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية))[3]. ويرى الامدي (ت: 370هـ) ((إنما وقفوا على الديار وعرجوا عليها عند الاجتياز ، والاقتراب منها لأنهم تذكروا عند مشارفها أوطارهم فيها فنازعتهم نفوسهم إلى الوقوف عليها ، والتلوم بها))[4]. ويؤكد ابن رشيق (ت: 456هـ) رأي من سبقوه من ان ((للشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل إلى اللهو والنساء))[5].

إذاً الوقوف على الأطلال في نظر القدماء لا يكون الا للمرأة المعشوقة التي لم تزل في الحياة لذلك ((تثير احساسات الشاعر ، وتؤجج في ذكرى الشوق واللهو واللعب))[6].

---

[1] دراسات نقدية في الادب العربي: 12.

[2] الشعر والشعراء(طبعة دار المعارف) : 1/75-74، وانظر (طبعة دار الثقافة) :1/20.

[3] نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي: 134.

[4] الموازنة ، للامدي ، تحقيق احمد صقر : 1/412.

[5] العمدة : 1/225.

[6] القصة في مقدمة القصيدة العربية : 17.

اذن لم يكن الشاعر يقف على الديار من اجل الديار بل من اجل المرأة المعشوقة فهي التي حركت لواعج الشاعر ومن اجلها ((بكى شدة الشوق وحرقة الألم))[1].

وقد أولى النقاد والباحثون المحدثون اهتماما بتعليل ظاهرة الوقفة الطللية. في القصيدة فيقسم القصيدة إلى قسمين قسم يتكلم فيه الشاعر عن نفسه ويصور فيه عواطفه ومشاعره وانفعالاته وهو القسم الذي يضم مقدمة القصيدة والقسم الآخر الذي يتحدث فيه الشاعر عن قبيلته أو يعرض فيه للمدح أو الاعتذار أو الفخر.[2]

لذا غدا النسيب في مقدمة القصيدة ((تعبيرا يجسم لنا ارتداد الشاعر إلى نفسه وخلوه إليها ، وهو بذلك يعد الجزء الذاتي في القصيدة، الذي يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله))[3].

ويتفق مع هذا الرأي ما قاله أحد الباحثين من ان الشاعر يقف عند الطلل ((للتعبير عن ذاته وشخصيته، لتحقيق وجوده الذي أحس بضياعه، أمام مشكلة الفراغ الكبير الذي شغلت عليه جوانب الحياة))[4]. فإذا كان الطلل يمثل القسم الذاتي في القصيدة إذا هو فرصة متاحة للشاعر الجاهلي يستطيع ان يفرغ فيها لنفسه دون ان يخل بالجوانب الأخرى. ويرى بعضهم ان العناية بالأطلال تعود إلى ((مقدار التأثير العظيم الذي تؤثره المرأة في نفس الرجل ، الذي لم يكن ليرى جمالا بدونها ولا يراها دون ان يشعر بالجمال، والجمال والحب متلازمان))[5].

لذا فسر بعضهم بأنه يمزج بين ((حديث الانتزاع من الأرض وحديث فراق المرأة))[6]. وعلى هذا المبدأ مزج الشاعر بين حالته النفسية والطبيعة، فليس للطبيعة وحدها كيان في نفسه الا بمقدار، ما تثيره في النفس من خلجات ، فهي التذكار

---

[1] القصة في مقدمة القصيدة العربية :20.

[2] انظر مقدمة القصيدة الجاهلية، يوسف خليف، مجلة المجلة المصرية، السنة الثالثة، السنة التاسعة ، العدد (98)، شباط 1965: 21.

[3] روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، عز الدين اسماعيل: 17.

[4] دراسات في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي:14.

[5] المرأة في الشعر الجاهلي:52.

[6] دراسات نقدية في الادب العربي:143.

الباقي للحب))[1]. لذا وصفوا الأطلال وصف نفسي وجداني فهي تمثل لهم صفحة الم حيث ان ((الأثر النفسي في الأطلال اعمق أثرا من البناء الجميل العامر))[2]. وذلك لأنه ((يعكس الصراع الأبدي في نفس الإنسان– والشاعر بخاصة – بين حب الحياة وغريزة الموت وهنا يصبح ضمانا للحياة، بينما يكون الفراق تهديدا مباشرا للحب ينتهي بروح الشاعر إلى الجدب والإقفار، مثلما يرى في تلك الديار التي كانت تزخر بالحياة))[3].

حيث ان النسيب في القصيدة يجمع بين عنصرين ((أحدهما يذكر بالفناء وهو الأطلال والآخر يذكر بالحياة وهو الحب)) [4]. ومن ذلك ما صرح به المرقش الأكبر القائل:

أمن آل أسماءَ الطّلولَ الدَوَارسَ يُخططُ فيها الطِيرُ قَفرٌ بسابسِ
ذكرتُ بها أسماء لو أن وِليها قَريبٌ ولكن حَبَستني الحُوَابسِ[5]

وانشد قيس بن الحدادية:

سقى اللهُ أطلالاً بِنَعم تَرادفت بهُنَ النُوَى حتى حَللنَ المَطَايا
فأن كانت الأيامُ يا أمُ مالكٍ تَسليكُم عَنّي وتُرضِي الاعاديا
فلا يأمَننَ بعدي امرؤٌ فجع لذةٍ من العيشِ أو فجعُ الخُطُوبِ العُوافيا [6]

وهذا ما جعل بعضهم يصور الطلل بأنه ((رمز للفناء والموت الذي كان هاجس الإنسان الأول ولا يزال... حيث ان الخرائب بوصفها صورة الطلل الحقيقية، وهي وحدها الكفيلة باستثارة خيال الشاعر وبعث الماضي السعيد))[7].

ومهما اختلفت الآراء في تفسير ظاهرة الطلل فأننا نلتمس من خلالها ملامح مشتركة بينها وهي ان الطلل يمثل ((المظهر الحزين في تجربة الحب عند الشاعر العربي

---

[1] انظر قراءة جديدة لشعرنا القديم :65.

[2] دراسات في الادب الجاهلي، محمد التونجي :98.

[3] الادب العربي في العصر الجاهلي، محمد مصطفى هدارة : 14.

[4] روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة:19.

[5] شعر المرقش الأكبر: ق876/3.

[6] عشرة شعراء مقلون: ق434/15.

[7] الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، احمد اسماعيل النعيمي :265.

في العصر الجاهلي))[1]. اذا ابتدأ الشاعر بالطلل أو الغزل بدافع نفسي، فالحب عاطفة جميلة، يحلم بها كل فرد ولان الحب دفعة نور في ظلام اليأس، وسلاح لا يخيب في مواجهة الشدائد والأزمات، فيلجأ ، إليه الشاعر الجاهلي لأنه يعيش حياة شاقة قاسية كل ما فيها ينذر بالموت والحب يمثل الحياة البهيجة فإذا انتهى إلى اجتماع الشمل فهو الهناء والرغد وإذا انتهى إلى الفراق وبكاء أطلاله فهو الألم والحزن المستعذب [2].

قال المرقش الأصغر:

لأبنةِ عَجلانَ بالجوِ رُسُوم لم يَتَعفَّيَنَ والعهدُ قَدِيمْ
لأبنة عَجلانَ إذ نحنُ معاً وأيُّ حالٍ من الدَّهرِ تدومْ
أمن ديارٍ تعفَّى رَسمُها عينُكَ من رَسمِها بسجُومْ
أضحتْ قفاراً وقد كان بها من سالفِ الدَّهر أربابُ الهُجُومْ[3]

لذا أصبحت مقدمة لوحة الطلل بكل صورها وألوانها تؤدي وظيفة خلق هذا الجو الشعري، الذي يمنح الشاعر القدرة على القول، لأنه يصبح في حالة معاناة شعرية حادة، تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه من الاحساسات ويدور في ذهنه من الأفكار والحوادث[4].

وان القارئ للشعر الجاهلي يجد ان بث معاناة الشاعر لم تقتصر على المقدمة الطللية بل احتوت المقدمات الأخرى على المعاناة نفسها وذلك في المقدمات الغزلية والفروسية وطيف الخيال فضلا عن الأغراض الشعرية الأخرى التي كانت محملة بأنواع أخرى من المعاناة والمكابدات ومن يمعن النظر في المقدمات الطللية يراها تدور حول معاني متقاربة هي الشوق والحنين إلى الماضي والتصاق الشاعر بالأرض ويظهر ذلك التقارب والتشابه من خلال رنة الحزن والشكوى الموجودة في

---

[1] المرثاة الغزلية في الشعر العربي: 8.

[2] انظر وحدة القصيدة في الشعر العربي :194.

[3] شعر المرقش الأصغر: ق538/3.

[4] انظر وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: 10.

شعره وتطفو تلك الرنة الحزينة عندما يلقى الشاعر نظرة على دار الحبيب فلا يجد إلا بقايا.[1]

ومثال ذلك ما انشده عنترة:

ألا قاتلَ اللهُ آلطّلولَ البَواليا وقاتلَ نِكراكَ السّنينَ الخواليا

وقولكَ للشّيءِ الذي لا تنالهُ إذا ما هو أحلولَى ألا ليتَ ذا ليا[2]

أما مقدمة رحلة الظعن ما انشده عنترة:

ظَعَنَ الذين فِراقَهم أتوقَّعُ وجرى ببينهمُ الغُرابُ الأبقعُ

حرقُ الجناحِ كأنّ لحيي رأسهِ جَلَمانُ بالأخبارِ هشٌّ مولعُ

...

أنَّ الذين نَعيتَ لي بِفراقهمْ قد أسهروا ليلي التَّمام فأوجعوا[3]

أما مقدمة وصف الطيف فقد قال المرقش الأكبر:

سرى ليلاً خيالٌ من سليمى فأرقنى وأصحابي هجــودُ

فبتُ أدير أمرى كلّ حــالٍ وارقبُ أهلها وهم بعيــدُ[4]

وغير هؤلاء الشعراء كثير من الذين تنوعوا في مقدماتهم ولكنها مع ذلك كانت تحمل في طياتها العديد من الآلام والأحزان التي تحز له النفس الانسانية.

وعندما نمضي إلى تأمل صورة اللوحة الافتتاحية – الطللية والغزلية. فإنها ترسم لنا تقليدا فنيا قديما وذلك لقدم ((علاقة الرجل بالمرأة ، ولأنه استجابة لعاطفة إنسانية طبيعية هي عاطفة الحب))[5].

لذلك غدت تلك الافتتاحيات رمزا لليأس، وأنموذجا أعلى للخراب والموت هي كفيلة بإثارة المعاناة النفسية، أو الشعور بالشجن والحزن، حيث ان الذكريات تراود الشاعر حالما يعود إلى الأماكن التي افترق بها عن الأحبة فتهيج أشجانه وتتزايد

---

[1] انظر مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي: 230، وانظر دراسات في الادب الجاهلي:87، وانظر صورة المرأة في الشعر العربي الاموي: 36.

[2] ديوان عنترة: ق224/2.

[3] المصدر نفسه: ق262/8.

[4] شعر المرقش الأكبر : ق874/2.

[5] دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي، محمد عبد القادر احمد : 229.

أحزانه ((وحسب العاشق من موجب الاسى ودواعي الحزن، ان يرى منازل أحبابه هامدات))[1]. وذلك لان ((السكان للمنازل كالأرواح للأجساد فإذا ارتحلوا آن حمامها، وحان دثورها وحل ودحارها))[2].

لذلك فهو يحاول الإفصاح عن الأسى والحزن من خلال بكاء الرسوم الهوامد. فالبكاء هو رمز عن تجربة الألم ولا تخرج بواعث هذا البكاء عن حبيبة راحلة، وأهل ظاعنين، وحنين إلى ماض، واحتجاج على الجدب والقحط. فكان ((البكاء على الأطلال اصبح يعنى البكاء على الحياة نفسها))[3]. وكان رائد هذا البكاء هو (ابن حذام)[4]. وهي حقيقة سجلها لنا امرؤ القيس في قوله:

عُوجَاً على الطَّللِ المُحيلِ لأنَّنا نَبكِي الدِّيار كما بكى أبنُ خِذامِ[5]

فأبن خذام كان سابقا لعصر امرئ القيس وهو ((شاعر جاهلي لا ندري من أمره شيئا))[6]. وقد اختلف في اسمه. اذن بكى ابن خذام الديار حقيقة ومن هنا نفهم عمق التجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر الجاهلي لدى وقوفه على الطلل البالي))[7].

ولقد أكد القدماء أسبقية امرئ القيس في الوقوف على الأطلال والبكاء عليها ومنهم ابن سلام (ت: 231هـ) حيث يقول ان امرأ القيس((ما قال ما لم يقولوا ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها شعراء منها استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ..)) [8].

---

[1] مدامع العشاق ، زكي مبارك: 51.

[2] المصدر نفسه: ص52-53.

[3] تاريخ الادب العربي قبل الاسلام: 169.

[4] دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: 148-229، وانظر مقدمة القصيدة الجاهلية :19-20.

[5] ديوان امرئ القيس: ق114/15.

[6] البناء الفني للقصيدة العربية، محمد عبد المنعم خفاجي: 34.

[7] انظر رمز المرأة في ادب ايام العرب ، عادل جاسم ، مجلة افاق عربية، العدد الثاني عشر، السنة الثانية 1977: 75.

[8] طبقات فحول الشعراء: 55/1.

إذا هو ((افضل ابتداء صنعه شاعر لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد))[1]. وهذا ما أكد بعض الشعراء في كون امرئ القيس اول من وقف على الطلل فعنترة يرى ((ان الشعراء وقفوا قبله على الاطلال، واستنفذوا المعاني الشعرية، ووصفوا الدمنّ حتى لم يتركوا لغيرهم مقالا))[2]. فهو القائل:

هل غادَر الشُّعراءُ من مُتَردَّمِ أم هل عرفتَ الدّارَ بعد توهُّمِ[3]

فما اكثر ما بكى الشعراء ولا سيما العشاق منهم أثار أحبابهم فبللوا رسائل الحب وكأنما كان البكاء ضريبة باهظة على كل عاشق وان من طبيعة الحب البكاء فليس هناك واحد عرف قلبه الحبّ ثم لم يعرف الدمع.ولا يكاد يعرف الشعر أمر اقدم من بكاء الأحباب[4]. ففي الجاهلية رثاء اختلط بالوقوف على الأطلال واعتبروا النسيب هو رثاء يبكي ويعبر به الشعراء عن أحزان نفسية عند ديار الأحبة[5]. وعليه فأن هذه العواطف الرقيقة والحنين إلى الذكرى والبكاء على الماضي هي صورة من ((رثاء النفس))[6]. وان البكاء يتولد من القلق ((لذا لابد البكاء على الأطلال بكاء إنسان قلق يحس بعمق ان الفناء يتربص بالإنسان))[7]. لذا فأن البكاء الصادق على الأطلال والوقوف عندها هو ((ثورة عاطفية يتذكر فيها الشاعر أياما انقضت ، أو يسترجع ساعات من طيب العيش ولذته))[8].

---

[1] العمدة:218/1.

[2] انظر دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي :148.

[3] ديوان عنترة :ق182/1.

[4] انظر الرحلة في القصيدة الجاهلية: 46.

[5] انظر الحياة والموت في الشعر الجاهلي :145.

[6] المرثاة الغزلية: 29.

[7] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، نصرت عبد الرحمن:162.

[8] دراسة الحب في الادب العربي: 19.

وان الشعراء يتحدثون عن الحب الذي ينشر على الشباب المرح وعلى الحياة السرور ويأسفون على ضياع تلك الحقبة الطيبة من العمر ويبكون بقايا ذكراها في النفس كما يبكون آثارها في أطلال ديار الأحبة [1].

وبما ان الشاعر امرأ القيس يعد اول من وقف واستوقف لذا فأنك تجد شعره قد تضمن من العاطفة الإنسانية ونجوى الوجدان ما يهز كل إنسان، وكان قوله ((قفا نبك)) اعظم صيحة للحب في وجه الفناء، وكان لهذه الصيحة صدى عميق في كل قلب خافق يتعلل بالذكرى والأماني[2].

قِفَا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسقطِ اللّوى بين الدَّخُولِ وحوملِ.[3]

فهو يحاول بهذا البكاء ان يخفف من أحزانه وأشجانه إزاء هذه الديار ويطلب من أصحابه ان يساعداه ويعيناه على البكاء عند تذكرة حبيبته (فاطمة). وتراه يحاول بهذه الوقفة ان يجعل ((كل منا يبكي صفاء عيشه وتمتعه بحبيبته في تلك المنازل الشاغلة))[4]. وترى ان الشاعر لم يذكر من أين أتى ولا كيف وصل ولكنه يفاجأ المرء بهذه الوقفة. وانه قد تحدث بضمير المتكلم فهو وحده الذي سقط في هذا المكان.[5]

ويحاول الأصحاب ان يخففوا عن هذا الشاعر آلمه وأحزانه بأن يصبر ويتجلد، ويكف عن البكاء الذي كاد ان يهلكه فقال:

وقوفاً بها صَحبي علىَّ مَطيَّهم يقولون لا تهلكْ أسى وتجمَّلِ[6]

ولكن نجد ان الشاعر يسعى إلى إراقة الدموع لان فيها تخفيف مما يكابده من شوق وحنين، فقد وجد في البكاء سلوى لفراق الحبيبة ثم لا طائل من الوقوف

---

[1] انظر الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية: 15-16.

[2] انظر تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري: 94.

[3] ديوان امرئ القيس : ق8/1.

[4] امير الشعراء في العصر القديم : 15.

[5] انظر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي:158.

[6] ديوان امرئ القيس: ق9/1.

على رسم دارس غير معول[1]. فأنشد:

وأن شفائي عبرة ان سفحتها وهل عند رسم دارس من معول[2]

وان رقة الشوق قد دفعته إلى ان يبكى بكاء شديد يخيل إليك انه ((غرق في بحر دمعه))[3]. من شدة ما سال من دموع على محمله:

ففاضت دموعُ العينِ منّي صَبابةً على النّحرِ حتّى بلّ دَمعي مَحمَلي[4].

فان هذا الشعر يرسم الاستجابة الطبيعية لانفعالات تتباين في حدتها قوة وضعفا فأن حديث الشاعر يعكس الوجدان الحقيقي لكوامن النفس التي كانت خاضعة لعوامل الذكرى التي أججتها المواضع فالبكاء والذكرى والوقوف ترتبط بالنفس والحياة والإنسان. ومن هنا كان الوقوف عند سقط اللوى والدخول وحومل إشارات إنسانية حادة لمواقف حسية شديدة المعاناة [5].

وقيل ان البكاء هو ((دفقة القلب، يجلوه الشاعر بها ويريحه وهو لو لم يرتح الشاعر بعد البكاء لظل يبكي، ولكنه يقف ويستوقف لحظات وينضح قلبه بكلمات شعرية))[6]. كما فعل امرؤ القيس:

فسحَّت دُمُوعي في الرّداءِ كأنّها كُلىً من شَعِيبٍ ذات سحٍّ وتَهتانِ[7].

وان البكاء والنحيب لم يكن ((عاطفة آنية ضائعة أو وقفة تأملية عابرة ، تحفزها دواعي الوقوف ... وإنما هي ظل حزين يلف نفس الشاعر وهو يقترب من هذه البقايا))[8]. وهذا ما نحسه في أبيات المرقش الأكبر الذي عبر عن حبه الضائع قائلا:

الدّارُ قفرٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظَهرِ الأديمِ قَلَمْ

بِيارُ أسماءَ التي تبلتْ قَلبي ، فعيني ماؤُها يَسجُمْ[1]

---

[1] انظر المفارقة موضوعا شعريا قبل الاسلام : 19.

[2] ديوان امرئ القيس: ق9/1.

[3] تاريخ اداب اللغة العربية: 77/1.

[4] ديوان امرئ القيس :ق9/1.

[5] انظر الشعر الجاهلي مصدر من مصادر دراسة الجزيرة العربية: 40.

[6] دراسات في الادب الجاهلي:103.

[7] ديوان امرئ القيس: ق90/9.

[8] وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: 9.

فأراد التعبير عن خلو المكان بعد رحيل الأحبة، وأصبحت بقايا الطلل رموزا لحياة انتهت خصوصا إذا كانت الديار لمحبوبة غدا الشاعر عاشقا لها، ولكن الأقدار حالت دون الظفر بها ، ومن الطبيعي ان تتأجج في أصداء هذه الأطلال مشاعر الحزن والأسى والالم، وتقطر الدموع دليلا على مظاهر الحزن والبكاء على حب أسماء الضائع.

وكذا فعل المرقش الأصغر الذي عبر بالبكاء عندما رأى منازل الاهل خالية من الأحبة فسترسلت العيون تعبر عما تشعر به النفس من حزن. فهو القائل:

أمِن رسمِ دّارِ ماءُ عينيك يسفحُ غدا من مُقامٍ أهلهُ وتَروَّحُوا
تُزجّي بها خُنسُ الظبّاءِ سخالُها جأذُرهُا بالجَوّ وردٌ وأصبح[2]

وترى ان الشاعر قد استعاد ذكرى الوداع وما جرى فيه من الدمع وهو يصف هذا اليوم الشديد عليه لصعوبته:

فَولَّتْ وقد بثَّتْ تباريحَ ما ترى ووجدي بها إذ تحدُرُ الدَّمعَ أبرحُ[3]

فقد نفح الشاعر الديار روحا فأحياها ، وشخصها ورأى ان يعدها شاهدا على حبه السالف فراح يحادثها ويسائلها ويشاركها البكاء باندماج وجداني[4]. كما فعل عنترة فنجده يستشعر غير قليل من الأسى والحزن حين رفض عمه تزويج ابنته له ، ومضى يحبها حبا عنيفا... حبا يائسا محروما... وفيه الفؤاد الملذع الذي يكظم حزنه فهو يصور لوعته بعاطفة روحانية سامية وكيف يكتوي بنار الحب المكبوت والشوق المقيم، وبشكوى يغلبها الخوف على من يحب فقال:

---

(1) شعر المرقش الأكبر : ق884/10.

(2) شعر المرقش الأصغر: ق530/1.

(3) المصدر نفسه: ق531/1.

(4) انظر دراسات في الادب الجاهلي: 84.

ريحَ الحِجازِ بحّقِ من أنشأكِ رُدّي السّلامَ وحيّ من حيّاكِ
ياريحُ لولا أنّ فيكِ بقيَّةً من طيبِ عبلةَ متُّ قبلَ لقاكِ
كيف السلُّوُّ وما سمعتُ حَمائماً ينُدبنَ ألا كنتُ أولَ بـاكِ
يا عبلَ ما أخشى الحِمامَ وإنَّما أخشى على عينّيكِ وقتَ بكاكِ[1]

فهذا البطل المغوار الذي اهتزت الصحراء لصولته عرف كيف يكون الذل في الحب وكيف تكون اللوعة. وقد بكى عنترة الأطلال ((بكاءً صادقا... فكان متاثرا يبكي لبكاء الحمامة على الأيك ، ويذرف الدمع هتوفا))[2]. فقد استرسل الدمع حتى بل محمل سيفه:

أفمنْ بُكاءِ حمامةٍ في أيكـةٍ ذرفتْ دموعُكَ فوقَ ظَهرِ المحملِ
كالدُّرِّ أو فَضَضِ الجُمانِ تقطَّعتْ منه عقائُد سلكِهِ لم يُوصـلِ[3]

ويبدو ان مضاض الجرهمي قد طلب من أصدقائه ان يمرا به على الطلل وان يبكيا عليه بعد موته لانه مات صريع الحب والهوى:

خَليلي عُوجا بي إذا متُ وابكيا على دنفِ بطنِ الضريحِ وجارهُ
صريعَ الهُوى نَائِي المَحلةِ نازِحُ سبحاً بعد أشراقِ الصباحِ نهارهُ[4]

وهناك من الشعراء من يحاول ان يبدي الندم على فقد الحبيب بعد ان كان بين يديه كما فعل عبد الله بن العجلان الذي أبدى الندم والبكاء على فراق الحبيب وذلك في قوله:

فارقتُ هِـداً طائعـاً فَندمـتُ عند فراقِهـا
فالعُين تُـذري دمعـةً كالـذرِّ من آماقِهـا [5].

وقوله :

ذكرتُ بها هِنداً وأترابها الإلى بها يكذبُ الوَاشِي ويُعصي أمُيرها

---

[1] شرح ديوان عنترة، تحقيق امين سعيد: 98.
[2] شعر الطبيعة في الادب العربي، سيد نوفل: 109.
[3] ديوان عنترة : ق247/6.
[4] التيجان: 195.
[5] الاغاني : 246/22، وانظر تزيين الاسواق:142/1.

فما معولٌ تبكي لفقدِ أليفها إذا ذكرتهُ لا يكُفُّ زَفِيرها
بأسرعَ منِّي عبرةً إذ رأيتُهَا يُحَبُّ بها قبلَ الصَّباحِ بعُيرها[1]

أما قيس ابن الحدادية فقد بكى لفراق الحي ولكن بكاء من جانبه وجانب حبيبته فقال:

بكى من فراقِ الحيَّ قيسُ بن مُنقذٍ وإذراءُ عينيْ مثلهِ الدمعُ شائعُ
بأربعةٍ تنهلُ لما تقـدَّمتْ بهم طُرقٌ شَّتى وهنَّ جوامعُ
وما خِلتُ بين الحيّ حتى رأيتهم ببينونةَ السفلى وهبَّت سوافعُ[2]

وان الأقدار التي تحول بين المحبين تكون قاسية فهذا عروة بن حزام جعل حب عفراء يختم على كبده وتركه قلبا دائم الخفقان وجسما باليا وعيناً دائمة البكاء فقال:

على كبدي من حُبّ عفراءَ قرحةٌ وعيناي من وجدٍ بها تكِفانِ
فعفراءُ أرجا الناسِ عندَّي مودَّةٌ وعفراءُ عنّي المُعرضُ المتُواني[3]

وان الشعور بالقهر والقسوة يجعل المحبين يستسهلون الدمع في سبيل من يحبون ولا يخافون لومة لائم أو غضب من حولهم فيرسلون الدموع تجري ولا يوقفونها حتى يغيبهم القبر كما فعل عبد الله بن علقمة فهو القائل :

وما كَان حُبّي نوالٌ بذلتهُ وليس بُمسلي التجهُّم والهجرُ
سوى أن دائي منكِ داءُ مودةٍ قديماً ولم يُمزج كما تُمزجُ الحمرُ
وما أنسَ بكِ أشياءُ لا أنس دَمُعها ودَمعِها حتى يُغيبني القبرُ[4]

لذا فأن الشعر كما يقال هو نتاج العاطفة والعقل، وثمرة التآلف الاجتماعي وتصوير لخلجات النفس البشرية .

وختاما يمكن القول ان الشاعر الجاهلي بعامة والعاشق بخاصة قد حرص في المقدمة الطللية على ((رصد الذكريات الحزينة التي تتداعى بسبب ملاحظة الشعراء

---

[1] الاغاني: 24/22.
[2] عشرة شعراء مقلون: ق39/9.
[3] شعر عروة بن حزام: ق12/2.
[4] ذم الهوى: 498.

لبقايا الدار))[1]. فالشاعر يرى في الدمن السوداء والأثافي منطلقه في حلبة الشعر وتتركز فيها أهواؤه ويشتق من حولها حديثه عن مواجده وصبابته[2].

وان رؤية هذه الطلول والربوع الدارسة والآثار الباقية من ذكريات عاطفية تمثل((رثاء وتحسر على الماضي))[3]. ومن هنا تنبع المأساة في فقد الأحباب والأعزة ويخامر الهلع والرثاء القلوب الملتاعة عند تذكر الزمان الماضي والصفات والذكريات المتصلة به[4]. ومن هنا لا يخامرنا شك في ان المقدمات الطللية ((تنبض بالحياة وترمز بالعاطفة الصادقة))[5].

---

[1] الشعر الجاهلي قضايا الفنية والموضوعية: 218.

[2] تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: 115.

[3] دراسات فنية في الادب العربي، عبد الكريم اليافي: 181.

[4] المصدر نفسه: 183.

[5] مقدمة القصيدة العربية في العصر الاموي، حسين عطوان: 117.

المبحث الثاني
الألـــم والتحســر

هناك العديد من المشاهد التي تحز بالنفس وتورثها الالم وهذا ما تراه من خلال تلك الخطابات الغزلية التي تفصح عن ((دلالات نفسية يرى الشاعر من خلالها غير مشاعر الحب وما يتصل به من شوق وحنين بقدر ما يتيحه لبيان موقف اجتماعي تنضوي تحته دلالات نفسية لها اثر كبير في حياته))[1]. وترى من الطبيعي ان الشاعر يقف ((وقفة كلها ألم ، ويتصفح ذكرياته على طيات الرمال ، وينضح شعرا رقيقا وجدانيا))[2]. وان حياة هؤلاء العشاق ((بليغة الدلالة على ما كابدوا في حبهم من الألم جسام ، وما بذلوا في سبيل حبيباتهم من تضحيات عظام))[3]. قال عنترة:

وما شاقَ قلبي في الدُّجى غير طائرٍ ينوحُ على غُصنٍ رطيب الرَّنـدِ
به مثلُ ما بي فهو يُخفي من الجَوى كمثل الذي أخفي وَيُبدي ألذي ابدي
ألا قاتلَ اللهُ الهوى كم بسيفـهِ قتيلُ غرامٍ لا يوسّدُ في اللَّحـدِ[4]

وبما ان معاناة الشاعر تنبعث نتيجة عوامل وبواعث فان معاناة الشاعر المتمثلة بالألم والتحسر انبعثت نتيجة:

بواعث اجتماعية:

فهو يؤدي بالشاعر إلى تكبد المعاناة حيث ان المجتمع الذي يحيط به قلما يؤيد في حبه نتيجة الأعراف والتقاليد لان البيئة الجاهلية لم تكن((تجيز التغزل بالعذارى ،حتى انهم حرموا على الفتى ان يتزوج فتاة تغزل بها فشهرها)) [5]. فهذه إحدى منغصات العاشق الذي يحاول الفوز بالمحبوب ولكنه لا يستطيع وهذا ما يحمل الشاعر على التحمل في سبيل حب حبيبته ((الأهوال والمخاطر وقد يصاب

---

[1] الليل في الشعر العربي قبل الاسلام ، رغد عبد النبي : 16.
[2] دراسات في الادب الجاهلي : 97.
[3] الغزل في العصر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي: 205.
[4] شرح ديوان عنترة : 56.
[5] تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ: 61/1.

بالمرض والضنى والهزال وربما اودى هذا الحب بحياته فمن الحب ما قتل))[1].

وانشد عنترة :

إذا كانَ دمعي شاهدي كيف أجحدُ ونارُ أشتياقي في الحشا تتوقدُ
وهَيهاتَ يخفى ما أكنُّ من الهُوى وثوبُ سِقامي كلَّ يومٍ يجددُ
أقاتلُ أشواقي بصبري تجلداً وقَلبي في قيدِ الغرامِ مُقيَّدُ[2]

وقول المرقش الأكبر :

قُل لأسماءَ أنجزي الميعادا وانظري أن تزّودي منكِ زادا
...
وإذا ما سمعتِ من نحو أرضٍ بمُحبّ قد ماتَ أو قيلَ كادا
فاعلمي – غير علمِ شك – بأني ذاكَ ، وابكي لمصفدٍ أن يفادا[3].

فارتبط لديهم الحب بواقع اجتماعي حزين ينتهي به إلى الفراق الأبدي، وربما أدى به إلى الموت. ونجد ان تجربة الحب الحزينة لا تصف ذات صاحبها فحسب بل تحاول في بعض الأحيان إلى تصوير ((ملامح الواقع الاجتماعي الذي نشأت فيه واثر فيها وبخاصة بقاء رنة الألم والحزن والتحسر واضحة صريحة في نصوصها واغلب نماذجها الشعرية))[4]. لذلك نجد بعضهم يقول ان قصيدة الشاعر العاشق تجمع بين ((التودد إلى الحبيبة ... ورثاء النفس ، صورة حزينة ، متشائمة سوداوية ، نتيجة لخيبة الأمل والإخفاق في تجربة الحب))[5].

ثم ان التقاليد والأعراف لم تكن هي القيد الوحيد المفروض على الشاعر العاشق بل هناك الرقباء الذين كانوا يعدون الخطوات على العاشق المحب فيقفون حجر عثرة في طريق المحبين ويكونون في أحيان كثيرة من أقرباء الحبيبة الطامحين في نيلها ، والحراس والرقباء يعدون من ((آفات الحب التي يتعرض لها

---

[1] دراسات في ادب ونصوص العصر الاموي : 22.

[2] شرح ديوان عنترة : 63.

[3] شعر المرقش الأكبر: ق888/11.

[4] المرثاة الغزلية في الشعر العربي: 33.

[5] المصدر نفسه : 33.

المحبون))[1]. لذلك نجد بعضهم قد احتال على الرقباء بان جعلوا بينهم وبين من يحبون رسول ينقلون إليهم الأخبار ، فهذا دليل على انهم لا يخشون الأجراس والرقباء بل كانوا يبعثون الرسل إلى صاحباتهم والنجوم لا تزال في كبد السماء[2]. من ذلك ما ذكره امرؤ القيس :

بعثتُ أليها والنُّجومُ طوالــعٌ حِذَاراً عليها أن تقومَ فتسمعَا
فجاءتْ قطوفَ المشى هائَـبَةً السُّرَى يُدافعُ رُكنَاهَا كواعبَ أربعَا[3]

أما عنترة فتراه قد بعث جاريته لتتفقد له أخبار حبيبته عبلة:

فبعثتُ جارِيتي فقلتُ لها أذهبـي فتجسَّسي أخبارها لي وأعلمي
قالتْ رأيتُ من الأعادِي غـرّةً والشَّاةُ مُمكنةٌ لمن هو مُرتمِ[4]

وهذا امرؤ القيس في موضع آخر يتجاوز الأجراس والرقباء بنفسه دون الاستعانة بالرسول فقال:

تُجاوزت أحراساً وأهوالَ معشـرٍ علَّي حراصٍ لو يشّرون مقتلي
إذا ما الثُّريا في السماءِ تعرّضـتْ تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المفصَّلِ[5]

أما الوشاة فقد كانت وطأتهم اشد وأمر على العاشق فهم ((الأعداء المغضين الذين يتربصون بالأحبة، ويكدرون عليهم عيشهم خفية من دون ان يصرحوا بذلك))[6] لذلك نجد ان السعادة التي ينعم بها المحبون ليست طويلة.. الأمر الذي يفرض الكتمان والسرية التامة على المحبين[7]. وذلك ما نتأمله في تجربة مضاض الجرهمي القائل:

يَعشي على الناسِ لحظ طَرفي وعنكِ يا مي غير عاشِي

---

[1] المرأة في الشعر الجاهلي:105.
[2] انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي : 60.
[3] ديوان امرئ القيس : ق241/51.
[4] ديوان عنترة : ق213/1-214.
[5] ديوان امرئ القيس : ق13/1-14.
[6] القصة في مقدمة القصيدة العربية : 83
[7] انظر الحب بين تراثين: 107

أتهجرينني بغيـر ذَنَـب وتقتلينـي بقُولِ واشـــي[1]

وقال المرقش الأكبر في هذا الشأن أيضاً:

أيلحى امرؤ فـي حبّ أسماء قد نأى بغمزٍ من الواشينَ وأزوّر جَانبهُ[2]

ويصف قيس بن الحدادية الواشي وما أشاعه من كلام بين الظعائن ونتيجة لكلامه جعل المحبوبة تبكي على حبيبها فيدعى عليه بالبكاء كما أبكى من احب:

سعى بينهم واشٍ بإفلاقِ برمـةٍ ليفجعَ بالاظعانِ من هو جازعُ

بكتْ من حديثٍ بثَّهُ وأشاعـهُ ورصَّفهُ واشٍ من القومِ راصعُ

بكتْ عينُ من أبكاكِ لا يعرفُ البكا ولا تتخالجكِ الأمورُ النـوازعُ[3]

أما عروة بن حزام فتراه قد شكا كثيرا من الوشاة ووصف ما كان يشعر به من ألم نتيجة الوشاية ثم ذم الوشاة وأفعالهم فهو القائل:

ألا لعنَ الله الوشاةَ وقولهم فلانـةُ أمست خلَّةً لفــلانِ

فويحكما يا واشيي (أمَ هيثم) ففيمَ إلى من جئتُما تشيــانِ

ألا أيُّها الواشي بعفراءَ غِدنا عدمتُكَ من واشٍ ، ألستَ تراني

ألستَ ترى للحُبّ كيف تخلَّلت عناجيجهِ جسمي، وكيف براني

إذا ما جلسنا مجلساً نستلذَّهُ تواشوا بنا حتى أملَّ مكانــي

تكنَّفني الواشونَ من كلّ جانبٍ ولو كان واشٌ واحدٌ لكفانــي

ولو كانَ واشٍ باليمامة دارهُ وداري بأعلى (حضرموت)اتانـي[4]

فهو قد توسع في ذكر الوشاة وما فعلوا به ومع ذلك فهو في بيت آخر يطلب منهم ان يجعلوه يحصل على نظرة من عفراء لتقر بها عينه:

فيا واشيي عفرا دعاني ونظرةً تقرُّ بها عيناي ثمَّ دعانـــي[5]

---

(1) التيجان: 191-192

(2) شعر المرقس الأكبر : ق888/12.

(3) عشرة شعراء مقلون : ق38/9.

(4) شعر عروة بن حزام : ق17/4-18

(5) المصدر نفسه : ق11/1

فمن هنا نحس ان الشاعر العاشق كان ((يصدر في منهج قصيدته من دوافع نفسية يستوحيها، ولا يقتصر على تقاليد فتية يطيعها))[1]. لذلك عندما تقرأ قصائد أولئك الشعراء تشعر ((بقوة عاطفتهم الجياشة وهم يصفون صراعهم الدائم ، ويحللون شعورهم بتلك العاطفة التي سدت عليهم كل مجال))[2]. لان هذا الشعر جاء ((مصورا لقلوب محترقة كثيرة لدرجة اصبح الألم فيها مصدر راحتها النفسية))[3]. إذا هذا العاشق لم يكن ((لاهيا عابثا حين يعاني الألم حبه))[4]. فان الشاعر العاشق حاول أن يستغل الطلل في إقامة علاقة بينه وبين من كانوا في الطلل وربط بين ماضيه وماضيهم ليستطيع من خلال هذا الربط التحدث عن الصراع النفسي الموجود في داخله نتيجة الفراق[5] . من ذلك ما انشده قيس بن الحدادية:

وما راعني إلا المنادي ألا ظعنوا وإلا الرواغي غُدوةً والقعاقعُ
فجئت كأني مستضيفٌ وسائلٌ لا خبرها كلُّ الذي انا صَانعُ
...
فأنَّهما ما أتبعنَّ فإنَّني حزينٌ على أثر الذي أنا وادعُ[6]

ويجب الوقوف عند شيء مهم، وهو ان الشاعر يقتصر تمثيله للألم والتحسر عند الوقفة الطلية فحسب بل نلاحظ انه قد ذكر ألمه من خلال المقدمة الغزلية ورحلة الظعن وطيف الخيال. وذلك ان مقدمة النسيب في القصائد الجاهلية كانت تعبر عن ((أزمة الإنسان وموقفه من الكون وخوفه من المجهول))[7]. لان النسيب يمثل ((ألم الحنين والرغبة في لقاء الوطن والمحبوب))[8]. وهو أيضا ((بث الشوق

---

[1] وحدة القصيدة في الشعر العربي :139.
[2] الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية : 39
[3] المرثاة الغزلية في الشعر العربي : 23
[4] الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية :23
[5] انظر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي : 161
[6] عشرة شعراء مقلون:ق39/9
[7] مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي : 223
[8] الغزل عند العرب : ج69/1

وتذكر الأيام الجميلة التي خلت مع المحبوب وتمني عودتها))[1]. فمن النسيب ما كان ((نسيب العشق))[2]. وترى نسيب العشق إذا تعلق الشاعر الناسب بإنسانة معينة وهو كثير عند الشعراء العذريين في الجاهلية والإسلام.

وان المطالع الغزلية في الشعر العربي بعامة والجاهلي بخاصة تطرد فيها رنة حزينة باكية تكاد تكون سوداوية في بعض الأحيان وهنا يلعب العامل الاجتماعي والنفسي دورا كبيرا في خلق وتجسيد مفهوم الألم في المقدمة الغزلية[3].

لذلك نجد إن تنوع بدايات القصائد بهذا الشكل يشعرنا بصدق هذه المقدمات وبالدافع النفسي الذي كان يدفع الشاعر إلى الغزل حينا، ويصرفه عنه إلى سواه حينا آخر[4].

وإذا كان افتتاح القصيدة الجاهلية قائما على صور الطلل او الظعن أو النسيب أو الغزل أو الشكوى أو حديث الطيف. فان هذه التفاصيل تبدو متضافرة على منح حديث الشاعر مناخ الأسى البائس عند أعتاب ذكرى تمتلك عليه أقطار نفسه.

وان الصورة المتداولة قي افتتاح القصيدة الجاهلية مرتبطة بخيط يمثل صرح الماضي المنهدم في حياة الشاعر والماثل في ذاكرة معاناته الإنسانية[5].

ويبدو ان امرأ القيس في ذكره للطلل يعبر عن مأساة التغير التي تصيب الأشياء وتصيب من خلالها العواطف المرتبطة بها والناتجة عنها، فالوقوف على الأطلال والتحسر على الذكريات والبحث عن الديار هي رموز ((لتجربة الألم التي يجد فيها الشاعر راحة ولذة نفسيتين يطمئن إليهما في التعبير عن بعض مشاعره الحبيسة)) [6].

---

[1] دراسات في الادب والعلم والفلسفة :20

[2] دراسات في الشعر العربي، عبد الرحمن شكري: 145

[3] انظر المرثاة الغزلية: 2

[4] وحدة القصيدة في الشعر العربي : 191.

[5] انظر دراسات نقدية في الادب العربي : 51

[6] المرثاة الغزلية : 2

ثم ان هذا الشاعر حاول في مقدمة معلقته الذائعة الصيت. شمول ((فكرة بكاء الأطلال على معان من الحسرة والألم والنقصان والحيرة في تلمس مغزى الوجود))[1]. وهذا ما يؤكد مطلع قصيدة أخرى ابتدأه الشاعر بالطلل قائلا:

ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطَّللُ البالي وهل يَعمنْ من كان في العصر الخالي
وهل يَعمنْ إلا سعيدٌ مخلَّدٌ قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوجالِ[2]

اذ يفصح من خلال هذا المطلع من كون الديار قد تغيرت بعد ذهاب أهلها فكيف له ان ينعم بعد فراقهم. وان النعيم والفرح يكون للذي أوتي سعادة مخلدة ويكون قليل الهموم، لا يفزعه ويروعه شيء.

فكأنما أراد الشاعر من خلال هذه الأطلال ان ((يرثي الديار أو يبكي شبابه أو يتوجع من تغير الدهر لحبيبته))[3].

وهو بذلك يبدو ((ذا نفس عاطفية شديدة الانفعال تحب الإفضاء إلى الغير وإلى ذاتها بمكنونات الصدر.. فشعره حديث نفس عارمة وذكريات نفس مشردة وغضبة نفس ثائرة ، وهو إلى ذلك انه حزن وألم ونغمة من نغمات النفس الملكية))[4]. وهذا الألم تلحظه في هذه الأبيات التي تعبر عن هيامه الزائد، وانه لا يريد ان يترك المكان الذي نضح بذكرياته ، فهو يسره ان يبقى طويلا ، فقال:

ظللتُ ردائي فوقَ رأسي قاعداً أعدُّ الحصى ما تنقضي عبراتي
أعنِّي على التَّهمام والذِّكراتِ يبتنَ على ذي الهمّ معتكراتِ[5]

ولعل من اقدر الأمثلة الشعرية التي تعبر عن شدة الألم والمفصحة عن مشاعر الحزن هو ما صرح به امرؤ القيس في هذه الأبيات:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسم عفتْ آياتهُ منذُ أزمانِ

---

[1] انظر دروس ونصوص في قضايا الادب الجاهلي : 238
[2] ديوان امرئ القيس : ق27/2
[3] الحياة والموت في الشعر الجاهلي : 201
[4] تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري : 84.
[5] ديوان امرئ القيس:ق78/6

أتت حِججٌ بعدى عليها فأصبحتْ كخطِّ زُبورٍ في مصاحفِ رُهبانِ

ذكرتُ بها الحىَّ الجميعَ فهيَّجت عَقابيلَ سُقمٍ من ضميرٍ وأشجانِ[1]

فهو يحاول بهذه الوقفة ان يبين الحزن من خلال معرفة ما عرف من علامات الدار ويصف قدم الدار وبعد أهلها عنها فكل تلك الآثار هيجت الذكرى والحزن والأشجان في ضمير الشاعر وقلبه المحزون.

وليس في الطلل وحده يتذكر الشاعر حزنه وألمه وإنما تراه يحاول من وصفه لرحلة الظعن ان ((يستذكر سعادة بعيدة شاحبة الظلال))[2]. لان رحيل الحبيبة ((يخلف لوعة موجعة ولكنها تبقى مجرد ذكرى))[3].وان هذا اللون من الشعر قديم ، ولا يختلف عن الألوان الأخرى التي تصدرت القصيدة العربية في مختلف مراحلها ، والشاعر عندما يراقب الاظعان يرسم لنا صورة معبرة تحكي سلوكه، ويعكس لنا الشاعر حاله،وخوالجه النفسية إزاء مواقف الرحيل هذه ، فالقيم النفسية في مواقف التحمل والوداع بطبيعتها تفيض عليها سيول عاطفية، وذلك لان العاطفة هي العنصر الأصيل[4].

قال امرؤ القيس وهو يراقب الظعن ويصف حاله:

كأنّي غَداةَ البينِ يومَ تحمَّلوا لدى سَمراتِ الحّي ناقفُ حنظلِ[5]

وفي قصيدة أخرى يصرح قائلا:

ألاَ إنعم صباحاً أيُّها الربعُ وأنطقِ وحدِّث حديثِ الرّكبِ أن شئتَ وأصدقِ

وحدّث بأن زَالتْ بليلٍ حُمولهمْ كنخلٍ من الأعراضِ غير مُنبَّقِ[6]

ومن خلال هذه الأبيات نحس أزمة الشاعر، فهو يعرض من خلال رحيل الأحباب ليلا تجربة نفسية عميقة تختفي وراء تمني الربع ان يتحدث لان هذا

---

[1] ديوان امرئ القيس : ق89/9

[2] ملامح السرد القصصي في الشعر العربي قبل الاسلام : 129

[3] دراسات نقدية في الادب العربي : 28.

[4] انظر القصة في مقدمة القصيدة العربية: 54-55.

[5] ديوان امرئ القيس : ق9/1

[6] المصدر نفسه: ق168/3

الحديث فيه مواجهة مع رحيل الأحباب الذي لا يمكنه ان يصدقه[1].

وهذه الإحساس بالألم والفرقة لم يقتصر على شاعر بعينه فهذا مضاض الجرهمي يصف حاله وما آل إليه نتيجة رحيل المحبوبة بسبب الوشاية فهو قد طلب من صاحبيه ان يندباه عند زيارته بعد موته وجدا على (مي).

قائلا:

خليلي هذا موطنَ الموتِ فانبا مُضاضُ بن عمرو حيث شطَ مزارهُ

سلا صاحبَ الخيماتِ عن قبرِ هالكٍ لدى دوحةَ الزيتونِ سرتُ جوارهُ[2]

وان رحلة الظعن ظلت محط أنظار الشعراء قبل الإسلام ((بوصفها المجال النفسي الرحب الذي يعرض فيه الشعراء تفاصيل أحاسيسهم ووطأة معاناتهم ازاء هذه المتغيرات من البقايا... لهذا كانت الرحلة الظعنية مجالا فنيا طيعا ووحيا تسمح للشعراء يتناول كل ألوان المشاعر المزدحمة في نفوسهم ، متحدثين عن معاني الفرقة البعد))[3]. وتحس بهذا الألم من خلال الصورة التي حاول الشعراء بثها في شعرهم وهم يصورون المهم من شدة الوجد والصبوة فهذا عنترة يصف رحيل الحبيبة وكيف فجع القلب بهذا الرحيل مصرحا:

كأنَ فؤادي يوم قمتُ مودعاً عُبيلةَ مِنْ هارب يتفجــعُ[4]

فترى ان قلب هذا الفارس يفر من مخدعه وينطلق في اثر الحبيبة وهو قلب متفجع على فراق من يحب.

ومن خلال الإحساس بالفراق عبر الشاعر عن معاناته النفسية، وإحساسه القاهر بالعجز لرحيل عبلة مع أهلها في ذلك الليل الدامس، لان الحبيبة كانت تمثل رمزا للضياء ينير حياة الشاعر فمن الطبيعي ان يكون فراقها رمزا للعتمة وهذا يضاف إلى الحزن الذي يحمله الشاعر في نفسه وفي شعوره بالاضطهاد داخل قبيلته. فكأنما أراد بالليل التعبير عن معاني الحرمان العاطفي والألم النفسي من

---

(1) انظر الليل في الشعر العربي قبل الاسلام : 48

(2) التيجان : 195.

(3) الليل في الشعر العربي قبل الاسلام : 44

(4) ديوان عنترة :103

خلال قناع الزمن (الليل) وكأنه بهذا التحديد يعبر عن الظلام الذي خلفه الفراق في نفسه[1]. فقال:

أن كنتِ أزمعتِ الفراقَ فإنما زمَّتْ ركابكم بليلٍ مظلـمِ
ما راعني إلا حمولةُ أهلِها وسطَ الدّيارِ تسفُ حَبَّ الخُمخُمِ[2]

فهو ألم قد رافق عنترة طوال حياته. وذلك لان الحبيبة بعيدة وان كانت صورتها أبدا حاضرة. وان شعره كله قد صبغ بصبغة الألم الذي يمازجه شيء من اليأس، فهو بين لوعة كاوية ودمعة سارية[3].

قالوا : اللّقاءُ غداً بمنعرجِ اللّوى وأطولِ شوق المستَهامِ إلى غدِ
وتخالُ أنفاسي إذا ردَّدتها بين الطُّلول محث نقوشَ المبْردِ[4]

واللوعة ناطقة بالسان الشكوى والتظلم فعبر قائلا:

وقد أبعدوني عن حبيبٍ أحبُّهُ فأصبحتُ في قفرٍ عن الإنسِ نازحُ[5]

وكثيرا ما يحاول الشعراء التخفيف عن آلامهم بعتاب الدهر والأيام التي جعلتهم يقاسون آلام الحب فأنشد:

أعاتبُ دهراً لا يلينُ لناصحٍ وأخفي الجَوَى في القلبِ والدَّمعُ فاضحِي[6]

فهذا هو غزل عنترة يفيض رقة وعذوبة ولكن يعبر بنغمة حزينة عن حبه المتألم الذي ملأ عليه كيانه وشعوره.

فهؤلاء الشعراء والعشاق كانوا يقصدون استخدام هذا الشعر للتعبير عن أحزانهم وآلامهم الدفينة. وقد اخلص كل واحد من هؤلاء الشعراء العشاق إخلاصا شديدا لحبيبته، وقضى حياته كلها وقلبه يخفق بحبيبة واحدة لم يتحول عنها إلى غيرها ويتحمل الآلام في حبها. وصرح المرقش الأكبر:

أمن آل أسماءَ والطّلول الدوارسُ يخطّطُ فيها الطيرُ قفرٌ بسابسُ

---

(1) انظر الليل في الشعر العربي قبل الاسلام: 46-47

(2) ديوان عنترة: ق1/ص188، تسف: تأكل ، حب الخمخم حب اسود تأكله الابل

(3) انظر تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري: 176

(4) شرح ديوان عنترة : 59.

(5) المصدر نفسه: 36.

(6) المصدر نفسه: 36

ذكرتُ بها أسماءَ ولو أن وليها قريبٌ ولكن حبستني ألحوابسُ
ومنزلُ ضنكٍ لا أريد مبيتـهُ كأنـي به من شدةِ الروعُ آنسُ[1]

وغدا الشاعر في قصائد أخرى يبين لحبيبته حاله بعد رحيلها ويعبر لها عن شدة شوقه إليها لان ((من شان الحب ان يمتلك القلوب))[2]. فقال:

أغالبكَ القلبُ اللجوجُ صبابـةً وشوقاً إلى أسماءِ أم أنتَ غالبـهُ
يهيمُ ولا يعيا بأسماءِ قلبـهُ كذلك الهوى إمرارهُ وعواقبـهُ
أيلحى امرؤ فـي حُبِّ أسماء قد نأىَ بغمزٍ من الواشين وازوّر جانبـهُ
وأسماءُ همُّ النفسِ إن كنتَ عالماً وبادي أحاديث الفؤادِ وغائبـهُ
إذا ذكرتها النفسُ ظلتُ كأننـي يزعزعني قفقاف وردٍ وصالبـهُ[3]

وقد اكثر الشعراء العشاق خاصة من الحديث عن المرأة وعن طبيعتها وما تثيره في أنفسهم من تباريح الحب ولهم في هذه الذكرى وما تصنع بهم شعر كثير يصفون فيه حبيباتهم[4]. على شاكله المرقش الأصغر القائل:

صحا قلبهُ عنها على أنّ ذكرةً إذا خطرتَ دارتْ به الأرضِ قائما
...
أفاطمَ لو آنّ النساءَ ببلـدةٍ وأنتِ بأخرى لاتبعتكِ هائمـا[5]

فهو يحاول ان يصور حاله وكيف يتبع من يحب هائما على وجه. وهو في أبيات أخرى يفصح عما يقاسي من الوجد قائلا:

فولّت وقد بثّت تباريحُ ما تُرى ووجدي بها إذ تحدُرُ الدمعَ أبرحَ[6]

---

[1] شعر المرقش الأكبر : ق876/3.

[2] الغزل في الشعر الجاهلي :193

[3] شعر المرقش الأكبر: ق888/12، قفقاف: اضطراب الحنكين واصطكاك الاسنان، وصالبه: شدة حرارته مع رعدة.

[4] انظر تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي : 183

[5] شعر المرقش الأصغر : ق535/2-536.

[6] المصدر نفسه : ق531/1

فهو يصف يوم الوداع وما سفحه فيه من دمع وما عانه من الفراق وترى ان شعره قد صدر عن ((فيض قريحته. وصدق تجربته. وشدة مكابدته))[1].

وترى ان التوحد في الحب هو سر شقاء العشاق لذا نجد ان من الآفات التي تعرض في الحب وتعقد مأساته وتسير به في طريق الأسى هو الفراق حيث ان ((الفراق روعات تجلب على العشاق الوبال وربما أذاقتهم التلف))[2]

فترى الشعراء يحزنون حقا وتستيقظ في جوانحهم المواجد وتوجعهم الذكر، ذكرى الماضي البعيد ويقفون يزيدون في قصيدة الفراق نشيدا قصيرا يحكي حكاية القلب في مخاوفه ومواجعه وشوقه[3]، ومن الذين تحرقوا حنينا لفراق من احبوا عبد الله العجلان الذي طلق زوجته وندم على ذلك قائلا:

عاودَ عَيني نَصبُها وغُرُورَها أهمَّ عراها أم قَذاها يَعُورُهَا
أم الدّارُ أمست قد تعفَّت كأنَّها زبورُ يمانٍ نقّشتهُ سُطُورُها
ذَكرتُ بها هِنداً وأترابها الآلي بها يكذبُ الواشي ويعصى أميرُهَا
فما معولٌ تبكي لفقدِ أليفها إذا ذكرتهُ لا يكفُ زفِيرُهَا
بأسرعَ مني عبرةً إذ رأيتُها يخبُّ بها قبلَ الصَّباحِ بعِيرُهَا[4]

وان العشاق الذين أخفقوا في حبهم يحاولون ان ((يعبروا عن هذا الإخفاق وان يتحدثوا عنه.. ومن هنا وجدوا الفن القولي سبيلا إلى التعبير عن مشاعرهم))[5]. كما هو الأمر مع خزيمة بن نهد الذي اخفق في الحصول على من يحب فعبر عن آلامه وتحسره بهذه الأبيات فقال:

---

[1] مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: 185

[2] دراسة الحب : 136.

[3] انظر الرحلة في القصيدة الجاهلية :44

[4] الاغاني : 249/22.

[5] تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام : 287

إذا الجوزاءُ أردفت الثريا ظننتُ بآل فاطمةَ الظنونا
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تخرجُ الشجنِ الدفينا
أرى أبنةَ يذكر ظعنت، فحلت جنوبَ الحزنِ ياشحطاً مبينا[1]

فترى الحبيبة كم أسهرت المحبين فقضوا لياليهم الطويلة يرعون نجومها. فلا غرو إذا ما استهانوا بالموت وتمنوه راحة لهم من الحزن والألم. وذلك ما افصح عنه قيس بن الحدادية قائلا:

وإنّ الذي أملت من أمُ مالكٍ أشاب قُذالي وأستهام فؤاديا
فليتَ المنايا صبّحتني غديّة بذبحٍ ولم أسمع لبينٍ مناديا[2]

وكثيرا ما وازن الشعراء بين حياة الحب والموت الهادئ ففضلوا الموت على الحياة لشدة ما كان يقاسيه المحب من الم الحرمان..

وغدا بعض الشعراء يحاولون التخفيف بالشكوى من معاناة حقيقية دفينة، فيعتب ويتمنى ولا يخرج عن حزنه وألمه[3]. فعبر عن ذلك عروة بن حزام:

فوا كبداً أمست رُفاتا كأنما يلذّعُها بالموقداتِ طبيبُ
بنا من جَوَى الأحزان في الصَّدرِ لوعةٌ تكادُ لها نفسُ الشَّفيقِ تذوبُ
ولكنَّما أبقى حُشاشَة مُقولِ على ما به عودٌ هناك صليبُ[4]

وشكوى عروة تتضمن لوعة وحزن ، فهو يظهر صور حرمانه وشقائه من فقد عفراء التي لم يزل حبها يخفق في قلبه المتألم والمحزون.

وبدأ قيس بن الحدادية يروعه رحيل المحبوبة مسارا إليها محاولا رؤيتها ولكن ردته وصدته فهو القائل:

وما راعني ألا المُنادي ألا ظَعُنوا وألا الرواغِي غُدُوةً والقعاقعُ
فجئتُ كأني مُستضيفٌ وسائلٌ لأُخبرهَا كلُّ الذي أنا صانعُ

---

[1] الاغاني : 75/13، وانظر معجم المستعجم:19/1، صحيح الاخبار:6/3

[2] عشرة شعراء مقلون :ق44/15

[3] انظر صورة المرأة في الشعر العربي الاموي : 45.

[4] شعر عروة بن حزام: ق30/9-31

فقالتْ تزحزحْ ما بنا كبرُ حاجـةٍ إليكِ ولا منا لفقركِ راقعُ[1]

وختاما فان ((رحيل المحب أو رحيل المحبوب من المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة وتسكب كل عين جمود ويظهر مكنون الجوى... ولو ان ظريفا يموت في ساعة الوداع لكان معذورا إذا تفكر فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال وحلول الأوجال وتبدل السرور بالحزن وإنها لساعة ترق القلوب القاسية وتلين الأفئدة الغلاظ وان حركة الرأس وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة حجاب القلب وموصلة إليه الجزع))[2].

[1] عشرة شعراء مقلون: ق39/9

[2] طوق الحمامة : 82.

المبحث الثالث
الغربـــة والضيـــاع

ان الظروف المحيطة بالإنسان- الشاعر بخاصة- لها اثر كبير في تحديد سلوك الفرد وتصرفاته فترى ان المجتمع الذي عاش فيها الشاعر العاشق قد ترك بصمة واضحة في سلوكه فقد ولد في داخله رفض لقهر المجتمع الذي في بعض الأحايين يتقاطع مع أمانيه في العشق وكأنما أراد الشاعر ومن خلال شعره ان يعكس التمزق بين رغبات المجتمع ورغبات الفرد وحاجاته ، ونتيجة لهذا يتولد الوجع العشقي الذي كان في كثير من الأحيان ذا قيمة اجتماعية تبلغ حد الإدانة[1]. ومن ذلك ما نتأمله في قول المرقش الأكبر:

سكنَّ ببلدةٍ وسكنتُ أخرى وقطّعتِ المواثقُ والعهودُ

فما بالي أفي ويخانُ عهدي وما بالي أصادُ ولا أصيدُ [2]

فهذا ما هو الا دليل على شدة الضياع والتشتت بين رغبات الفرد ورغبات المجتمع الممثل بأسرة الحبيبة الرافضة لحبه لابنة عمه (أسماء) وان هذا السؤال الاستنكاري هو دليل على هذا الضياع فهو يحاول ان يستفهم عن سبب الرفض وخيانة العهد.

وبما ان مجال الشعر هو ((الإحساس بخوالج النفس وشرح ما يعتورها))[3] فهو بذلك يتصل بدواخل النفس الإنسانية إذاً مبعث هذه المعاناة هو:

البواعث النفسية: وهي متعلقة بذات الشاعر وما يشعر به من قلق في سبيل من يعشق حيث نجد ان اغلب قصائد الشعراء العشاق تعبر عن قلقهم فالشاعر يحاول ان يتحرر من عذاب العشق ولكنه في الحقيقة هو يخادع نفسه حيث ان حديثه عن الحب في قصائده يسهم في إدامة ذلك الحب الذي يحاول تبديد معاناته[4].

---

[1] انظر الغزل العذري دراسة في الحب المقموع : 3.

[2] شعر المرقش الأكبر: ق875/2

[3] دراسات في الشعر العربي: 343.

[4] انظر الغزل عند العرب: 70/2

وذلك لان قلوب العشاق ((رقيقة كأنها قلوب طير تتماث كما ينماث الملح في الماء وهم ينظرون إلى جمال محاجر أعين لا ينظر إليها الآخرون))[1]. لذلك ترى العاشق يعاني ((اللوعة والأرق))[2].

وذلك ما افصح به امرؤ القيس:

فإمّا تريني لا أغمّض ساعةً من اللّيلِ إلا أن أكِبَّ فأنعسا
تأوَّبني دائي القديمُ فغلَّسَا أحاذر أن يرتّد دائي فأنكسا [3]

ونظير ذلك قول المرقش الأكبر:

سرى ليلاً خيالٌ من سُليمى فأرّقَني وأصحابي هجودُ
فبتُّ أديرُ أمري كلَّ حالٍ وأرقبُ أهلها وهمُ بعيدُ [4]

قال المرقش الأصغر:

أرقني الليل يرقُ ناصبٌ ولم يُعنّى على ذاك حميمْ
من لخيالٍ تسدّي موهناً أشعرني الهمّ فالقلبُ سقيمْ
وليلةٍ بُتّها مُسهرةٍ قد كرَّرتها على عيني الهُمُومْ
لم أغتمضْ طُولها حتّى أنقضتْ أكلؤُها بعد ما نامَ السَّليمْ [5]

ولذلك ليست هناك في الشعر عاطفة ثابتة ولكن فيه أشجان طارئة تثيرها الهموم وتنشئها الذكريات وان هذا الشعور بالقلق هو ناتج عن عدم الاستقرار فالديار تعمر ثم تقفر ، والأحباب يظعنون ويخلفون للعاشق اللوعة والحسرة، فكان بكاء الشاعر في الحب بكاء على نفسه واسى على ذهاب أنسه وفقد متعته[6]. وانشد قيس بن الحدادية :

أحبَّك إن نُعُم نأت أنتَ جازعُ قد أقتربتْ لو أنّ ذلكَ نافعُ

---

[1] الشعر والشعراء : 436/1
[2] دراسة الحب في الادب العربي :40
[3] ديوان امرئ القيس: ق105/13-106.
[4] شعر المرقش الأكبر: ق874/2
[5] شعر المرقش الأصغر: ق539/3-540.
[6] انظر دراسة الحب في الادب العربي:18.

قد أقتربتْ لو أنّ في قربِ دارِها نوالاً ولكن كلٌ من ضنَّ مانعُ[1]

إذاً الضيق في اغلب المواقف، هو الذي يدفع بالشعراء إلى الرحيل يبتغون به خلاصا من ربقة ذكرى موجعة تهيجها الديار المقفرة، أو خيبة أمل في الحصول على الحبيبة أو لحاجة مقيمة في النفس[2]. لذا فان الشاعر يحاول ان يبدي الوجع إزاء الحرمان والكبح، وهذا يعني ان بث الهوى والتعبير عن لوعة الروح، هو الإيقاع الأول للغزل[3]. وهذا ما نتأمله في قول عروة بن حزام الذي عبر عن شوقه وشعوره بالغربة التي كان يستشعرها نتيجة الفراق:

متى تجّمعي شوقي وشوقكِ تُفدَحى ومالكِ بالعبءِ الثَّقيلِ يدانِ
فيا كبدينا من مخافةِ لوعةِ الـ فراقِ ومن صرفِ النوى تَجِفانِ
وإذ نحنُ من أن تَشحطَ الدارُ غربةً وأن شُقَّ للبينِ العصا وجلانِ[4]

إذاً الشاعر العاشق هو ((روح ثائرة لا يعرف القرار والهدوء والاطمئنان))[5].وهو أيضا ((رجل مغلوب على أمره يعيش رهن آلامه وأوجاعه وسهره ودموعه))[6].

والملاحظ على الشاعر العاشق ان الحب لا يتخذ مظهرا واحدا لديه، فهو هادئ عند بعضهم وثائر عند آخرين، حيث ان بعض النفوس تحاول ان تخضع مشاعرها لرقابة العقل فتجعله هادئا. وبعض النفوس تحاول ان تجمع بين العقل والقلب معا حيث يعيش العقل في آسار القلب ، وانه حب لا يخالطه برد وانما

---

(1) عشرة شعراء مقلون : ق37/9.

(2) انظر الرحلة في القصيدة الجاهلية:61.

(3) انظر الغزل العذري :120.

(4) شعر عروة بن حزام: ق13/2.

(5) العشاق الثلاثة : 14.

(6) الحب بين تراثين : 94.

يمضي بصاحبه في كل حيز خشن صعب، ويقذف به فوق الرمال المشبوبة يشتوي بها يوقد النار ويحترق بها[1].

ويعد الشعراء العشاق الذين نتحدث عنهم هم من النوع الثاني الذي يجعل العقل خاضعا للقلب ويفعل كل ما يأمره لذلك جاء شعرهم ملئ بالحزن والأسى والأشجان والمرارة. قال عبد الله بن العجلان:

ألا أبلغا هنداً سلامي وإن نأتْ فقلبي بها مُذْ شَطَّتِ الدارُ مدنفُ

ولم أرَ هنداً بعد موقفِ ساعةٍ بأنعمَ في أهلِ الدّيارِ تُطوفُ[2]

لذا سنجد ان الشاعر حتى في وصفه لذاته في بعض ملاهيها ولهوها انما يعكس بعض مخاوفه وقلقها فلذلك يتكرر لديهم هذا التساؤل الاستنكاري وكأنما اراد ان يتكلم عن حبه بصرخة الألم[3]. وهذا كله ناتج عن حرمان المحب من حبيبته لذلك يرى ابن داود (ت 297 هـ) ان ((من شأن من غاب عن خليله ان تناله حيرة في جميع أموره))[4]. فغياب المحبوب يولد حيرة واغتراب في داخله وهذا الاغتراب في النفس ناتج عن ((الإغراق والمبالغة في الحب، مما يؤدي إلى الاغتراب عن الحياة إذا استشرى، وقف الإنسان في نطاق محكم لا يدع له حرية الحركة والتفكير في غيره))[5]. وهذا الخوف من الفراق وهذه الحيرة التي تصيب المحبين تكون شديدة الأثر في ((المتيمين والعشاق الذين استغرقهم الضعف بأحبابهم... فآمالهم مقصورة إلى الحذر من زوالهم))[6]. وهؤلاء الشعراء يشيع لديهم ((لون من الحيرة والتردد والتساؤل عن غاية هذا الوجود الإنساني ومعناه))[7]. ويظهر جليا وواضحا في صياغة عبارات لم الطلل ولمن الديار، أتعرف رسم الدار، أمن آل هند.. حيث تمثل شكلا منهجيا واحدا من الأشكال التي تقف أمام كثير من الأعمال الشعرية التي اقدم

---

(1) انظر تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: 288.

(2) الاغاني (طبعة دار الثقافة) : 253/2.

(3) انظر المرثاة الغزلية في الشعر العربي: 908.

(4) الزهرة: 199/1.

(5) سيرة عنترة بن شداد :216.

(6) الزهرة : 161/1.

(7) دروس ونصوص في قضايا الادب الجاهلي :144.

عليها الشعراء ، وهي تمثل في صياغتها التساؤل الضائع الذي كان يدور في رأس الشاعر، وهو يقف أو يحاول ان يقف عند ديار الأحبة الدارسة ..وقد استطاع الشاعر استغلال هذا التساؤل ليظهر من خلاله موجات المشاعر المتدفقة وليمرر من بين الحيرة أحاسيس الوحدة والغربة والانعزال التي كانت تقف شاخصة بكل أبعادها أمامه وهو يتلمس الزمن بقسوته والطبيعة ، بمظاهرها القوية، والدهر بمصائبه وحوادثه[1]. لذا لجأ الشاعر إلى وصف ((اختلاف الزمن النفسي وتقاصره عند المسرة والفرح وتطاوله عند الانتظار والضجر))[2].

فالشاعر يحاول بهذا التساؤل ان يخفف من آلم المعاناة ويحاول ان يبين لنفسه وللآخرين ما فعل الزمن بمكان الأحبة ، وذلك ما أومأ إليه عنترة قائلا:

يا دارُ أين ترحّلَ السُّكانُ وغدت بهم من بعدنا الإظعانُ
بالأمسِ بكِ الظباءُ أوانساً واليومَ في عرصائكِ الغربانُ[3]

وان الشاعر العاشق الذي يقاسي من الحب والشوق والحرمان، ويغرق في مأساته إنما تتملكه ذكرى واحدة، وصورة واحدة، سرعان ما يفقد ذلك العاشق توازنه الفكري ويصاب بالذهول والارتباك[4]. وهذا الحرمان يؤدي إلى ((نشوء سلسلة من التساؤلات والشكاوى))[5]. كما هو الحال عند مضاض الجرهمي الذي حاول من خلال تلك التساؤلات الكثيرة ان يبين مقدار عذابه ومقاساته فهو القائل:

علام قَبستِ النارَ أمُ غالبٍ بنارِ قُبيسٍ حين هاجتكِ نارهُ
على كبدِ حرى وأنتِ عليمةً بغيبٍ رقيق لا يُبينَ ضِمارهُ[6]

---

(1) انظر وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: 13.
(2) دراسات فنية في الادب العربي :199.
(3) شرح ديوان عنترة : 149.
(4) انظر الحب بين تراثين: 94.
(5) الغزل عند العرب : 71/2.
(6) التيجان : 193.

ولعل الشاعر الحائر يجد في عوامل الطبيعة وهي واقع ملموس في مجتمعه أقوى هذه العوامل أثرا، واشدها وقعا وأكثرها قسوة. لذا تجده قد وقف أمام تلك الطلول حائرا متسائلا وهو يشعر بغربته عنها لتغير حالها قال امرؤ القيس:

لمنِ الدّيارِ غَشِيتُها بسُحامِ فَعَمايتين فهضبِ ذي أقدامِ
فصفا الأطيط فصاحتين فغاضرٍ تمشي النَّعاجُ بها مع الأرآمِ[1]

وما صرح به في قصيدة امرئ:

لمن الدّيارُ عفونُ بالحبسِ دَرسُتْ وتحسبُ عهدها أمسِ
كيف الوقوفُ بمنزلٍ خلـقٍ أم ما سؤالُ جنادلٍ خُرسِ
دارٌ لفاطمةَ التي تبلـتْ قلبي وتيَّمَ حُبُّها نفسـي[2]

ثم ان بعض من الشعراء قد ظهرت معاناتهم بين التفرد والانتماء، وانتهت معاناتهم إلى توجه شعري متميز كالمرقش الأكبر الذي حرمه قومه من حبيبته اسماء فافرغ معاناته في القصائد الغزلية المتلحفة بمرارة الاسى:

هل تعرفُ الدّارَ عفا رسمُها إلا ألاثافيَّ ومبنى الخيـمْ
أعرِفُها داراً لأسماءَ فالـ دَّمعُ على الخدَّينِ مسحٌّ سجمْ

....

فهل تُسلّي حُبَّها بـازلٌ ما إن تُسلّي حُبَّها من أمـمْ[3]

وقوله في تساؤله عن رحيل الظعن:

لمنِ الظعنُ بالضُّحى طافياتٍ شِبهُهَا الدَّومُ أو خلايا سَفِينِ[4].

وبعض الشعراء بعد ان يهتدي إلى الدار يبدأ بسؤالها وقد تتوارد عليه أسئلة كثيرة، وقد تمتد إلى ان يسأل الطيور ليطلب منها الجواب ، بعد ان يئس من الحصول على الجواب الشافي من آثار الديار، فهذا عروة بن حزام يؤكد ذلك قائلا:

ألا يا غُرابى دمنةِ الدّارِ بيّنا أبا لصَّرمِ من عفراءَ تنتحِبانِ[1]

---

[1] ديوان امرئ القيس: ق114/15، سحام : اسم موضوع ، عما يتبين : جبلان

[2] المصدر نفسه: ق243/52، عفون : درسن ،الحبس : مكان، الجنادل: الحجارة.

[3] شعر المرقش الأكبر: ق879/5.

[4] المصدر نفسه: ق878/4.

وان هذا الضياع والغربة تجدها واضحة المعالم لدى عنترة، فهذا الصراع بين التفرد والانتماء ومحاولته التعبير عن التمزق الشديد الذي يشعر به اتجاه محاولته تخطي القبيلة من خلال شعره لان الحب قد استولى على نفس عنترة فلم تعد تطيق على فراق الحبيب صبرا طويلا فوقف متحيرا، قائلا:

طالَ ألثَّواءُ على رُسومِ المنزلِ بين اللَّكيك وبين ذاتِ الحرملِ

فوقفتُ في عرصاتها مُتحيرّاً أسلُ الدّيارَ كفعلِ من لم يَذهلِ[2]

ويبد ان عشق عنترة قد سبب له لوم الناس وعلى الرغم من كونه عشيقا ساميا إلا انه قد جعل عنترة مضطرب الفكر وقلقا حيث قال:

لامت أناس على عشقٍ وما عملوا بأن منزلُ عشقي في الهوى سامِ

وعدتُ من فرطِ مابى تائهاً قلقاً من الصبابةِ خلفي صار قُدامى[3]

وان عنترة لم يكن يريد ان يشاركه أحد في عبلة حتى ولا باسمها او باسمه إذن فعنترة قد اغترب عن نفسه، وعن الآخرين، واصبح بلا أصدقاء بل كثير الخصوم وذلك لان الهوى قد تحكم فيه[4]. قائلا:

أيا عبلُ ماكنتُ لولا هواكِ قليلَ الصديقِ كثير الأعادي

وحقكِ لا زالُ ظهرَ الجوادِ مقيلي، وسيفي ودرعي وسادي[5]

وان بعض الشعراء راح يكلم ويسأل أقربائه وأهله لمعرفة الإجابة عن أسئلته كما فعل عبد الله بن علقمة عندما سأل أمه حول من يحب مخاطبا إياها في قوله:

يا أمَّنا أخبريني غير كاذبةٍ وما يريدُ مسولُ الحقّ بالكذبِ

أتلك أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ لا بل حُبَيْشَةُ في عيني وفي أربي[6]

وقد ينظر الشاعر إلى فراق أحبته او تغير عهودهم على انه من الوان الغناء والتحول الذي لا يبقى عليه شيء. فهذا عروة بن حزام تراه وكأن القدر تعمد ان

---

[1] شعر عروة بن حزام: ق16/3.

[2] ديوان عنترة :ق246/6، اللكيك وذات الحرمل : موضعان.

[3] سيرة عنترة، السيرة الحجازية: 25/3.

[4] سيرة عنترة بن شداد : 216.

[5] شرح ديوان عنترة : 44.

[6] الاغاني (طبعة دار الكتب): 280/7.

يضيع هذا الشاعر بعد موته كما أضاعه في الدنيا، ولعل هذا الشاعر كان يحس بهذا الضياع الذي لفه، وسيلف شعره بعد موته، قائلا:

بي اليأسُ الداءُ الهيامُ سقيتهُ فإياكَ عني لا يكن بك مابيا [1]

ويعبر في أبيات أخرى عن عدم مقدرته على النوم او كيف يستلذ به الإنسان من كان حبيبه بعيدا عنه، مفصحا عن ذلك قائلا:

وكيفَ يلذُّ النَّومُ أم كيفَ طعمهُ صفا النَّومَ لي أن كُنتما تصفانِ [2]

وهو تساؤل من محب لم يعرف النوم والراحة طريقا إليه وذلك لفقده من يحب:

ألا خبراني أيُّها الرجلانِ عن النُومِ أن الشَّوقَ عنهُ عداني [3]

وراح بعضهم يصف نفسه وحاله في الحرب والسلم ويعرض عدم ارتياحه من الحياة فهو قلق لم ينل حظا طيبا فيرتاح ولا هو ميت وذلك ما توافق مع رؤية قيس بن الحدادية قائلا:

فيوماي يومٌ في الحديَد مُسربلاً ويومٌ مع البيضَ الأوانسَ لاهيا
فلا مُدركاً حظاً لدى أم مالكٍ ولا مُستريحاً في الحياةِ فقاضيا
خليلي إن دارتْ عليّ أمُ مالكٍ صروفُ الليالي فأبعثا لي ناعيا
ولا تتركاني لا لخيرِ مُعجّلٍ ولا لبقاءٍ تنظرانِ بقائيا [4]

---

[1] شعر عروة بن حزام:1.

[2] المصدر نفسه : ق26/8.

[3] المصدر نفسه: ق26/7.

[4] عشرة شعراء مقلون: ق44/15.

المبحث الرابع
الإقـــدام والتحـــدي

ان الناظر في الشعر الجاهلي يجد فيه الكثير من الصفات والخصال التي يحبذها المجتمع ويتمنى وجودها في الرجل وهي ان يكون شجاعا مقداما متحديا لا يخاف المصاعب متجاوزا لكل ما يعيق طريقه وهذه الشجاعة لا تقتصر على الرجل الفارس بل على الرجل العاشق وغير العاشق أيضا، لان أولئك العشاق ((رجال آمنوا بالحب، فعظموه ومجدوه واستهانوا من اجله بما يقاسي عباد الجمال، من مصاعب وأهوال. لقد طاب لهم ان يفتضحوا بالحب، وان يجعلوه نصيبهم من المجد))[1]. فانشد عنترة:

تغالتْ بي الأشواقُ حتَّى كأنما بَزندينِ في جوفي من الوجدِ قادحُ
وقد كنتَ تخفي حبَّ سمراءَ حقبةً فبح لان منها الذي أنتَ بائحُ[2]

وقد استطاع الإنسان ان يعبر عن عاطفة الحب بأشكال متنوعة كأن الشعر والبطولة والحرب والأسطورة والرمز صورة من صور الحب ولونا من ألوانه[3].

وقد كان للبيئة العربية أثرها في بلورة هذه العاطفة وساعدت على تكوين أخلاق وتقاليد جديدة سرت في روح العربي وتمكنت من نفسه.. وهي صفات الفروسية التي آثارها في عاطفته وحبه فهو يحب ان يظهر أمام حبيبته بمظهر القوي الذي يحميها ويخاطر في سبيلها[4]. قال امرؤ القيس:

جَزِعتُ ولم أجزعْ من البينِ مَجزَعا وعزَّيتُ قلباً بالكواعبِ مُولعا
وأصبحتُ ودّعتُ الصِّبا غير إنَّني أراقبُ خلاَّتٍ من العيشِ أربعا

....

إذا أخذتها هزَّةُ الرَّوعِ أمسكتْ بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروعا[5]

فهو غير مبال بالموت اذا حل به ما دام مملوء قلبه بحب حبيبته.

---

[1] العشاق الثلاثة : 3.
[2] شرح ديوان عنترة: 37.
[3] انظر الحب والعشق والتوجه الاجتماعي : 48.
[4] انظر الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية : 16-17.
[5] ديوان امرئ القيس: ق51/240-242.

ويبدو ان الشاعر العاشق قد جعل ((من الحب ملحمة يتغنى فيها بحسن بلائه وعظيم جهاده، ويفنن فيها في جلاء مظاهر بطولته تجاه ما يعاني من صنوف العذاب وصار بذلك بطلا لملحمة من نوع جديد))[1]. قال عروة بن حزام:

تحمّلتُ من عفراءَ ما ليس لي به ولا للجبالِ الرّاسياتِ يدانِ[2]

وان هذا الشعور بالقوة والسمو راجع إلى اثر الحب في تهذيب العاشق واكتمال خلقه وشخصيته فان الحب هو الينبوع والمصدر لكل الأشياء الخيرة، ولولاه ما عرف الإنسان معنى اللطف والمجاملة والتظرف. يقول (اندرياس):ان الحب يحول الرجل الفظ الغليظ إلى ظريف لين العريكة، ويزود الرجل الوضيع المنشأ بالخلق النبيل... وان المحب لقادر على البذل مستعد لإستداء المعروف لأي كان من الناس[3].

وينبغي لنا ان نتأمل النموذج الشعري الذي يعمد الشاعر إلى صياغته فترى ان الأغراض التي عرض لها الشعراء الجاهليون، لم تكن في كثير من الاحيان مقصودا إليها قصدا، ولا متعمدا تعمدا، بل كانت روح الحب وعواطف الهوى هي التي يبتغيها ،وهي التي تكمن ورائها، وكانت هذه الأغراض تتصل بالغزل بهذا السبب او ذاك، فمثلا التغني بالشجاعة والإقدام الذي انشده عنترة في معلقته، لم يكن بعيدا عن روح الغزل بل كان منه منبعه ومصدره فذلك مهره للمرأة الحبيبة عبلة[4]. فهو القائل:

هلاَّ سَألتِ الخيلَ يابنةَ مالكِ أن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
إذ لا أزالُ على رحالةِ سابحٍ نهدِ تعاورهُ الكُماةُ مُكلَّمِ
...
يُخبركِ من شهدَ الوقائعَ أنَّني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ[5]

---

(1) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية:22.

(2) شعر عروة بن حزام :ق13/2.

(3) انظر الحب بين تراثين:30.

(4) انظر تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: 24.

(5) ديوان عنترة :ق207/1-209.

ففي هذا الفخر لم ينس الشعراء فخرهم بأنفسهم أمام محبوباتهم فتغنوا بسجاياهم الكريمة وصفاتهم المحمودة في حدود المفهوم الاجتماعي والخلقي الذي تعارف عليه المجتمع الجاهلي[1]. فعنترة لا ينسى فخره بفروسيته المادية التي تتمثل في شجاعته الحربية وفروسيته المعنوية الخلقية التي تتمثل في عفته وخصاله التي يفخر بها أمام ابنة عمه عبلة.

وان الشعراء الفرسان ولا سيما العشاق يتغنون بمجموعة من الفضائل والخصال وهو جانب واضح في شعر عنترة... وقد ظل عنترة يتغنى بحب عبلة طوال حياته تغني المحب المحروم ويمكن ان يعد ابا لشعر الحب العذري عند العرب. كما يعد فعلا اباً للفروسية العربية[2]. فهو يتذكر حب عبلة في أحرج أوقاته واعظم مفاخره فقد ذكرها والسيوف تتصافح وبلغت به شجاعته وحبه معا انه ود ان يقبل السيوف لأنها تبرق وتلمع كما تلمع ثناياها. فهو القائل:

ولقد ذكرتكِ والرّماحُ نواهلٌ منّي وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيل السُّيوفِ لأنها لمعتَ كبارقِ ثغركِ المتبسّمِ[3]

فهو دائم الذكر لها في وغى الحرب، وحتى حين تعبث به سيوف أعدائه ورماحهم انه من اجلها يحارب ويخاطر ويغامر. وان ((وجع الحب، هو الذي جعله يتصور حبيبته معه أينما ذهب، فان عبلة لم ترافق عنترة في شعره الحربي وحده، بل رافقته في شعره الحماسي))[4]. فهو ((شعر ممزوج بالعاطفة المتأججة المتألمة))[5]. وما كانت فروسية عنترة إلا وليدة صدقه في الحب فهو ((بطل الحب العفيف المعذب، الذي يغامر في سبيل ابنة عمه، ويغالي في طلبها))[6].

يا عبلُ لولا أن أراكِ بناظري ما كنتُ ألقى كلَّ صعبٍ مُنكرِ[7]

---

[1] انظر دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي:189.
[2] تاريخ الادب العربي ، العصر الجاهلي :37.
[3] شرح ديوان عنترة:126.
[4] سيرة عنترة بن شداد : 221.
[5] تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري: 179.
[6] المصدر نفسه : 168.
[7] شرح ديوان عنترة: 72.

وكانت الحبيبة تثير في نفس المحب اهتمامه الكبير بشأنها ولهذا نجدها موضع عنايته يتوجه إليها بجليل أعماله، فهو يبين قوته وغيرته على حبه فهو القائل:

إذا لعبَ الغرامُ بكلِّ حرّ حمدتُ تجلُّدِي وشَكرتُ صَبري
وفضلتُ البعادَ على التَداني وأخفيتُ الهوى وكتمتُ سرّي
ولا أبقي لعذَّالي مجالاً ولا أشفي العدُّو بَهتكُ ستري[1]

وان التحديات التي عانى الشعراء من وطأتها تمثلت باضطهاد اسري او حرمان من حس مادي او معنوي او إخفاق من وشيجة اجتماعية[2]. وربما قد تشكل الأحداث الشخصية منفذا آخر من منافذ المعاناة التي تشكل تحديا يستدر استجابة فكرية يحاول الشاعر من خلالها تنظير الصيغة التي يقررها طموحه الإنساني، وقد رأينا ان تحديات الفقر والضعف وعقد النقص والغربة الذاتية شكلت منطلقا لمواقف متعددة استوعبها الشعر استجابة للتحدي المباشر[3].

وذلك كله باعثا على معاناة من أنماط أخرى لعل أوضحها ما كان يعانيه بعض الشعراء السود لاسيما العشاق منهم، غربة قاسية تباينت وسائلهم في محاولة تجاوزها فيسلكون سبل شتى للتعويض عن عقد النقص[4]. وعليه ترى ان العربي في الجاهلية كان صاحب أنفة وشرف ويأبى الضيم ويغار على العرض... ولم يكن اشد منهم غيرة على العرض، وفي إخبارهم ما لا يحصى من الدفاع عن المرأة وعرضها[5]. فقد اظهر الفرسان الشعراء بطولات نادرة مصبوغة بالغرام والحب لاسترجاع الفتيات الأسيرات في مناسبات تفوق الحصر. وكان الحب في نظر العرب نعمة يبعث الشعور الصادق، والعاطفة النبيلة، ويوقظ صفات الرجولة والبسالة. فكان لكل فارس حبيبة تومئ إليه بأمثلة الشجاعة فكانت فروسية العرب فروسية حقة تمتاز

---

[1] المصدر نفسه : 66.

[2] انظر القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام: 225.

[3] دراسات نقدية في الادب العربي: 181.

[4] المصدر نفسه:177.

[5] انظر تاريخ اداب اللغة : 86/1.

بالإخلاص والجمال[1] . وخير دليل على تلك البطولات التي خاضها الشعراء العشاق الفرسان من اجل فك اسر الحبيبة من يد الأعداء هو ما فعله وافصح عنه ابو نصر البراق:

لأفرجنَّ اليومَ كُلَّ الغُمَـمِ مِن سبيهم في اللَّيلِ بيضَ الحرمِ
صبراً إلى ما ينظرونَ مقدمي أنـيّ أنا البرَّاقُ فوقَ الأدهـمِ
لأرجعنَّ اليومَ ذاتَ المبسمِ بنتَ لُكيزَ الوائِلـيّ الأرقــمِ[2]

وقوله :

أمن دونِ ليلى ، عوَّقتنا العوائقُ جنودٌ وقفرٌ ترتعيهِ النَّقانــقُ
وعجمٌ ، وأعرابٌ ، وأرضٌ سحيقةٌ وحِصنٌ ، ودورٌ دُونها ، ومغالِـقُ
وغرَّبها عنّي لُكيزٌ بجهلــهِ ولمَّا يعقهُ ، عند ذلكَ ، عائـقُ
وقلَّدني ما لا أطيقُ ، إذا ونـتْ بنو مُضرَ الحُمرُ ، الكرامُ ، الشَّقائقُ
وأنّي لأرجوهم ،ولستُ بآئـسٍ وأنّي بهم ياقومُ، لا شكَّ ، واثـقُ
فمنْ مُبلغٌ بُردَ الأيادي وقومـهُ بأنّي بثأري. لا محالةَ لاحِـقُ
رمى اللهُ من يرمي الكعابَ بربيةٍ ومن هو بالفحشاءِ والمكرِ ناطِقُ[3]

ويصف مضاض الجرهمي بطولته وقوته من خلال ما صرح به امام حبيبته قائلا:

صريعُ هوى نائي المحلةُ نازحُ سبحاً بعد أشراقِ الصباحِ نهارهُ
على أنهُ قرنٌ إذا هبَ طارقٌ فَليث عرينَ لا يشقُ غُبارهُ[4]

وترى ثمة شعراء عانوا من ظروفهم الشخصية حد اليأس ولكنهم ظلوا يواجهون قدرهم من موقع الطموح لاحتلال مواقعهم الاجتماعية التي تليق بهم. ولعل امرأ القيس الذي عانى من اضطهاد الأب في شبابه وحمل مسؤولية إعادة بناء مملكة كندا المنهارة بعد مقتل أبيه يمثل واحدا من أوضح أمثلة الاستجابة البطولية لمجرى الحياة الشخصية المأساوية على الرغم من هذه اللمحات العابثة التي تمتد إلى شعر

---

[1] انظر المرأة في الشعر الجاهلي :256.

[2] شعراء النصرانية: 145.

[3] المصدر نفسه: 145.

[4] التيجان :195.

ما بعد مرحلة الضياع الأولى من حياته[1]. ويبدو ان من ضروب مفاخرة الفتيان هو مودة النساء وذكرهم لأكثر من امرأة في شعرهم وان القدرة الفنية للشاعر تبين لنا السر الذي دفعه إلى تصوير حالته النفسية وتصوير شجاعته، وان الحديث عن تلك المغامرات ربما لا تحمل محملا واقعيا، وانما هي من خيال الشاعر التي ساقها للدفاع عن نفسه، لأنه بحاجة إلى تأكيد هذه الصفات كي يعلل نفسه لتتجشم الأهوال.

وإذا التمسنا المغامرة الليلية في شعر امرئ القيس ، فأول ما يطالعنا تلك المغامرة التي عدها ضربة من الشجاعة والتحدي متجاوزا الأجراس والأهوال في سبيل لقاء من يحب وذلك ما افصح عنه في قوله:

وبيضةِ خدرٍ لا يرامُ خباؤها تمتَّعتُ من لهوٍ بها غير مُعجلِ

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ معشرٍ عليَّ حراصٍ لو يشّرونَ مَقتلي[2]

لقد وصف الشاعر لنا مغامرته الليلية وكيفية تجاوز ما يحيط بحبيبته من الحراس والأهوال بطابع من التستر والتخفي وهو يعرض شدة شوقه للقاء الحبيبة وكيف استسهل الصعاب والأهوال وصولا إلى مراده. ونجد ان امرأ القيس قد ((فخر بما يلائم حياته اللاهية... وبانه يستطيع الدبيب إلى حيث يهوى من غير خشية او اشفاق من الاحراس الحراص على مقتله))[3].

ولوجود المرأة إلى جانب الرجل كان لابد له ان يتوجه اليها بكريم خصاله وجليل فعاله وخالص حبه وولائه وعطفه واحترامه فضلا عن اقدامه وتحديه للمخاطر، وذلك حسب منزلتها في نفسه وصلتها به[4]. واستسهاله للمصاعب في سبيلها واللحاق بها اينما ذهبت حتى وان حلت بارض بعيدة من ذلك قول المرقش الأصغر:

ألا يا أسلمِي ثُمَّ أعلمي أنّ حاجتي إليكِ فرُبّي من نوالكِ فاطِما

---

[1] انظر دراسات نقدية في الادب العربي: 182.

[2] ديوان امرئ القيس: ق13/1.

[3] معلقات العرب: 339.

[4] انظر المرأة في الشعر الجاهلي: 24.

أفاطمَ لو أنّ النساءَ ببلدةٍ وأنتِ بأخرى لاتَّبعتُكِ هائمِا[1]

وان بعض الشعراء تجد الهمة والقوة لديه بحيث انه يستطيع ان يلمس النجوم بيده وهذه القوة تاتي من عشقه الكبير وهذا ما نتأمله في قول عبد الله بن العجلان:

لقد كنتُ ذا بأسٍ شديدٍ وهمةٍ إذا شئتُ لمساً للثُريا لمستُها
أتتني سهامٌ من لحاظِ فأرشقت بقلبي ولو أستطيعُ ردّ أرددتها[2]

وقد يصل العشق بالشاعر ان يبلغ به التحدي حدا انه يرتكب جريمة قتل في سبيل من يعشق كما فعل خزيمة بن نهد حين قتل والد حبيبته الذي رفض تزويجه اياها فقال معترفا بذلك:

فتاةٌ كأنَ رضابَ العبيرِ بفيها يُعلُّ به الزنجبيلُ
قتلتُ أباها على حُبِها فتبخلُ أن يخلفُ أو تنيلُ[3]

ومن ملامح العشق الصادقة الذي غرسته المرأة في قلب العربي العاشق التضحية الصادقة والاستبسال لاجل الحب فاصبح العاشق لا يخشى أي شيء فلا غرو اذا ما استهانوا بالموت وتمنوا وقوعه. وذلك ما نطالعه في تجربة قيس بن الحدادية العاطفية:

وأن الذي أمّلتُ من أمِّ مالكٍ أشابَ قُذالي وأستهامَ فُؤاديا
فليتَ المنايا صبَّحتني غَدَيَّةٍ بذبحٍ ولم أسمعْ لبينٍ مُناديا[4]

فهذا الشاعر الصعلوك العاشق ((يريد ان يثبت القوة لنفسه حيث يظن به الضعف))[5]. لذا فان ((الموت في اثناء الصراع والقتال ، فتلك نهاية جديرة بالصعلوك الثائر، وفي معنى الاقدام والمخاطرة بالنفس والاستهانة بالحياة))[6].

وهذا ما تراه في موقف الشاعر بشر بن عوانة حينما استهان بالموت في سبيل الحصول على مهر ابنة عمه التي من اجلها لاقى اشد الحيوانات ضراوة

---

[1] شعر المرقش الأصغر: ق536/2.

[2] تزيين الاسواق:141/1.

[3] الاغاني: 76/13، وانظر معجم ما استعجم : 20/1 وصحيح الاخبار :7/3.

[4] عشرة شعراء مقلون: ق44/15.

[5] الادب العربي في العصر الجاهلي: 152.

[6] المصدر نفسه : 157.

وكانما اراد من خلال هذه المواجهة ان يؤكد ((صفة الشجاعة لنفسه))[1] وهو قد أكدها في هذا الخطاب الشعري:

فاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خبتٍ وقد لاقى الهِزَبرُ أخاكِ بِشراً

إذاً لرأيتِ ليثاً زارَ ليثـاً هزبراً أغلباً لاقى هزبـرَا[2]

اذا كان الشعر في عصر البطولة الوسيلة شبه الوحيدة للتعبير الادبي عن الأفكار وعن عاطفة العشق والهيام وكانت القصيدة تعتبر الطراز الامثل والاوحد في الفن الشعري[3].

---

[1] ملامح السرد القصصي في الشعر العربي قبل الاسلام :187.

[2] شرح مقامات بديع الزمان : 462 وانظر نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس: 338/1 وحياة الحيوان الكبرى 545.

[3] تاريخ العرب مطول: 126/1.

المبحث الخامس
الأمـــــل والتفـــاؤل

ان العربـي فـي جاهليتـه ، كـان يهـوى الجمـال بهـذه الصـورة او بتلـك لـذا راح يفتش فيما حوله عن ذلك الجمال لكي يملأ عليه نفسه وقلبه وعقله فلم يجد اجمل من المرأة رمزا للتعبير عما يشعر به فكيف بالعاشق فهو عندما يذكر حبيبته ((يعتريه لطيب ذكراها من الفرح والنشوة ما يعتري العصفور حين تبله قطرات الغيث بعد طول ظمأ فـي الصـحراء)) [1]. وتـرى ان هـذا العاشـق بعـد اليـأس العميـق الـذي رمـز لـه بالطلل تنفتح أمام نواظره بوارق الامل، فاتخذ المرأة رمزا له ولا يعبر عن هذا الامل بامرأة قبيحة الخلقة وانما يعبر عنه بامرأة جميلة قد جمعت كل صفات الحسن[2]. قال امرؤ القيس:

تضئُ الظَّلامَ بالعشاءِ كأنَّهـا منارةُ مُمسى راهبٍ متبتِّـلِ

وتضحي فَتيتُ المسكِ فوقَ فِراشها نئوم الضُّحا لم تنتطق عن تفضُّلِ[3]

وان العاشق الذي يقاسي ما يقاسيه في سبيل الحب حزنا وسقما، هذا العاشق على الرغم مما هو فيه، ليس بيائس انه يحتمل الم البعد آملا في اللقاء ، ويتجلد حين الهجر مترجيا الوصل، وبين هذا وذاك يتوسل بشتى الوسائل التي تدنيه من أمله وتيسر له الطريق إلى ما ينشد[4]. كأن يستعين العاشق بالرسل ليقربوا بينه وبين من يحب قال عنترة:

فبعثتُ جارتي فقلتُ لها أذهبـي فتجسَّسي أخبارها لـي وأعلمـي[5]

او يبعثوا السلام لمن يحبون مع اصحابهم كما فعل عبد الله بن العجلان:

ألا أبلغا هنداً سلامي وأن نأتْ فقلبي بها قد شطتُ النَّائُ مُدنفُ[6]

---

[1] الحب بين تراثين: 115.

[2] انظر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي:163-164.

[3] ديوان امرئ القيس: ق17/1.

[4] انظر الحب بين تراثين:99.

[5] ديوان عنترة: ق213/1.

[6] الاغاني : 253/22.

لذا فان ((الشاعر لا يعبر عن عاطفة واحدة او نفس واحدة بل يعبر عن عواطف متغايرة ، ونفوس متباينة))[1].

وان الامل لا يصور بذاته لانه وجداني معنوي ولكن نصور ما ترمز اليه. لذا حاول الشعراء ولاسيما العشاق منهم إلى اتخاذ المرأة رمزا معبرا عن ذلك الامل والجمال قال عنترة:

ولئن سألتَ بِذاكَ عبلةَ خبِّرتْ أن لا أريدُ من النّساءِ سِواها
وأجيبها إما دعّت لعظيمةٍ وأعينها واكفُ عمَّا ساها[2]

وان ((شعر الغزل هو الميدان الذي يتعرض فيه الشاعر لتصوير انفعاله بالجمال))[3]. لذا تراهم قد استهلوا عددا كبيرا من قصائدهم بالغزل الذي تغنوا فيه بقصص حبهم وحكايات غرامهم. وكيف انهم كانوا غارقين في نشوة اللقاء يظنون ان الايام لن تفرق بينهم وبين محبوباتهم ، وانه لن يكدر علاقتهم بهن مكدر [4].

ثم ان بعض الشعراء راحو يستجدون الامل في داخلهم من خلال تصويرهم في بعص مقدمات قصائدهم اطياف محبوباتهم وقد سرت اليهم باخر الليل البهيم واخذت تداعبهم وتهيج اشواقهم الساكنة وتجدد امالهم وذكرياتهم الهامدة[5]. فالطيف يعتبر ((محاولة لاسترداد الفردوس المفقود، وبالتالي فهو شكل خفي من اشكال مقاومة الانصياع، او لنقل هو مظهر لا شعوري من مظاهر ادانة الزمن المسروق... ومحاولة تعويضه لخلق برهة الفرج المنهوبة))[6].

فالطيف هو محاولة يبذلها الشاعر من اجل تحرير الارادة من اسرها وتحقيق الامل المنشود. قال عنترة:

أن طيفُ الخيالِ يا عبلَ يشفي ويداوى به فؤادي الكئبُ

---

[1] دراسات في الشعر العربي : 240.
[2] ديوان عنترة : ق308/25
[3] الاسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين اسماعيل: 129.
[4] انظر مقدمة القصيدة العربية في العصر الاموي: 59.
[5] المصدر نفسه: 86.
[6] الغزل العذري دراسة في الحب المقموع: 39.

وهلاكي في الحبِّ أهونُ عندِي من حياتي إذا جَفاني الحبِيبُ [1]

وقوله:

أيا علبُ مُنّي بطيفِ الخيالِ على المستهامِ وطيبِ الرُّقادِ

عسى نظرةٌ منكِ تحيي بها حَشاشةَ ميتِ الجفا والبعادِ [2]

وانشد ايضا:

وبتُّ بطيفِ منكِ يا عبلُ قانعاً ولو باتَ يسرى في الظَّلامِ على خّدي

فيا لله يا ريحَ الحجازِ تنفسَّي على كبدٍ حرَّى تذوبُ من الوجدِ [3]

وهذا المرقش الأصغر وقد وصف لواعج اشواقه إلى طيف محبوبته بعد ان زاره طيفها وظنه شخصها وتلك هي رؤيته:

أمن بنتِ عجلانَ الخيالُ المُطرّحُ ألمَّ ورحلي ساقطُ متزحزحُ

فلما أنتبهتُ بالخيالِ وراعني إذا هو رحلي والبلادُ توضّحُ [4]

وقد يعبر الشاعر عن امله من خلال تذكره للحبيبة بعد طول غياب وازدياد الشوق كما في قول عبد الله بن العجلان:

قد طالَ شوقي وعادَ لي طربي من ذكرِ كريمةِ الحسبِ

غرّاءَ مثل الهلالِ صُورتُها أو مثلْ تمثال صورةً الذهبِ [5]

وذلك شأن قيس بن الحدادية القائل:

إنَّ الفؤاد قد أمسى هائماً كلفاً قد شقَّهُ ذُكرُ سلمى اليومُ فانتكسا

...

تذكّر الوصل منها بعدما شحطتْ بها الدَّيارُ فأمسى القلبُ مُلتبسا

فعدّ عنكَ همومُ النفسِ إذ طرقتْ واشددْ برحلكَ مذعان السُّرى سُدسَا [6]

وانشد في قصيدة اخرى قائلا:

---

[1] شرح ديوان عنترة :21

[2] المصدر نفسه: 44.

[3] المصدر نفسه: 56.

[4] شعر المرقش الأصغر: ق530/1.

[5] تزيين الاسواق: ج143/1.

[6] عشرة شعراء مقلون: ق35/8.

ألا قد يسلّى ذو الهوى عن حبيبهِ فيسلّى وقد تُردِي المطَيّ المطامِعُ
كما قد يسلّى بالعقالِ وبالعصا وبالقيدِ ضِعنُ الفحلِ إذ هو نازِعُ[1]

وبما ان الشاعر قد اتخذ من المرأة رمزا للامل، فقد رآها في عينها وثغرها وجيدها ومن خلال هذا الرمز الكبير للامل تتضح رموز اخرى فرعية غدت رمزا لكثرة ترداد الشعراء لها كالون الاحمر الذي يرمز إلى الامل ولذا بدت استار الظعائن كلها حمراء اللون او كريح الصبا التي جعلها الشعراء محملة بالشذى او فوح الرياض[2]. حيث قال امرؤ القيس واصفا ثياب النساء الملونة بالاحمر والاصفر وغيرها قائلا:

تبصَّر خليليَ هل ترى من ظعائنٍ سوالكَ نقباً بين حَزمىْ شَعَبعَبِ
علون بأنطاكيَّةٍ فوق عِقمةٍ كجِرمةِ نخلٍ أو كجنَّةِ يثربِ[3]

وقال امرؤ القيس:

فلمّا أجَزنا ساحةَ الحيّ وانتحى بنا يطنُ حِقفٍ ذي رُكامٍ عَقَنْقَلِ
إذا التفتتْ نحوي تضَّوعَ رِيحُها نسيمَ الصَّبا جاءتْ بَرِيَّا القَرَنْفُلِ[4]

فهنا وصف الشاعر حبيبة بطيب الرائحة وجمال المنظر وراح البعض إلى تصوير الوجوه والاصابع بالاضافة إلى طيب الرائحة وهذا ما اكده المرقش الأكبر قائلا:

بل هل شجتك الظّعُنُ باكرةً كأنهن النخلُ من ملهمِ
النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ البنانِ عنمِ[5]

وقال المرقش الأصغر:

وما قهوةٌ صهباءُ كالمسكِ ريحُها تُعَلَّى على النَّاجُود طوراً ويُقدحُ
...

---

[1] عشرة شعراء مقلون : ق39/9.
[2] انظر الاصول الفنية للشعر الجاهلي :165.
[3] ديوان امرئ القيس:ق43/3.
[4] المصدر نفسه :ق15/1.
[5] شعر المرقش الأكبر: ق885/10.

بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً من الليلِ بل فُوها ألذُّ وأنصحُ[1]

اما عبد الله بن عجلان فقد تمتع بمن يعشق طيبة الرائحة في زمن شبابه فقال:

وحقَّةِ مسكٍ من نساءٍ لبستُها شبابي وكأسٍ باكرتني شَمُولُها
جديدة سربالِ الشَّبابِ كأنَّها سقَّيْتُه بَردي نَمَتها غُيُولُهَا[2]

لذا بدأ الشاعر العاشق بخاصة في العصر الجاهلي اتخاذ ((الرياض والورود والنباتات والزهور والخضرة والماء والنور والبهجة المتحصلة كلها من مناظر الطبيعة النباتيــة مصــدرا يرســم منــه صــورة جامعــة للمــرأة الحســناء الجميلــة ذات الطلعــة البهية))[3].

لذا فان الشاعر ((لم يقف عند مواضع معينة كما لم يجل في ميادين محددة، بل استلهم خواطره مما حوله من كائنات بقدر ما احتاجت اليه تجربته الفنية))[4]. ثم ان الشاعر الجاهلي العاشق كان في كثير من الاحايين يعمد إلى استخدام الألوان ليعبر بها عن بعض ما يريد التعبير عنه بصورة اشارات لان الصورة المادية بشكلها المحسوس لا يمكن نقلها إلى السامع او القارئ وهي على هيئتها. ولان هذه الألوان تحمل بعض الدلالات النفسية التي تعارف عليها الناس[5]. ويبدو ان الشعراء كثيرا ما كانوا يميلون إلى استعمال عبارة (نقي اللون) و (الناصع) إلى كثير من مواصفاتهم ليطوا الصورة قدرة اكثر على التعبير، ويمنحو الشكل الموصوف هيئة واضحة لإبراز اللون قال المرقش الأكبر:

وربّ أسيلة الخدَّين بكرٍ مَنَّعة لها فرع وجيدُ
وذُو أشرٍ شتيتُ النبتِ عذبٌ نقيُّ اللونِ برَّاقٌ برودُ[6]

---

[1] شعر المرقش الأصغر: ق531/1.

[2] ديوان الحماسة، شرح التبريزي : 80/2.

[3] دراسات في الادب العربي ، باقر عبد الغني :166.

[4] المصدر نفسه:179.

[5] انظر دراسات في الشعر الجاهلي:161-162.

[6] شعر المرقش الأكبر:ق875/2.

فتراهم يدققون النظر في موصفات محبوباتهم فتراها ((ماثلة امام نواظرنا بخدها وبفرعها وبريق ثغرها وبروده))[1].

وان الشاعر العاشق عمد إلى استخدام عناصر اخر ترمز إلى الامل لا تقتصر على المرأة واللون والرائحة فحسب بل جعل من العوامل الطبيعية المحيطة به عناصر تبعث الامل في قلب الشاعر ومن بين تلك العناصر التي وظفها الشاعر المطر والماء والرياح لذلك كان الاتجاه على المطر – تعني الامنية التي تتعلق بالحياة، ولا تبدو هذه الامنية في اشد حالاتها إلحاحاً الا امام الموت طبيعيا كان ام معنويا فقد رأينا الشاعر يستمطر السماء اما على قبور احبائه واما على قبور الذكريات المتمثلة في الاطلال[2].

وان استخدام عنصر الماء يظهر فيه تناقض فهو يمثل بالنسبة للشاعر الجاهلي مادة للحياة والموت معا ويتجلى ذلك في زعم الشاعر ان الامطار هي سبب تخريب ديار الاحبة ثم تراه في موضوع اخر يستطرد إلى وصف الحياة التي بعثتها الامطار نفسها في الديار[3].

وإلى ذلك قال عنترة:

ولقد مررتُ بدَّار عبلةَ بعدما لعبِ الربيعُ بربعِها المتُوسّمِ

جادت عليه كلُّ بكرٍ حُـرّةٍ فتركنَ كلَّ قرارةٍ كالـدّرهمِ[4]

فهو يذكر ديار عبلة التي حل الربيع في ارضها وهطلت الامطار المحملة بالخير التي جاءت بمطر جود وتركت تلك الارض مليئة بالزرع والخصب. وكثيرا ما استخدم الشعراء المطر لتشبيه ريق المحبوب به كما فعل المرقش الأصغر حين سنه ريق حبيبته بماء المزن فقال:

سقاهُ حبُّبي المُزن في مُتهلّل من الشمس روّاهُ رباباً سواجما

---

[1] الاصول الفنية للشعر الجاهلي، سعد اسماعيل شلبي :84.

[2] انظر الصورة في الشعر العربي، علي البطل :230.

[3] انظر الحياة والموت في الشعر الجاهلي: 178.

[4] جمهرة اشعار العرب: 440/2.

أرتكَ بذاتِ الضالِ منها معاصماً وخدّاً أسيلاً كالوذيلةِ ناعما[1]

ويبدو ان الحال مع الريح يشبهه مع الامطار حيث ان للرياح اثرتين اثنين مهمين على حياة الشاعر فالاول يعبث بالدار التي كانت فيها بغيته وينبئ عن الضياع والخراب، والثاني يبعث الامل والتفاؤل فيه لانه ينقل نشر رائحة الحبيبة اليه ويبلغه سلامها واخبارها[2]. وهذا ما عبر عنه عنترة في قوله:

يا ريحُ لولا أنّ فيكِ بقيـةٌ من طيبِ عبلةَ متُ قبل لقاكِ[3]

وان اليأس يغدو حافز الشاعر إلى مواجهة الواقع الذي يعنيه فهو حين قضى وطره من الدمع الذي سكبه على الاطلال كان عليه ان يرتاد ملامح الحياة الرائعة التي كانت تحيط به لذا اتخذ من الناقة مجالا للتعبير عما يريد فالرحلة على الناقة تمثل ((رمزا للارادة الانسانية التي تقتحم الأهوال من اجل تحقيق الآمال))[4]. وتلك الصورة التي يرسم إبعادها امرؤ القيس:

كآثلٍ من الأعراضِ من دون بيشةٍ ودون الغميرِ عامداتِ لغضورا
فدعْ ذا وسلّ الهمَّ عنكَ بجسرةٍ ذَمُولٍ إذا صام النَّهارُ وهجَّرا[5]

فهو يحاول ترك ذكرى الظعائن والاشتغال بهن ، وان يسلي نفسه وإبعاد الهم بالسفر على الناقة الشديدة السير عندما تكون الشمس في وسط السماء. وان بعض الشعراء راح يمني نفسه برؤية المحبوب بعد رحيله وهذا ما أمل به مضاض الجرهمي نفسه فقال:

خليلي من آمج فأرتعا على الضالِ من ميّ حتى تَريما
لهوتُ ولم ادرِ حتى بدتْ لي الشَّمس تحتلُ ليلاً بهيما
غزال يسف بريرُ الأراك غرير يطرقُ طرقاً سقيما

---

[1] شعر المرقش الأصغر: ق534/2.

[2] انظر القصة في مقدمة القصيدة العربية: 135.

[3] شرح ديوان عنترة: 98.

[4] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: 168.

[5] ديوان امرئ القيس:ق62/4-63، جسرة : الناقة النشيطة.

مهاب السُنامَ وغصن البِشَامَ وبدرِ التمامِ تبدي الغيوما
فظلَ فُؤادي غَريق الهوى وظلت جُفُوني تُرَاعي النُجُوما(1)

وقوله:

أعللَ قلبي بالمنى ولعلها تقولُ أبارت لأبن عمْ مقادرهُ
وترثي لمفتون الهوى ولعلها تصدقُ حُباً صدقتهُ سرائرهُ
يظلُ يراعي الحادثات نهارهُ فان غُبنَ عنهُ فالقمير مَسَامرهُ(2)

وهذا ما أكده عنترة فقد علل نفسه بلقاء الحبيبة ولكن بعد الصبر الجميل قائلا:

أعللُ بالمنُى قلباً عليلاً وبالصّبرِ الجميلِ وأن عادي(3)

وانشد :

ويرجى الوصالُ بعد الهجرِ حيناً كما يُرجى الدَّنُو من البعادِ(4)

وقال ايضا :

لا تصرميني يا عبيلُ وراجعي فيَّ البصيرةَ نظرةَ المّتأملِ
فلرُبَّ أملحَ منكِ دلا فاعلمي واقَرَّ في الدُّنيا لعين المُجتَلي
وصلتْ حبالي بالذي أنا أهلهُ من ودُهّا وأنا رخيٌّ المطولِ(5)

وقال أيضا:

أملتُ خيركَ هل تأتي مواعدهُ فاليومَ قصَّرَ عن تلقائكَ الأملُ(6)

فترى ان جميع هذه الأبيات المتقدمة تدل على أمل الشاعر في لقاء من يحب ولو بعد حين وهذا ما فعله قيس بن الحدادية الذي أمل نفسه باللقاء بعد حجة وهو لقاء سيكون بعد الشتات والبعد وسيعم الخير والعمار في الديار بعد اللقاء فهو القائل:

---

(1) التيجان :192.
(2) المصدر نفسه : 193.
(3) شرح ديوان عنترة: 48.
(4) المصدر تفسه: 43.
(5) ديوان عنترة: ق254/7 – 255.
(6) المصدر نفسه: ق338/20.

وقلتُ لها في السرّ بيني وبينها على عجلٍ أيّانَ من سار راجعُ
فقالت، لقاءً بعدَ حولٍ وحجَّةٍ وشحطُ النوى إلا لذي العهدِ قاطعُ
وقد يلتقي بعد الشَّتاتِ أولو النَّوى ويسترجعُ الحيَّ السحابُ اللوامعُ[1]

أما عروة بن حزام راح يدعو لكل اثنين بينهما هوى ان يلتقيا بعد طول الغياب:

فيا ليتَ كلَّ أثنينِ بينهما هوى من الناسِ والأنعامِ يلتقيانِ
فيقضي محبٌ من حبيبٍ لبانةً ويرعاهما ربي فلا يُريانِ
هوى ناقتي خلفي وقُدامي الهوى وأنّي وأياها لمختلفانِ[2]

ويبدو في بعض الأحيان ان الحب عاطفة مؤقتة لا تلبث ان تجمد وتزول كما يزول لهب القش بعد اتقاد وضياء وسطوع... وبعضه عاطفة خالدة لا ينال منها إعراض أو ملل أو قسوة، وإنما تظل دائما متوهجة لها في كل حيز من عالم المحب الداخلي جرس لا ينقطع وحنين لا يهدأ[3]. وذلك ما اتصف به الشعراء العشاق.

وأخيراً يتضح مما تقدم ان معاناة الشاعر العاشق قد اتخذت أشكالا ومظاهر متعددة اختلفت من شاعر إلى آخر. وقد تولدت هذه المعاناة نتيجة لظروف وبواعث ومعطيات متعددة منها العوامل البيئية والعوامل الاجتماعية فضلا عن البواعث النفسية التي شكلت نتاج كل شاعر ونتيجة لهذه العوامل والبواعث ظهرت وتولدت معاناة الشاعر العاشق المتمثلة ببكائه على الأطلال ، وألمه وتحسره ،وغربته وضياعه ، او تظهر تلك المعاناة حتى من خلال إقدامه وتحديه ،او أمله وتفاؤله. ففي كل ذلك هو تجسيد وتعبير عما يتحرك في نفس الشاعر من عذاب نتيجة للتجربة الشعورية المؤلمة المتمثلة بالكبت والقهر العشقي.

---

[1] عشرة شعراء مقلون: ق37/9.

[2] شعر عروة بن حزام : ق12/2.

[3] انظر تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: 287.

الفصل الثالث

التشكيل الفني في خطابات الشعراء العشـــــاق

- توطئــة.
- المبحث الأول: الخصائص اللفظية والمعنوية.
- المبحث الثاني: السرد والحوار.
- المبحث الثالث: الصورة الفنية.
- المبحث الرابع: الغلو والمبالغة.

توطئـــة

ان الخصـائص او الظـواهر الفنيـة تعـد مظهـر مـن مظـاهر الفـن والخيـال والجمال في عملية الابداع الشعري فضلا عما فيه من روعة والوان للحياة الاجتماعية ومشاهد الطبيعة والوجود. وذلك لان الفن الشعري من حيث صوره ومعانيه وألفاظه وتراكيبه الظاهرة هي منتخبة من الواقع الحقيقي الذي يحاول الشاعر انه يصوره لنا من خلال خطاباته.

وان مـن يريـد ان يـدرس شـعر عصـر بعينـه يجـب عليـه معرفـة مضـمونه وخصائصـه والاسس الفعالـة التـي تكمـن وراء كـل عمـل ادبـي ومـا للشـعور الـداخلي والتجارب من اثر في الصياغة الفنية للعمل الأدبي، وذلك لكون الأدب بعامة والشعر بخاصة ترجمانا عن التجارب الشعورية، وبما إننا ندرس شعرا متعلقا بعاطفة الحب بعامة والعشق بخاصة فلا بد ان الشعراء حاولوا أن ينقلوا لنا صورا عن الاحساسات التي ساورتهم والعواطف التي اجتاحتهم ودفعتهم الى هذا النتاج الفني وسعوا إلى ان يصوروا تلك الاحساسات بما يؤثر في نفوس متلقيه، ويخلب ألبابهم.

فهم شـعراء عشـاق قـد وهبـوا قـدرا طيبـا مـن الإرهـاف والإحسـاس فكـانوا اذا عـرض لهـم الجمـال، اخـذ ذلـك بعقـولهم واسـتأثر بأفئـدتهم ، وهـاموا يتحـدثون عنـه وينشدون الشعر فيه ولا يشغلون به عن شيء اخر سواه.

وان خطابات هؤلاء العشاق جاءت متنوعة في الطرق والأساليب وهي تنم عن متانـة السبك وجمال الرصف. وتعد من الجودة والبراعة ما لا يمكن على أي متلق واع ان يغفل عنها حيث نقش هؤلاء العشاق على صفحات اشعارهم كل ما حملته انفسهم من عواطف واضافوا عليها من ملكاتهم ومواهبهم الصور الكثيرة.

المبحث الأول
الخصائص اللفظية والمعنوية

لقد اختلف موقف النقاد والبلاغيين في قضية اللفظ والمعنى وذلك كون ((النص الشعري هو تركيبات لغوية قبل كل شيء وهذه التركيبات اللغوية هي التي تعبر باصواتها ودلالاتها عن الاثر الذي يحدثه هذا النص))[1].اذا اللغة تعد ((عنصرا من عناصر الشعر المهمة،فلابد للشاعران يسلك فيها مسلكا خاصا)) [2]. وذلك لكون ((اللغة معان في قوالب الالفاظ، او الالفاظ ترمز الى المعاني))[3].

وينصح بشر بن المعتمر (ت 210 هـ) الشاعر بان يجلب ((لكل عين وغرة ، من لفظ شريف معنى بديع... واياك والتوعر ، فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك. ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنها))[4]. وقال يجب ان يكون ((لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا))[5].

وان الالفاظ هي الاداة التي تتجلى من خلالها المعاني لذلك يقول الجاحظ (ت 255هـ) من ان ((المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في اذهانهم... مستورة خفية ... وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعنى))[6].

وبما ان لامزية للفظ على المعنى ولا للمعنى على اللفظ فان النقاد والبلاغيين قد جعلوا معايير الشعر الجيد الحسن اللفظ والمعنى فالجاحظ يرى ان ((اجود الشعر

---

[1] مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث، مرشد الزبيدي، مجلة الاقلام، العدد الثامن 1989: 113.

[2] لغة الشعر بين جيلين ، ابرهيم السامرائي :8.

[3] الاصول الفنية للادب ، عبد الحميد حسن: 53.

[4] البيان والتبيين: 135/1.

[5] المصدر نفسه: 136/1.

[6] المصدر نفسه: 75/1.

ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه افرغ افراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان))[1].

اما ابن قتيبة (ت 276 هـ) فيرى ان افضل الشعر هو ((ما حسن لفظه وجاد معناه))[2].

وقال ابن طباطبا (ت 322 هـ) ان ((احسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما ينسق به اوله مع اخره على ما ينسقه قائله.. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة افراغا... لا تناقض في معانيها ، ولا وهي في مبانيها ولا تكلف في نسجها))[3].

اذا فان للشعر لغته الخاصة التي تتطلب منها ان تكون مستوفية للشروط التي اشترطها النقاد والبلاغيون وذلك كله من اجل ان تستقيم تلك اللغة في مكانها جميلة نضرة.

ويلاحظ على اللغة الشعرية من انها تختلف، باختلاف ما تؤديه من المعاني والاغراض وهي تختلف من شاعر الى اخر حسب طبائعهم، وبشأن الالفاظ فان لها صلة بالحالة الشعورية والنفسية للشاعر اثناء نظمه للقصيدة أي تكون ((موافقة للحال التي يعد معناه لها كالمدح في حال المفاخرة... وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق، واهتياج شوقه وحنينه الى ما يهواه))[4]. ومن هنا تنوعت الاغراض الشعرية، وتشعبت فنونه، ولكل غرض لغته التي تناسبه واسلوبه الذي يمثله فالفخر يستدعي مثلا قوة الاسلوب وضخامة المعنى، والغزل يحتاج الى رقة اللفظ وعذوبة العبارات وهكذا في بقية الاغراض وهذا ما اكده قدامة بن جعفر (ت337هـ) في قوله ((ولما كان المذهب في الغزل انما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه ان تكون الالفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة))[5].

---

[1] البيان والتبين: 67/1.

[2] الشعر والشعراء: 12/1.

[3] عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري، محمد زغلول سلام: 126-127.

[4] المصدر نفسه :16.

[5] نقد الشعر :191.

وقال القاضي الجرجاني (ت 392هـ) ان ((رقة الشعر اكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهالك فان اتفقت لك الدماثة والصبابة وانضاف الطبع الى الغزل فقد جمعت لك الرقة من اطرافها))[1]. وقال ايضا((اذا اردت ان تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعظم غنائه في تحسين الشعر.. تتبع نسيب متيمي العرب ومتغزلي اهل الحجاز))[2].

ان هذه الرقة والعذوبة التي اكتسبها النسيب والغزل بصورة عامة لها عوامل مؤثرة فيها. منها البيئة والطبائع اذ ان اللغة خاضعة لمزاج اهلها فهم الذين يخلعون عليها الخشونة، او يزينونها بالوان من الرقة، فلغتهم متمشية مع الروح التي سرت اليها من اهلها، تستعمل في اغراض معيشتهم وكل ما يلائم بيئتهم ويناسب طباعهم[3].

لذلك فان ((الشكل النهائي الذي تأخذه القصيدة، والاسلوب اللفظي المستخدم في تحديد بنائها واستكمال عناصرها لا يمكن فصلها عن طبيعة الحياة التي يعيشها الشاعر))[4].

وقد علل القاضي الجرجاني اثر البيئة والطبائع في الشعر بقوله((وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه احوالهم فيرق شعرا حدهم،ويصلب شعر الاخر ويسهل لفظ احدهم، ويتوعر منطق غيره، وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فان سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق... وترى الجاف الخلق منهم كز الالفاظ معقد الكلام وعر الخطاب حتى انك، ربما وجدت الفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة ان تحدث بعض

---

[1] الوساطة بين المتنبي وخصومه،عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي:ص18.

[2] المصدر نفسه: 24-25.

[3] انظر امير الشعر في العصر القديم: 191.

[4] دراسات في الشعر الجاهلي: 45.

ذلك))[1]. وذلك لان الشعر الجاهلي من الشعر ((الذي يصدق عليه غالبا انه رسم ناطق وتصوير حسي للبيئة الطبيعية والبشرية))[2].

اما ابن رشيق (ت 456 هـ) فقد اكد نوعية الالفاظ في النسيب ان يكون ((حلو الالفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كز ولا غامض، وان يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، لين الايثار رطب الكسر شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين))[3].

وبما ان شعر العشاق يعالج تجارب عاطفية فلابد ان يشترك هؤلاء الشعراء في الالفاظ المعبرة عن هذه التجارب في الاغلب الاعم. وما يكتنفها من صور تشاؤمية وتفاؤلية في آن بحيث ((يسهم كل منهما في اضفاء المعنى الانساني على الاخر))[4].

وعندما نتأمل اشعار الشعراء والعشاق، فستطالعنا الفاظ ((دالة على مضامين القلب كالحب والهوى والعشق والوجد، وقد تعددت في لغتهم المترادفات للاشياء التي عانوها))[5]. فضلا عن الفاظ الشكوى والحرمان والالم والعذاب، وما يستخدم منها للافصاح عن الام العشق والحب وذلك ما تتأمله في قول امرئ القيس:

دارٌ لفاطمةَ التي تبلت قلبي وتَيمَ حُبّها نَفسي[6]

فالفاظ هذا البيت اكد حقيقة ان حب الحبيبة قد ذل نفس الشاعر فضلا عن اغنائها بالعاطفة وقد جسمها لنا الشاعر في تعابير محبوكة دقيقة الرصف.

وكان الشاعر حريصا على ان يفصح عنه بما يلائم تحقيق استجابة الحبيبة، فلا ينبغي ان يذكر بسوء ويتمنى لها مكروها، ولو كان ذلك في مجال التعظيم لشأنه. واذا ما حاولنا استقصاء مفردات الحب وجدنا الفاظها تأخذ مساحة واسعة لدى الشعراء العشاق ومن ذلك قول المرقش الاكبر:

---

[1] الوساطة: ص17-18.

[2] البناء الفني للقصيدة العربية: 88.

[3] العمدة: 116/2.

[4] الغزل العذري دراسة في الحب المقموع: 140.

[5] الغزل تاريخه واعلامه، جورج غريب: 11.

[6] ديوان امرئ القيس: ق243/52.

أغالبكَ القلبُ اللجوجُ صبابةً وشوقاً الى أسماءِ أم أنتَ غالبهُ[1]

فالصبابة هي مفردة من مفردات ومرادفات العشق وهي تعني رقة الشوق فعبر عن تلك الرقة باستخدام لفظة لها قوة ودلالة اعمق من التصريح بها حيث ان هذا النسيج المثير من الالفاظ وصورها ورموزها وايحاءاتها لم يكتب لها البقاء الا لانها ((نبع من قوة التوازن بين الاحساس والفكر وبين العاطفة والصورة))[2].

وذلك لان العاطفة بطبيعتها تؤثر في الشاعر((جسما وفكرا وخيالا فتصبح في ذهنه افكارا فتشكل الموضوع الذي ينظم قصيدته فيها وتفجر في ذهنه ملكة الخيال التي لها لغة مخصوصة في موسيقاها وايقاعها وفي الفاظها وتعابيرها وفي سياقها وبنائها))[3].

وقال قيس بن الحدادية:

وأن الذي امَّلتُ من أمُ مالكٍ أشابَ قُذالي وأستهامَ فؤاديا[4]

فورد في البيت لفظة (الهيام) التي تدل في معناها المعجمي وهو ذهاب العقل من العشق، وقد شكلت بوتقة العاطفة التي افصحها عنها الشاعر وقال مضاض الجرهمي:

سألتكِ بالرحمنِ لا تجمعي هوى عليهِ وهجرانا وحبكِ جارهُ[5]

فكلمة الهوى هي من مرادفات كلمة العشق التي تعني غلبة محبة الانسان للاشياء وغلبتها على قلبه.

وتكثر عند الشعراء العشاق الحزن والبكاء واللوعة والحسرة والدموع والزفرات وقد عبر الشاعر من خلالها عما رافق تجربته العاطفية من عذاب، فعبر مضاض عن ذلك قائلا:

علامَ قبستِ النارَ يا أمُ غالبِ بنارِ قُبيس حين هاجتكِ نارهُ

---

[1] شعر المرقش الاكبر: ق888/12.

[2] ادب العرب في عصر الجاهلية : 41.

[3] بناء الصورة الفنية في البيان العربي، كامل حسن البصير: 343.

[4] عشرة شعراء مقلون : ق44/15.

[5] التيجان :194، وللتعرف على مزيد من مفردات العشق والحب انظر التمهيد وانظر ديوان امرئ القيس ق9/1 و ق34/88. شعر عروة بن حزام: 13،26، وذم الهوى ترجمة عبد الله بن علقمة: 499،

على كبدِ حرى وأنتِ عليمةً بغيبِ رقيقٌ لا يبينُ ضمارهُ[1]

فهو يحاول من خلال هذه الابيات ان يستجدي استعطاف قلب حبيبته اليه.

وانشد المرقش الاكبر قائلا:

ديارُ أسماءَ التي تبلثُ قلبي ، فعيني ماؤُها يُسجمْ[2]

فعشق اسماء جعله خاضعا لها فاستخدام لفظة التبل التي تعنى الخضوع في الحب وجعله هذا الحب يسكب الدموع بصورة مستمرة، ونظير ذلك خطاب قيس بن الحدادية المعبر عن الم الفراق اذ قال:

أنَّ الفؤادَ قد أمسى هائماً كلفاً قد شفهُ ذكرُ سلمى اليوم فأنتكسا[3]

وترددت ايضا لدى الشعراء العشاق مفردات القتل والبؤس والموت والمنية وتشكل تلك الالفاظ طابعا تشاؤميا ويرى فيها العاشق حبه المقموع فمن ذلك قول امرئ القيس:

يا بؤسِ للقلبِ بعدَ اليومَ ما آبهُ ذكرى حبيبٍ ببعضِ الأرضِ قد رابهْ[4]

وذكر القتل في دلالته المجازية عبد الله علقمة في قوله:

فأن يقتلوني يا حبيشُ فلم يدعْ هواكِ لهم منّي سوى غُلَّة الصَّدرِ[5]

---

(1) التيجان : 194.

(2) شعر المرقش الاكبر: ق884/10.

(3) عشرة شعراء مقلون: ق35/18.

(4) ديوان امرئ القيس: ق346/89.

(5) تزيين الاسواق: 154/1.

قال قيس بن الحدادية مؤكدا اتكاءه على مثل هذه الالفاظ:

فليتَ المنايا صبَّحتي غدَّيةً بذبحٍ ولم أسمع لبينٍ مناديا [1]

ان هذا التكرار في الفاظ بعينها بين الشعراء العشاق يعود الى انهم عاشوا تجارب تكاد تبدو متشابهة حيث يقول ابن رشيق (ت 456 هـ) ان ((للشعراء الفاظ معروفة وامثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ولا ان يستعمل غيرها ، كما ان الكتاب اصطلحوا على الفاظ باعيانها سموها الكناية لايتجاوزونها الى سواها، الا ان يريد شاعر ان يتظرف باستعمال لفظ اعجمي فيستعمله في الندرة))[2].

ومن الافاظ التي كثرت في سياقات الشعراء العشاق ايضا الفاظ الواشين والاحراس والرقباء والسر والكتمان بوصفها ادوات تفصح عن معاناة المحبين. وذلك ما نتأمله في هذه الخطابات الشعرية منها على سبيل المثال قول امرئ القيس:

تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ معشرٍ علىَّ حراصٍ لو يشرّون مقتلي [3]

وقول قيس بن الحدادية :

بكتْ من حديثٍ بثّهُ وأشاعهُ ورصَّفهُ واشٍ من القومِ راصعُ [4]

اما الفاظ الداء والدواء والطبيب فهي كثيرة ايضا وذلك لان الشاعر يحاول من خلالها استعطاف من يحب ويصف لها حاله وما اصابه نتيجة الفراق، فقال عبد الله بن علقمة:

وما كانَ حبّي نوالٍ بذلتــهِ وليس بمسلي التجُّهمُ والهجرُ
سوى أنّ دائي منكِ داءُ مودةٍ قديماً ولم يُمزج كما تُمزج الحمرُ [5]

وقال عروة بن حزام:

جعلت لعرّافِ اليمامةِ حكمةٌ وعرّافِ حجر ان هما شفياني

---

[1] عشرة شعراء مقلون: ق44/15.

[2] العمدة: 128/1.

[3] ديوان امرئ القيس: ق13/1.

[4] عشرة شعراء مقلون : ق38/9، وانظر التيجان قصة مضاض :191 والاغاني ،قصة عبد الله بن العجلان: 248/22. وشعر عروة بن حزام: ق11/1 و ق17/4.

[5] ذم الهوى :498.

فقالا نعم نشفي من الدَّاءِ كلّهِ وقاما مع العُوَّادِ يبتـدرانِ

فما شفيا الدَّاءِ الذي بي كلَّـهُ وما ذخرا نصحا ، ولا الوانـي[1]

وقد ردد الشعراء العشاق بعض الاساليب التي تعبر في اصل وضعها عن انفعال العاشق مثل الاستفهام والقسم والاستغاثة والنداء وذلك لتأكيد ما يكابده من صبابة لا حدود لها فمن ترديد النداء قول امرئ القيس:

أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدَّللِ وأن كنتِ قد أزمعت صرمي فأجملي [2]

ويحاول الشاعر من خلال هذا الاسلوب ان يظهر مقدار قوته في الاستعطاف من الحبيبة التي تبدو معذبة لشاعرنا لا تجمل به ولا تراعي المه فاستخدام لفظة (مهلا) التي تعني الرفق بالشاعر ويدل على مقدار ما يلقاه الشاعر من شدة فيتوسل من غير جدوى فهنا يتخيل المتلقي ((ان فاطمة لا تبالي بما تسمع ولا تلتفت الى ما ترى ، بل ربما تزم شفتيها وتولي بوجهها فلا يبقى لشاعرنا الا الاسراف في التماس الرحمة فيسألها الرفق في الصرم والهجران))[3].

وقد اثنى البلاغيون على قول امرئ القيس في هذا البيت الشعري وقالوا: وجوب التئام اللفظ مع المعنى وأتلافهما ، وعلى هذا ينبغي ان يكون اللفظ رقيقا لينا في موقف الغزل ، فلو جاء امرؤ القيس في هذا الموقف بالفاظ جزلة لكان ذلك معيبا[4].

ومثال اسلوب الاستفهام قول المرقش الاكبر :

فهل تُسلّي حُبَّها بازلٌ ما أن تُسلّي حُبَّها من أمم[5]

---

[1] شعر عروة بن حزام: ق14/2.

[2] ديوان امرئ القيس: ق12/1.

[3] بناء الصورة الفنية في البيان العربي: 350.

[4] انظر امير الشعراء في العصر القديم : 166.

[5] شعر المرقش الاكبر: ق879/5.

فاستخدام الشاعر للاستفهام هنا دليل على تعجبه وذلك لعدم مقدرته على نسيان حبه لاسماء فانه امر صعب شديد عليه. وقال المرقش الاصغر متبعا اسلوب النداء:

أفاطمَ أنَّ الحُبَّ يعفو عن القلي وُيجشمُ ذا العرضِ الكريمَ المجاشِمَا[1]

فان الحب مع منع المحبوب وجفائه يزداد ويستحكم وان احب الانسان شيء ما فانه يرتكب أي شيء في سبيله.

وقال عروة بن حزام :

أناسيةٌ عفراءُ ذكري بعدما تركتُ لها ذكراً بكلِّ مكـانِ[2]

ومن الصيغ التي استخدمها الشعراء في التعبير عن التساؤل ما نتأمله في خطاب المرقش الاكبر:

لمن الظعنُ بالضُّحى طافياتٍ شبُهَا الدّومُ أو خلايا سفينِ[3]

وقول امرئ القيس:

تبصَّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ سوالكِ نقباً بين حزمَىْ شَعبعبِ[4]

وقول المرقش الاصغر:

تبصَّر خليلي هل ترى من ظعائنِ خرجنَ سُراعاً واقتَعدنَ المفائما[5]

فالشاعر يحاول ان يخفف من معاناته من خلال ترديد الاستفهام الى الحد الذي يوازي انفعاله، الذي بثه في هذا التساؤل او الاستفهام من دون ان يجد لذلك جواباً وليس له منه مهرباً. اما ترديدهم للاستغاثة المفصحة عن الشكوى والتعجب والترجي فقد وردت في مواضع كثيرة من شعر الشعراء العشاق لان مدار حديثهم يكون في هذه المعاني من ذلك ما قاله قيس بن الحدادية:

لا تعذليني سلمى اليومَ وانتظري أن يجمعَ اللهُ شملاً طالما أفترقا[6]

---

[1] شعر المرقش الاصغر: ق2/536.

[2] شعر عروة بن حزام : ق4/17.

[3] شعر المرقش الاكبر: ق4/878.

[4] ديوان امرئ القيس : ق3/43.

[5] شعر المرقش الاصغر: ق2/535.

[6] عشرة شعراء مقلون: ق11/41.

وقول عروة بن حزام :

فيا كبدينا من مخافةِ لوعةِ الـ فراقِ ، ومن صرفَ النَّوى تَـجِفانِ[1]

وقد تصل الاستغاثة بالشاعر الى ان يطلب الاعانة من الله كما فعل عروة القائل:

فيا ربِّ أنتَ المستعانُ على الذي تحملتُ من عفراءَ منذُ زمـانِ[2]

ويشاطره في هذا التوجه قيس بن الحدادية قائلا:

شكوتُ ألى الرحمنِ بُعدَ مـزارها وما حمَّلتنـي وأنقطاع رجائيـا[3]

وقد يحـاول الشـاعر ان يستحضـر الحبيبـة اليـه وذلـك بـذكر اسـمها عـدة مـرات فـي قصيدة واحدة كما صرح به امرؤ القيس قائلا:

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي خـالِ ألحَّ عليها كلَّ أسحَمَ هَطَّـالِ

وتحسبُ سلمى لا تزالُ ترى طـلاً من الوحشِ أو بيضاً بميثـاءَ مِحـلالِ

وتحسبُ سلمى لا تزالُ كعهدنـا بوادي الخُزامي أو على رَسّ أوعالِ

ليالـي سلمى اذ تُريكَ منضَّبـاً وجيداً كجيدِ الرِّئمْ ليس بِمعطـالِ[4]

وقال المرقش الاكبر في المعنى نفسه:

أغالبكَ القلبُ اللجوجُ صبابـةً وشوقاً الى أسماءِ أم أنتَ غالبـهُ

يهيمُ ولا يعيا باسماءِ قلبـهُ كذلكَ الهوى أمرارهُ وعواقبـهُ

أئيلحى أمرؤ في حبِّ أسماء قد نأى بغمزٍ من الواشين وازوّر جانبهُ

وأسماءُ همُّ النفسِ أن كنتُ عالماً وبادي أحاديث الفؤادِ وغائبـهُ[5]

ولجأ المرقش الاصغر الى ذلك بترديد اسم حبيبته قائلا:

ألا يا أسلمي لا صُدرمَ لـي اليومَ فاطما ولا أبداً ما دامَ وصلكِ دائمـا

...

أفاطمَ أن الحُبّ يعفو عن القلـي ويجشمُ ذا العرضِ الكريمِ المجاشما

ألا يا أسلمي بالكوكب الطّلق فاطما وأن لم يكن صرفُ النوى متلائما

---

[1] شعر عروة بن حزام: ق13/2.

[2] المصدر نفسه: ق13/2.

[3] عشرة شعراء مقلون : ق44/15.

[4] ديوان امرئ القيس : ق27/2-28.

[5] شعر المرقش الاكبر : ق888/12.

ألا يا أسلمي ثم أعلمي ان حاجتي اليكِ فرّدّي من نوالكِ فاطما

أفاطم لو أن النساءَ ببلـدةٍ وأنتِ بأخرى لاتبعتكِ هائما [1]

فالشاعر حاول من خلال هذا الترديد ان يجعل المتلقي واعيا بعمق عشقه للحبيبة التي بدت شاخصة في تضاعيف ابيات القصيدة فاراد الشاعر ان يظهر مقدار حبه لها وتربعها على عرش قلبه وعقله معا.

وردد عنترة اسم معشوقته عبلة في معلقته في اكثر من بيت وذلك تأكيدا على حبه لها قائل:

يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلمي وعِمِي صَباحاً دارَ عبلةَ وأسلمي

...

وتحلُّ عبلةُ بالجواءِ وأهلنا بالحُزنِ فالصّمانِ فالمتثلّمِ [2]

ان ترديد الشاعر العاشق باسم الحبيبة يهدف من خلاله اعطاء مصداقية لتجربته العاطفية وذلك لان تجربة الشاعر كلها تدور على هذه الحبيبة فهي التجربة التي يعيشها في كل لحظة من لحظات حياته.

وبصورة عامة نجد ان شعر الشعراء العشاق قد اتصف بميزة لفظية مهمة اتفق عليها اغلب النقاد والبلاغيين الا وهي:

رقة الالفاظ وجزالتها: فهذه صفة تميز بها شعر الغزل وخصوصا شعر الشعراء العشاق فان الفاظه دون الفاظ الاغراض الشعرية الاخرى صعوبة وغرابة وهي اقرب الى الرقة والالفة على الرغم من ترديد بعض الالفاظ التي توسم بالغرابة والوعورة مردها الى خشونة العيش. وقسوة حياة البادية أي انها انعكاس للواقع البيئي الاجتماعي والطبيعي على السواء. وكذلك هناك التنافر في الحروف التي تكتنف بعض ابيات العشاق من ذلك قول امرئ القيس:

فلمّا أجزنا ساحةَ الحيّ وأنتحى بنا بطنُ حقفٍ ذي ركامٍ عقنقلِ [3]

---

[1] شعر المرقش الاصغر: ق2/534-536.

[2] ديوان عنترة: 1/183-185.

[3] ديوان امرئ القيس: ق1/15.

فالشاعر تقصد هذه الالفاظ ذات الحروف المتنافرة ليس لانه شاعر جاهلي خشن يحب الحوشي من الكلام وانما ((يرمي الى مثل هذه الصور ليرسمها بالحروف والكلمات ما تعجز عنه ريشة المصور البارع))[1]. فيحسن بنا ان ننظر الى الصلة التي تربط الحالة العاطفية للمتكلم وبين ادائه لها حيث ان ((قوة التعبير ووضح اثر اللغة وروعتها انما يرجع الى ما تثيره الكلمات والعبارات في الاذهان من المعاني الواضحة والصور الصحيحة للحياة وما فيها من محسوسات او معقولات))[2].

اما الذين يمكرون على الشاعر العربي غرابة الفاظه عنهم وبعدها عن اذواقهم فانه ((لا يخاطبهم بشعره.. وانما يخاطب قوما يحسنون الاستماع له والفهم عنه))[3].

وان الشعراء الجاهليين بعامة والعشاق بخاصة يستعينون بالالفاظ والاساليب المفضية الى صور فنية لكي يجعل المنظر بارزا مؤثرا. فمن الطبيعي ان يمتاز الغزل بسهولة التعبير ورونق الالفاظ. وذلك لان قدرة الشاعر المبدع تكمن في نظم سياقات تتشكل فيها الالفاظ تشكيلا جديدا موحيا بمعان كثيرة، فالنص لا يكتسب دلالته الفنية الا من ذلك الاطار اللغوي المكون من اللفظ والمعنى.وذلك لان ((الالفاظ اجساد، والمعاني ارواح، وانما تراها بعيون القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا، او اخر منها مقدما افسدة الصورة وغيرت المعنى))[4].

وهذا الذي اكده ابن رشيق القيراوني (456 هـ) في رأيه القائل : ((اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنه عليه))[5].

اذا ان الجمال يتحقق حين يطابق لفظه معناه حيث ان الجمال يتصف ((بالتناسب التام بين الاجزاء في القصيدة حتى ليتعذر استبدال لفظ بلفظ))[1]. لذلك

---

[1] ادب العرب في عصر الجاهلية :104.

[2] الاصول الفنية للادب ، عبد الحميد حسن: 55.

[3] دراسة الشعراء، محمد حسن نائل: 43.

[4] الصناعتين الكناية والشعر ، ابو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد ابو الفضل ابراهيم: 161.

[5] العمدة : 124/1.

يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) من ((ان تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير ان ينظر الى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، باكثر من ان تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية أو ان تكون حروف هذه اخف وامتزاجها احسن))[2]. واخيرا فان الاسلوب في شعر الحب أو العشق مثله مثل كل اسلوب عربي راق انما ((يتأسس على الجزالة والاقتصاد اللغوي والاسلوب الجزل يختار الفاظه من معجم فيصبح غير متداول ولكنه في الوقت عينه غير غريب عن الاذن))[3]. اما الخصائص المعنوية التي امتاز بها شعر الشعراء العشاق فمن ابرزها : الوضوح والبساطة: كونها جاءت فطرية سهلة لا اغراق في الخيال قريبة التناول بعيدة عن الاتجاهات الفلسفية والاستقصاء العميق في استخراجها حيث ان معانيهم تتحدث ((عما يقع تحت ابصارهم من صحراء وسماء واطلال، وخيل وابل))[4].فالشاعر الجاهلي جرى على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في مالم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد[5]. ويتمثل الوضوح والبساطة في قول عنترة وهو يخاطب المعشوقة عبلة:

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلٌ منّي وبيضِ الهندِ تقطرُ من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارقِ ثغركِ المبتسمِ[6]

وان هذا الوضوح والبساطة ما يدفعنا الى الاعجاب به واللذة الفنية حين نقرأه ونستمع اليه ولا شك((ان عذوبة الاسلوب وسلاسته يحب ان تبرز في انتاج الشاعر وفنه))[7].

وهناك الصدق: من منطلق ان الشاعر العاشق يعبر عما يشعر به حقيقة لما يختلج في نفسه، والا يتكلف في ايراده، ففي حديثهم ((يصورون الاشياء بصورها

---

[1] دراسات فنية في الادب العربي : 38.

[2] دلائل الاعجاز في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد عبدة ومحمد محمود التركزي:36.

[3] الغزل العذري دراسة في الحب المقموع: 145.

[4] دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي:270.

[5] تاريخ الادب العربي، عمر فروخ :77/1.

[6] شرح ديوان عنترة: 126.

[7] البناء الفني للقصيدة العربية: 57.

الصادقة ، فلا يوغلون في التصوير ولا يبالغون في المعنى، ولا يوغلون في الفكرة غلوا مرذولا ، وانما يلتزمون الصدق))[1]. وذلك لان ((البدو بطبيعتهم يعوزهم النظر الفلسفي فلا يرون الحوادث والاشياء الا مجردة لا ينظمها سلك ولا تجمعها علاقة))[2]. لذلك ابن حزم (ت456 هـ) يقول عن اثار الحب الصادق: ((لابد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل، اما ببين واما بهجر واما بكتمان واقع لمعني، من ان يؤول الى حد السقام والضنى والتحول، وربما اضجعه ذلك وهذا الامر كثير جدا ابدا، والاعراض الواقعة عن المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل))[3]. ومن ذلك قول عنترة:

وهيهاتَ يخفي ما أكنُّ من الهوى وثوبُ سقامي كلَّ يومٍ يجَّددُ[4]

حيث اكثر الشعراء من الشكوى فوصفوا حرمانهم النوم، وهزال ابدانهم ، وتفكيرهم المتواصل في الحبيبة وشوقهم المضني، ومنهم وصفوا تبريح الهوى باجسامهم ولم يجعلوا همهم التفنن في التعبير، وانما كان اسلوبهم واقعيا خاليا من الاغراق في التخييل[5].

ومثال ذلك ما صرح به عروة بن حزام قائلا:

متى تكشفا عني القميصَ تبيَّنا بى الضُّرَّ من عفراءَ يا فتيانِ
وتعترفا لحماً قليلاً وأعظماً دِقاقا وقلباً دائمَ الخفقانِ
على كبدي من حُبّ عفراءَ قرحةٌ وعيناي من وجدٍ بها تكفانِ[6]

التجسيم: حيث ان معاني الشعر الجاهلي بعامة والعشاق بخاصة اتصف بكونها معاني حسية مجسمة في اشخاص او في اشياء وان هذه النزعة الحسية جعلت الشاعر ((ينتزع تشبيهاته من عالمه المادي وبيئته المحيطة به))[1]. لكون

---

[1] دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: 270.
[2] تاريخ الادب العربي، احمد حسن الزيات : 32.
[3] طوق الحمامة: 120.
[4] شرح ديوان عنترة: 63.
[5] انظر المرأة في الشعر الجاهلي: 124.
[6] شعر عروة بن حزام: ق2/11-12.
[1] دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: 374.

الشعراء العشاق ((متفاعلون مع مجتمعهم وتنعكس على انتاجهم الادبي صورة البيئة التي سكنوها والمجتمع الذي عانوا مشاكله انعكاسا صادقا وواضحا))[2].

لذلك فان الشعراء العشاق وصفوا المرأة وذكروا ((تمام خلقها ، واشراق ترائبها، وطولها وعنقها وثغرها، واسنانها، وتنعمها وتطيبها وحديثها وخوفها على زوجها، وضعفها ورقتها. واخذوا يقرنون ذلك وغيره بما يماثله من واقعهم الحسي))[3]، فهو يشبه المرأة بالشمس والبدر والرمح والظبية، والاقحوان والعنم، والبلور والمرآة، والمسك وغيرها من التشبيهات.

الحيوية والحركة في المعاني: حيث ان الشاعر لا يكاد يحس معنى من المعاني حتى يتركه على عجل، وبسرعة شديدة الى معنى اخر فهو ((لا يعرف التريث والاطناب والوقوف الطويل بقصد التعمق والاستجلاء))[4]. لذلك ادى تنقل الشعراء السريع من غرض الى اخر الى غلبة الايجاز على الاسلوب، وقلة العناية بترتيب الافكار ((فالحركة اساس في عرض المناظر في القصيدة العربية))[5] بعامة والعشاق بخاصة وكثيرا ما تتوفر هذه الحركة في مقدمات قصائدهم.

وان الشعراء كانوا يشتركون في المعاني ولكنهم كانوا يختلفون في صورته الخارجية التي يريدون ان تتضح في ذهن السامع فالصورة موضع خلاف بين شاعر وشاعر تبعا لطبيعته الفنية والاسلوبية[6]. أي هناك تكرار في المعاني وبراعة في اعادة صوغها مجددا.

---

[2] ادب العرب في عصر الجاهلية : 48.

[3] الاصول الفنية للشعر الجاهلي :93.

[4] دراسات في ادب ونصوص الشعر الجاهلي: 272.

[5] الاصول الفنية للشعر الجاهلي: 86.

[6] تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: 190.

المبحث الثاني
السـرد والحـوار

مـن الظـواهر الفنيـة الواضـحة المعـالم فـي الشـعر الجـاهلي اكتنافـه الاتجـاه القصصي في مواضع بعينها من القصيدة وذلك ان الشعر العربي قبل الاسلام يمثل ((امتدادا قصصيا واضحا من حيث الاداء والتناسق والافكار ، وقد ظلت اشكال هـذه القصـص ترسـم فـي اغراضـه، وتتضـح فـي معالجاتـه ، وتتحـد مـن خـلال معانيـه))[1]. وان الشـعر القصصـي يكـون فـي شكلين الاول يأخذ شكلا وصفيا مبينا على الادراك الحسي والمشاهد الواقعية، والاخر قصصي يبنى على الرواية التاريخية المتواترة.. وكـلا النـوعين يمتـاز بـروح الحكايـة والسـرد ولا يخلـوا مـن عنصـر التشـويق والانفعال، بل يتضمن الحوار في بعض المواطن[2]. ويبدو ان شعر العشاق كثيرا ما يجنح الى اسلوب قصصي يصور من خلال الشعراء وعواطفهم، ويصفون لقاءهم مع من يعشقون ويذكرون ما دار في اللقاء من احاديث.

وغدا الشـاعر العاشـق حـريص علـى العنايـة بـالمرأة فـي اشـعاره واعـلاء شـأنها واظهـار مكانتهـا فـي نفسـه. وان الشـاعر الجـاهلي بعامـة والعاشـق بخاصـة كـان ينظم قصيدته عن دافع التأثير والعاطفة لا عن رغبة في الاخبار لاجل الاخبار البعيد عن الذات[3]. وهو بذلك يحاول ان لا يصور الواقع في ذاته ولكنه يعكس رؤيته له وان يخضـع الاسـتخدام الفنـي لضـرب مـن ((الـربط المباشـر بـين المـوروث القصصـي وتفاصيل التجربـة الانيـة))[4]. وهذا مـا قـام بـه الشـاعر العاشـق فقد وضـف المـوروث القصصـي مـع تجربتـه وان الصـورة التـي رسـمها فـي قصـص الحـب والعشـق اتسـمت ((بالـذبول والشـحوب، ويغلبهـا الحـزن ويتخللهـا اليـأس وتنتهـي الـى الحرمـان الـذي يمثـل البدايـة ايضـا فكـان الحـب دائـرة مغلقـة. لا امـل فـي الخـروج منهـا))[1]. وقـد وجـدت

---

[1] ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي، نوري حمودي القيسي، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع والعشرون ، 1979: 131.

[2] انظر الادب العربي في العصر الجاهلي: 54.

[3] تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري :39.

[4] دراسات نقدية في الادب العربي :155.

[1] الحب في التراث العربي: 82.

القصة الشعرية عند العديد من الشعراء وبخاصة العشاق وذلك لانها تعد مجالا متاحا يحاول الشاعر من خلال التعبير عن تجربته وحكايته مع من يحب وان صورة السرد القصصي لدى الشعراء العشاق تباينت من شاعر الى اخر فقد تفننوا في اسلوب المعالجات السردية ولكي تتضح ملامح فن استخدام البناء القصصي في القصيدة فاننا نلاحظ انها تتحدد بضربين من التوجه في استخدام الحدث القصصي فاولها يتمثل في انفتاح افق المقاطع التقليدية المتمثلة ببكاء الاطلال ورحلة الظعن فضلا عن وصف طيف الخيال. اما الضرب الثاني فيتمثل في انماط الاستخدام الابداعي للقصة الموروثة من تشخيص عناصر التجربة الانية التي يعالجها غرض القصيدة الاساس[2].

وقد سرد لنا العديد من الشعراء العشاق حكايات مشوقة من حكاياتهم مع محبوباتهم من ذلك حكاية امرئ القيس عن دارة جلجل والتي يحاول من خلالها ان يسرد تفاصيل مغامراته العاطفية التي استغرقتها هذه الابيات:

ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ ولا سَّيما يومٌ بدارةِ جُلجُلِ
ويومَ عقرتُ للعذارى مطَّيتي فيا عجباً من رَحلِها المتحمَّلِ
يظلُّ العذارى يرتَمين بلحمِها وشحمٍ كُهَّدابِ الدِّمقسِ المفتَّلِ
ويومَ دخلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزَةٍ فقالت لكَ الويلاتُ أنَّك مُرجِلي[3]

فان الشاعر يحاول من خلال هذا السرد ان يوضح مقدار عشقه لابنة عمه التي ظل يطلبها فلم يصل اليها. حتى كان يوم الغدير (دارة الجلجل) وامنيته ان ينال يوم اخر مثله، بعد ان كابد ما كابد من تدلل الحبيبة (فاطمة) واعراضها عنه.

فهذا العاشق عمد الى ان ينسج احداث قصته ويجمع اطرافها لتتلاقى في موضوع موحد وتتحد في اطراء سنوي متجانس، وسرد قصصي متسلسل تنمو من خلاله القصيدة نموا فنيا متكاملا، وتتألف من وحداتها عوالم القصة تألفا دقيقا. فامرؤ القيس يحاول ان يربط بين اجزاء قصيدته وذلك كله تأكيد على غرضها وهو عرض

---

[2] انظر دراسات نقدية في الادب العربي: 83-84.

[3] ديوان امرئ القيس: ق1/10-11.

حالته وعشقه لانهة عمه فاطمة. وهي التي ((لا ينساها، انها تفتن العابد، انها في سويداء قلبه لا يسلالها ولن يستجيب فيها لناصح أو لائم))[1].

وغدا الشاعر في ابيات المعلقة، يهتم اولا بالذات ويفصح عنها، معتزة متفاخرة أو حزينة متألمة، أو معجبة شاكرة، غير ان هذه الذاتية من التناسق بحيث ترابطت اطرافها في قصص متداخلة ، تنتظمة قصة كبرى هي قصة الشاعر مع فاطمة التي شاركته البطولة. فهذه القصة شبه ما تكون ((بمذكرات يقولها الشاعر عن نفسه ، أو ذكريات حب سرد اغلبها عن ابنة عمه فاطمة))[2].

فضلا عن سرد امرؤ القيس حكاية الاهوال والبطولة والاقدام والتحدي التي صادفها اثر لقائه بالحبيبة فاطمة:

وبيضةِ خدرٍ لا يرامُ خباؤها تمتَّعتُ من لهوٍ بها غير مُعجلِ
تجاوزتُ أحراساً وأهوالَ معشرٍ علىَّ حراصٍ لو يُشرّون مقتلي
إذا ما الثّريا في السماءِ تَعرّضتَ تعرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المفصَّلِ
فجئتُ وقد نضتْ لنومِ ثيابها لدى السّترِ ألا لبسة المتفضّلِ[3]

لقد قص الشاعر مغامراته هذه باسلوب سردي مثير من خلال وصف حبيبته وصفا متأنيا ويفصح عن محاولته التي تجاوز بها الاحراس والاهوال التي تحيط بالحبيبة، ثم وصف هيئة الحبيبة وقد استعدت للنوم بعدما غيرت ملابسها ففاجئها ودخل عليها. فهو بذلك قد اتخذ من السرد سبيلا للغور في تفاصيل قصته الشعرية التي اتسمت بروح المغامرة والتحدي.

ان هذه الملامح السردية التي تكتنف ابيات امرئ القيس لا تقتصر عليه وحده فهذا مضاض الجرهمي يقص علينا قصته مع مي باسلوب سردي مفصح ومعبر عن معاناته التي تكبدها نتيجة الوشاية بينه وبين من يحب فقال:

علامَ قبستِ النارِ ياأمَ غالبٍ بنارِ قُبيسٍ حينَ هاجتكِ نارهُ

---

[1] الاصول الفنية للشعر الجاهلي: 168.

[2] الاصول الفنية للشعر الجاهلي: 169.

[3] ديوان امرئ القيس : ق1/13-14.

على كبدِ حرى وأنتِ عليمةٍ بغيبٍ رقيقٌ لا يبينُ ضمارهُ
سألتكِ بالرحمنِ لا تجمعي هوى عليهِ وهجرانا وحبكِ جارهُ
فأن لم يكن وصلٌ فلفظِ مكانهُ أليهِ وألا موطنِ الموتِ دارهُ
...
خليلي عُوجا بي إذا متُ وأبكيا على دنفِ بطنَ الضريحِ وجارهُ
صريعُ هوى نائى المحلةَ نازحُ سبحاً بعد أشراقِ الصباحِ نهارهُ[1]

وبذلك تبدو الحكاية تدور حول حال الشاعر وتكبده المعاناة من اجل حبيبته (مي) او (ام غالب). وقد تمثل في هذه القصة عنصرا الزمان والمكان، اما المكان فقد اهتم به الشاعر، فحدده تحديدا دقيقا وهو (الجار). وهذا المكان الذي تم فيه لقاء الحبيب بالحبيبة ثم يبين الشاعر المكان الذي يتم فيه دفنه وهو (موطن الموت) ويطالب اصحابه ان يندبوه في هذا الموضع. وذكر الشاعر العاشق الزمان وحدده بوقت الصباح (سيما بعد اشراق الصباح نهاره). وهذا الزمان لا يساوي زمان الحادثة الفعلي بل يكتفي بالتفاصيل التي تهمه وتسترعي انتباهه ويكون لها اثر في نفسه او نفس السامع وذلك لان الوصف الادبي هو ((امر فكري مجرد عن نقل المادة التي تشمل الحادثة ولذلك كان اقصر واسرع حركة راداء))[2].

ويعد عنترة من الشعراء العشاق الذين بلغت شهرته بالحب عالم الاساطير ولكن لا نجد في شعره من القصص التي تصور هذا الحب وحوادثه مما وجدناه عند غيره مما لم تبلغ شهرتهم بالحب الى ما وصل اليه.. وقد كان الحديث من الحبيبة يتمحور في ((سرد في سباق حديثه عن البطولات حيث يسعى الى ابراز شخصيته امام ابنة عمه العاشق لها))[3].

فقد سرد لنا عنترة قصته مع عبلة فقد تعجب منها لانها قد انصرفت عنه متضاحكة لما رأت ما به من نحول الجسم وشحوب الوجه ولم يزبن نفسه للقاءها فصور ذلك قائلا:

---

[1] التيجان: 195.

[2] دراسات فنية في الادب العربي : 178.

[3] ملامح السرد القصصي العربي قبل الاسلام: 161.

عَجبتْ عُبيلةُ من فتىً مبتذَّلِ عاري ألاشاجعِ شاحبٍ كالمُنصَّلِ
شعثِ المفارقِ مُنهجٍ سِربالهُ لم يدَّهنْ حولاً ولم يترَّجلِ
لا يكتسي ألا الحديدَ إذاً أكتسى وكذاكَ كلُّ مُغاورٍ مُستبسِلِ
...
فتضاحكتْ عجباً ، وقالتْ قولةً لا خيرَ فيكَ كأنَّها لم تَحفِلِ
فعجبتُ منها كيفَ زَلَّت عَينُها عن ماجدٍ طلقِ اليدينِ شَمردلِ
لا تَصرميني يا عُبيلُ وراجعي فيَّ البصيرةَ نظرةَ المُتأمّلِ
فلرُبَّ أملحَ منكِ دلاً فأعلمي وأقرَّ في الدُّنيا لعينِ المُجتَلي
وصلتْ حِبالي بالذي أنا أهلهُ من ودّها وأنا رَخيُّ المطولِ[1]

فعنترة يوجه خطابه الشعري المكتنف سردا لفروسيته وشجاعته وبسالته في القتال الى الحبيبة التي ضحكت منه لما رأت ما فعل به القتال. فالعربي الفارس لا يقبل الاهانة لذلك لجأ للافصاح عن شخصيته بشقيها الاخلاقي والحربي امام الحبيبة. وان رفع روح الحكاية او القصة في شعر عنترة نجدها تربط ارتباطا وثيقا بمواقف حياته المتمثلة بحوادث البطولة ومواقف الشجاعة، ولكن مع ذلك فان مظاهر القصة في شعره كانت بسيطة وهي مظاهر عفوية غير مدروسة، فهي قصيرة الموضوع لا تتجاوز بضعة ابيات. حيث يعرض حوادث القصة بشكل سريع دون ان يتوسع في التصوير[2].

وقصص البطولات آثرها العديد من الشعراء العشاق الذين حاولوا سردها امام من يحبون. فهذا بشير بن عوانة يستهل قصيدته بخطاب ابنة عمه (فاطمة) التي ذهب من اجل الحصول على مهرها الذي طلبه منه عمه وفي اثناء الطريق يعرض له اسد وتدور معركة بينه وبين الاسد. ويحاول الشاعر ومنذ مطلع القصيدة التأكيد على صفة الشجاعة لنفسه التماسا للفوز بود الحبيبة او المعشوقة:

أفاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشرا
إذاً لرأيتِ ليثاً زار ليثاً هزبراً أغلباً لاقى هزبرا

---

[1] ديوان عنترة : ق7/253- 255.

[2] المصدر نفسه : 117-119.

تَبهنسَ إذ تقاعسَ عنهُ مُهرِي مُحاذرةٌ، فقلتُ: عقرتَ مهرا

...

يُكفكفُ غيلةً إحدى يديهِ ويبسطُ للوثوبِ على أخرى

يُدلُّ بمخلبٍ وبجدِّ نابٍ وباللَّحظاتِ تَحسبُهُنَّ جمرا

وفي يُمنايَ ماضي الحدِّ أبقى بمضربهِ قراعُ الموتِ أثرا

ألم يبلغكَ بما فعلتْ ظباهُ بكاظمةً غداةَ لقيتُ عمرا[1]

ويبدو ان نهاية هذه الحكاية كانت ظفر الشاعر بصراعه مع الاسد ليؤكد مقدار شجاعته وجرأته. ومن الجدير بالذكر ان الشاعر قد اهتم بتحديد مكان الواقعة بينه وبين الاسد فهو (خبت) يقيم القناعة بمصداقية تلك الحادثة.

وذلك ما تعارف عليه الشعراء العشاق بخاصة ان كثيرا ما كانوا يعمدون الى سرد الوقائع الى حبيباتهم ويصورون لهن ما ابلوا من البلاء في ميدان القتال. ليكسبوا ودهن حيث كانت هذه السمة احدى السمات التي تحبب الرجل الى المرأة وتقربها منه لانها كانت مثل الرجل تمجد البطولة وتبث روح الشجاعة[2]. ولذلك نجد الشاعر العاشق الفارس يحاول الحفاظ على من يحب اذا ما تعرضت لخطر ويبذل النفس في سبيل انقاذها وهذا ما سرده ابو نصر البراق الذي انقذ الحبيبة من ايدي الاعداء في قوله:

آمنْ دونِ ليلى عوَّقتنا العَوائقُ جُنودٌ وقفرٌ ترتعيهِ النَّقانقُ

وعجمٌ وأعرابٌ وأرضٌ سحيقةٌ وحصنٌ ودورٌ دونها ومغالقُ

وغرَّبها عنى لَكيزٌ بجهلهِ ولمَّا يعقهُ عندَ ذلكَ عائقُ

وقلَّدني مالا أطيقُ إذا ونتْ بنو مُضَر الحُمُر الكرامُ الشقائقُ[3]

ويستمر الشاعر في سرد احداث قصته فيصف الديار بعد غياب المحبوبة عنها (ليلى) وانها اصبحت قفرا موحشا. ثم يذكر عمه ولكيزا ابا (ليلى) وقد عرضها

---

[1] شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني: 462–470، وانظر الحماسة البصرية: 1/104–106، وحياة الحيوان الكبرى، للدميري: 2/545.

[2] انظر القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام: 241.

[3] شعراء النصرانية: 145.

للسبي حينما رفض زواجه منها فأخذت اسيرة. ثم نذر بانه لن ينام على خيم وسيبثأ ، لشرفه. ويحمي السبايا من الاعتداء عليهن.

والشاعر اثناء سرده للقصة قد اغفل لنا تحديد زمان ومكان هذه الاحداث مكتفيا بسرد احداثها.

ويبدو ان بعض الشعراء العشاق اتجهوا لسرد قصص رحلة الظعن حيث يظهر ((القص ظهورا قويا في مماشاة الركب عند بعض الشعراء))[1]. وان رحلة الظعن تحمل في ثناياها قيمة نفسية مرتبطة بالرحيل وذلك لان العربي عرف عن عظيم ارتباطه بارضه وتعلقه الوجداني بها جعله يحس بثقل وطأة الرحيل في نفسه لذلك ظلت رحلة الظعن بالنسبة للشاعر العاشق يمثل المجال النفسي الرحب الذي يعرض من خلاله تفاصيل احساسه ووطأة معاناته ازاء هذه المتغيرات التي تحصل حوله، فصارت الرحلة تشكل المجال الفني الذي ينبئ عن قدرة وبراعة الشاعر العاشق الفنية على صوغ احداث ومعلم قصته في ضوء تجربته بلغة شعرية متميزة ومثيرة تعكس احساسه المؤلم بالرحيل والفراق.

وان قصة الظعن ((تتخذ مجرى الوصف التقريري لتنامي حدث الرحيل وما يستدعيه التنامي من تشخيص مثابر لعنصري الزمان والمكان وتتخذ التفاصيل امتدادها الانسيابي من خلال طبيعة معاناة الشاعر النفسية وعنف تجربته وقدرته الابداعية على التصوير))[2]. ونلاحظ الطبيعة السردية لمقطع الظعن عند المرقش الاكبر:

لمن الظُّعنُ بالضُّحى طافياتٍ شبهُهَا الدَّومُ أو خلايا سفينِ
جاعلاتٍ بطنَ الضّباعِ شمالاً وَبراقَ النِعافِ ذاتِ اليمينِ
رافعاتٍ رقماً تُهالُ لهُ العيـ ـنُ على كلّ بازلٍ مُستكينِ
...
عاماتٍ لخلّ سَدْمَسَمَ ماينـ ـظُرنَ صوتاً لحاجةِ المحزونِ[3]

---

[1] الرحلة في القصيدة الجاهلية: 28.

[2] دراسات نقدية في الادب العربي : 83.

[3] شعر المرقش الاكبر: ق878/4.

حيث ان المرقش وصف ظعن النساء ومسالكها في البادية وانهن يمضين قدما ولا يبالين بمن خلفهن، ثم ان الشاعر قد حدد الاماكن تحديدا دقيقا في غير لغوا وزيادة فذكر لنا موضعين (بطن الضياع) و (سمسم) وقد اعطانا الشاعر ايضا زمان ووقت الرحلة حيث خصه بوقت (الضحى).

اما المرقش الاصغر فقد سرد لنا باسلوب مثير ومتين قصته مع فاطمة بنت المنذر وكيف نشأ بينهما الحب. ووصف كيفية الوصول اليها واستعانته بالجارية (هند بنت عجلان). ثم نعت الظعائن ورسم رحلتهن. واشار الى استيحائه من فاطمة لما فعله من ادخال صديقة عليها ثم اوضح الالم والحسرة التي يشعر بها التي اودت به الى قطع ابهامه وجدا عليها فقال:

ألا يا أسلمى لا صرمَ لي اليومَ فاطما ولا أبدأ ما دامَ وصلكِ دائما
رمتكَ أبنةُ البكريّ عن فرعِ ضالةٍ وهنّ بنا خوصٌ يخلنَ نعائما
...
صحا قلبهُ عنها على أنّ نِكرةً إذا خطرتَ دارتْ به ألارضُ قائما
تبصَّر خليلي هل ترى من ظَعائنٍ خَرجنَ سِرَاعاً وأقتعدنَ المَفائما
...
ألم تَرَ أن المرءَ يجذمُ كفهُ ويجشمُ من لومِ الصديقِ المَجاشِما [1]

وعبد الله بن العجلان يحكي احداث طلاق زوجين وما آل اليه ضعف ووجد عليها. فصرح قائلا:

فارقتُ هنداً طائعاً فندمتُ عند فراقِها
فالعينُ تُذري دمعةً كالدّرِ من آماقِها
متحلباً فوقَ الردا ءِ يجولُ في رقراقِها
خود رواحٌ طَفَلَةٌ ما الفُحشُ من أخلاقِها
ولقد الُذّ حديثَها وأسُّر عند عناقِها [2]

ولدى بعض الشعراء في سرد تفاصيل قصصهم ما يفاد منها امثال تتناقلها الالسن حيث يبدو ((السرد مشحونا بالقوة الدالة على تفاصيل الموت وقادرا على

---

[1] شعر المرقش الاصغر: ق2/534- 537.

[2] الاغاني (دار الثقافة): 22/246.

منح الفاعلية للقصة، وذلك لان هذه القصة هي جزء من الموروث الثقافي والاجتماعي الذي يشترك الشاعر فيه مع جمهوره[1]. وهذا ما نتأمله في قصة (خزيمة بن نهد) التي غدت مثلا يساق على ألسنة الناس فقد وثق الشاعر قصته من خلال ابيات قاله تدل على حبه فاانشد:

إذا الجوزاءُ أردفتْ الثريا ظننتُ بآل فاطمةَ الظنونا
ظننتُ بها وظن المرءِ حوبٌ وأن أوفى وأنَ سكنَ الحجونا
وحالتْ دونَ ذلكَ من هُمومي همومٌ تخرجُ الشَّجنَ الدفينا
أرى أبنةَ يَذكرِ ظَعنتْ فحلتْ جنوبَ الحزنِ يا شحطاً مبينا[2]

لقد حاول الشاعر من خلال السرد ان يفصح عن مشاعره وما كان يشعر به ويصف رحيل المحبوب مبرزا المكان الذي نزلت به المحبوبة ومحددا اياه بـ (جنوب الحزن) والحزن مكان ماء معروف في شرق الدهناء.

وسرد لنا قيس بن الحدادية عفة حبيبته وانه قد جاورها شهورا ، ولكنه لم ينل منها شيئا وعندما يغيب عنها تحفظ غيبه ناقلا لنا هذه الحكاية في هذه الابيات:

أجدَّكَ إنْ نَعمٌ نأتْ أنتَ جازعُ قد أقتربتْ لو أنَّ ذلكَ نافِعُ
قد أقتربت لو أنَّ في قربِ دارها نوالاً ولكن كلَّ من ضنَّ مانِعُ
وقد جاورتنا في شهورٍ كثيرةٍ فما نوَّلتْ واللهُ راءٍ وسامِعُ
وظنّي بها حِفظٌ لغيبي ورعيةٌ لما أسترعيتْ والظنُّ بالغيبِ واسِعُ[3]

فهو يبين حال حبيبته وما تتميز به من خصال اخلاقية جميلة متمثلة بالعفة والشرف وحفظ الغيب حتى وان طال غياب من تحب.

ولقد لجأ الشعراء الى سرد حوادث حبهم وعلاقاتهم العاطفية باسلوب يتلاءم مع الروح القصصية، فاذا وقف الشاعر ليصف حاله بعد رحيل الاحباب عن الديار وكيف اصبحت مقفرة موحشة بعدهم ويصف ما تحس به النفس من مشاعر حزينة وكئيبة مع عنايته بان يكون ملما بكل صغيرة وكبيرة تحيط به وان يسجل كل ذلك

---

[1] انظر دراسات نقدية في الادب العربي: 156.

[2] الاغاني (دار الثقافة): ج13/ 75-76، وانظر صحيح الاخبار: 3/6-7.

[3] عشرة شعراء مقلون: ق37/9.

في قصيدة مستوعبة لكل مشاعره وهذا ما نراه واضح في قصيدة عروة بن حزام الذي حاول ان يسرد قصة حبه لعفراء وما تحمله من مشاق والم معرجا على غدر عمه الذي فرقه عمن يحب بالاضافة الى ذكر الواشين وما قالوه وامنيات هذا العاشق المتمثلة بلقاء من يحب في الدنيا او في الاخرة. وقد اومأ الى ذلك من خلال هذين البيتين قائلا:

خليّلي من عُلَيْا هِلالِ بن عامرِ بصنعاءَ عوجاً اليومَ وأنتظراني
ألم تحلفا باللهِ أني أخوكما فلم تفعلا ما يفعلُ الأخوانِ[1]

ويستمر عروة في تصوير المه وعذابه من حب عفراء قائلا:

متى تكشفا عني القميصَ تَبَيَّنَا بي الضُّرِ من عفراءَ يا فتيانِ
وتعترفا لحماً قليلاً وأعظماً دقاقا وقلباً دائمَ الخفقانِ
...
فيا ليتَ كلَّ أثنينِ بينهما هوىً من الناسِ وألانعامِ يلتقيانِ
فيقضى مُحبٌّ من حبيبٍ لُبانةً ويرعاهما ربي فلا يُرِيانِ[2]

وان الشاعر في قصته قد حدد المكان الذي جرت فيه الاحداث وهو (صنعاء) ويبدو ان الشعراء العشاق لم يكتفوا بالسرد بل قرنوه بالحوار ايضا وهو في بعض الاحايين يغدو ((بسيطا لا يخرج عن نطاق المساجلة الانية والفكرة المغلقة التأثير الذاتي. وقد يكون طويلا تنبعث منه فلسفة الشاعر وتبرز من ملامحه قدرته الخلقية، وتأتلق من خلاله ملامح الاصرار الذي دفعه الى هذا السلوك))[3].

ويظهر لنا من خلال خطابات الشعراء العشاق ان هناك وجهات نظر مختلفة من قبل الباحثين حول ذلك الحوار في القصيدة ، اذ يرى بعضهم ان الحوار هو ليس حوارا حقيقيا استحدثته الفكرة المؤقتة، او اوجبه العتاب النساء اللاتي يتخيلهن الشعراء، واراد الشاعر من خلال هذا الحوار ان يؤكد لنفسه صفة مشهورة فان محاورته للمرأة التي تظهر خوفها من المخاطر يؤكد صفة بطولته وكل محاوره تؤكد

---

[1] شعر عروة بن حزام: ق9/1.

[2] المصدر نفسه: ق11/2-12.

[3] دراسات في الشعر الجاهلي : 68.

رمزا من الرموز مستخدما لذلك اسلوب التجريد الذاتي الذي احسن فيه القدرة على التعبير، ومجالا لمخاطبة الذات[1]. وفي رأي اخرين ان الحوار هو لتأكيد او تحديد اطار التجربة النفسية والموضوعية المطروحة في غرض القصيدة الرئيس أي ان يطوع الشاعر التجربة لمجرى قصصي ينبثق عن توجه الشاعر الى اخضاع تفاصيل الحدث لضرب من التنامي داخل اطار السرد القصصي[2].

وهذا يعني ان الحوار في كلا الرأيين يستخدم لتثبيت او ترسيخ فكرة معينة ارادها الشاعر.

وعليه اذا فالحوار يمثل ((الجسر الفكري الذي حاول الشعراء استخدامه لنقل افكارهم الى الناس وايضاح العلل التي وجدوا انفسهم ملزمين باتخاذها ليبسطوا لهؤلاء الناس المبررات التي تدفعهم لذلك))[3]. ومن هنا صار من الممكن ان نقول ان الشعراء استخدموا الحوار لدوافع شتى منها لتأكيد معايير البطولة والشجاعة او لاثبات عواطف الحب والغرام والعشق. ولكل من اولئك الشعراء اسلوبهم وصيغهم الشعرية.

وان استخدام الحوار في خطابات الشعراء العشاق يعكس لنا ارتباطه بالحالة النفسية للشاعر ومحاولة تحقيق الطموحات والاماني التي يرجوها وان محاولة استخدام الشاعر للمرأة في قصيدته هي من العوامل المساعدة التي تجعل الفكرة مقبولة في تحديد شخوص الحوار.

والحوار في القصيدة له ((اثار الانفعال بها، ودل على اندماج مؤلفها بها وتصوره لاحداثها، وتخيله للاشخاص الذين قاموا بها وكأنهم يتحاورون امام سمعه وبصره تحاور يبرزه الشاعر في اطار حي نابض))[4].

ومن الصياغات التي استخدمها الشاعر العاشق في خطاباته المفصحة عن الحوار هو ابتداءه بعبارة ((قلت وقالت)).

---

[1] دراسات في الشعر الجاهلي: 68.

[2] انظر دراسات في الادب العربي: 84-85.

[3] تاريخ الادب العربي قبل الاسلام: 189.

[4] الاصول الفنية للشعر الجاهلي: 170.

ومن الشعراء العشاق الذين برز لديهم الحوار واضحا في خطاباته امرؤ القيس وذلك ما نتأمله في هذه الابيات:

ويومَ دخلتُ الخدرَ خدرَ عُنيزةٍ فقالت لكَ الويلاتُ إنَّك مُرجلـي
تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً عقرتَ بعيري يا آمرأَ القيسْ فأنزلِ
فقلتُ لها سيري وأرخي زِمامَهُ ولا تُبعديني من جَناكِ المعلّـلِ
فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضعاً فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُغيـلِ[1]

لقد حاول الشاعر من خلال الحوار ان ((يضفي على قصصه روحا وظلالا من الواقع الذي كان منغمسا فيه))[2].

وان المقاطع الحوارية في اشعار امرئ القيس تتردد كثيرا ولاسيما في معلقته بخاصة هذه الابيات:

فجئتُ وقد نضتْ لنومِ ثيابها لدى السّترِ ألاَّبسةَ المتفضّـلِ
فقالتْ يَمينُ الله مالكَ حيلـةٌ وما أن أرى عنكَ العَمَايَةَ تَنجلـي
...
إذا قلتُ هاتي نوّليني تمايلتْ على هَضِيمَ الكشحِ رِيَّا المخلخَلِ[3]

ويرمي امرؤ القيس في هذا الحوار ان ((يتحدث عن مغامراته، والإشارة الى صراحته في هذا السلوك.. ليشبع غريزته التي عبر عنها، وعرفت عنه))[4].

ويلاحظ ان حوار امرئ القيس يبدأ ((بارتياع الحبيبة من مفاجأة الشاعر لها، وبلوم ممزوج بالدلال وهذا اسلوب ابتدعه الشاعر لنفسه واظهر فيه تعمقا بمعرفة نفسية النساء، فكان مزيجا من وصف وقصص وحوار))[5]. فمن خلال الحوار اضاف صورة جديدة للقصيدة توصل اليها خياله وقدرته الفنية على الابداع.

---

(1) ديوان امرئ القيس : ق1/11-12.
(2) ملامح السرد القصصي العربي قبل الاسلام: 47.
(3) ديوان امرئ القيس: ق1/14-15.
(4) دراسات في الشعر الجاهلي: 88.
(5) تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري : 84.

ويبدو ان عنترة في حكايته العاطفية يتكأ على ((الوصف والسرد ولا يعتني بالحوار))[1]. أي ان الحوار يشكل استثناء في خطاباته الشعرية منها في قصة عرض لنا مشهدا حواريا بسيطا. وذلك حينما بعث جاريته لتتجسس اخبار محبوبته وتستطلع اخبارها فقال:

فبعثتُ جاريتي فقلتُ لها أذهبي فتجسَّسِي أخبارها لي وأعلمي
قالتْ رأيتُ من ألاعادي غرَّةً والشاةُ مُمكنةٌ لمن هو مُرتمِ[2]

وان الصفة الواضحة في الحوار انه ((لا يهدف الى اهداف فنية، وانما يهدف الى معان نفسية ترتبط بالغزل ، لذا لم يعطه الشاعر العناية الضرورية التي يمكن ان تعطى عادة للحوار))[3]. فهو يوظف غزله في خدمة فروسيته وبطولته وما الحب لديه الا ضرب من الفروسية.

اما الحوار لدى عبد الله بن العجلان فقد تناوبه مع الاصحاب الذين ارسلهم الى من يحب وذلك مل نتأمله في قوله:

خليلي زورا قبل شحطَ النوى هنداً ولا تأمنا من دارِ ذي لطفٍ بعدا
وقولا لها ليسَ الظِلالُ أجازنا ولكننا جِزنا لنلقاكم عمدا[4]

ويفصح الشعراء العشاق عن عواطفهم وعواطف حبيباتهم في اسلوب حواري يلتمسون من خلاله ان يحللوا فيه مشاعرهم ،ولا يعرضون فيها للجسد أو ما يتصل به. من ذلك وصف قيس بن الحدادية مشاعره ومشاعر حبيبته قائلا:

وقلتُ لها في السّرِ بيني وبينها على عجلِ أيانَ من سارٍ راجعُ
فقالتْ: لقاءٌ بعد حولٍ وحجَّةٍ وشحط النوى ألا لذي العهدِ قاطعُ
وقد يلتقى بعد الشَّتاتِ أولو النَّوى ويسترجعُ الحيَّ السحابُ اللوامعُ[5]

---

[1] ديوان عنترة : 118.
[2] المصدر نفسه : ق1/213-214.
[3] المصدر نفسه: 118.
[4] الاغاني (طبعة دار الثقافة) : 22/254-253.
[5] عشرة شعراء مقلون: ق9/37.

وفي القصيدة نفسها يحاول الشاعر اتخذا الحوار وسيلة لعرض مشاعره فقال:

فقلتُ لها يا نعمُ حُلّي محلَّنا فإنّ الهوى يانعمُ والعيشُ جامعُ
فقالتْ وعيناها تفيضانِ عبرةً بأهلي بيّنْ لي متى أنتَ راجعُ
فقلتُ لها تاللهِ يدري مسافرٌ إذا أضمرتهُ ألارضُ ما اللهُ صانعُ
فشدَّتْ على فيها اللّثامَ وأعرضتْ وأمعنَ بالكُحلِ السحيقِ المدامعُ[1]

ففي القصيدة يتناوب فيها الحوار بين((فقلت، وقالت))، وهذا هو الذي اضفى على القصيدة مصداقية التجربة العاطفية التي يئن تحت وطأتها الشاعر وبما يحقق استجابة للسامع. أي ان الشاعر اراد من خلال الحوار ان ((يعبر عن تصوراته بشكل حواري داخلي أو استنباط لاحداث كانت اشباها في نفسه قائمة... وان هذه الصور هي محاولات جديدة لتحقيق الذات، واشباع الفردية ومحاولات ايجاد صيغة جديدة للخروج على الرتابة المعهودة في البناء الشعري))[2].

اما عروة بن حزام فقد جعل حواره مع العراف الذي اراد ان يداويه من مرضه فقال:

جعلتُ لعرافِ اليمامةِ حكمةً وعرافِ حَجرَ أن هما شفياني
فقالا: نَعمْ نشفى من الدَّاءِ كُلّهِ وقاما مع العُوَّادِ يبتدرانِ
نعمْ، وبلى، قالا: متى كنتَ هكذا ليستخبراني. قلتُ: منذُ زمانِ
فما تَركا من رُقيَةٍ يعلمانا ولا شربةٍ، ألاّ وقد سقياني
فما شفيا الدَّاءَ الذي بي كُلَّهُ وما ذخرا نُصحاً ، ولا ألواني
فقالا: شفاكَ اللهُ، واللهِ مالنا بما ضُمّنتْ مِنكَ الضُّلوعُ يدانِ[3]

وان الحوار القائم على التساؤل وسيلة لبسط الافكار التي يريدها الشاعر متخذا من المرأة محورا محركا لكل الاجوبة الجاهزة في فكره والتي يحاول طرحها من خلال هذه الاسئلة، وذلك ما فعله عبد الله بن علقمة حينما وجه اسئلته الى امه حول من يحب ولكنه لم يطق الانتظار للاجابة عن اسئلته فاجاب هو بدلا عنها:

---

[1] عشرة شعراء مقلون :ق9/39-40.

[2] ملامح من الشعر القصصي في الادب العربي : 181.

[3] شعر عروة بن حزام : ق3/14-15.

يا أمَّنا أخبِّريني غيرَ كاذبةٍ وما يُريدُ مَسُولُ الحقِّ بالكذبِ

أتلكَ أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ لا بل حُبَيْشَةُ في عيني وفي أربي[1]

وقد يتخذ الشاعر غير المرأة محورا للاجابة عن اسئلته وذلك بان يوجه الاسئلة الى ((الديار وينظر منها ان تجيب، ويحثها على المشاركة في الحوار. وكأنها انسان شاخص امامه، يسمع ويرى))[2]. ولكن ماذا يسمع من الديار وهو يعلم انها خرساء وذلك ما عمد اليه المرقش الاكبر من محادثة للديار قائلا:

هل بالدِّيارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ لو كان رسمٌ ناطقاً كلَّمْ

الدَّارُ قفرٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظهرِ ألاديمِ قَلَمْ

ديارُ أسماءَ التي تبلـثْ قلبيَ، فعيني ماؤها يَسْجُمْ[3]

فهو يخاطب الديار مع ادراكه انها صماء مقفرة من الاحبة ولا يمكنها الاجابة عن سؤاله.

ونظير ذلك قول امرئ القيس:

يا دارَ ماوَّيةَ بالحائلِ فالسَّهبِ فالخَبْتَيْنِ من عاقِلِ

صَمَّ صَدَاها وعَفَا رَسْمُها وأستَعجَمَتْ عن منطقِ السائلِ[4]

ونجد في شعر العشاق صورة ملامة الازواج على مخاطرات ازواجهن والقاء انفسهم في مواطن الخطر. لذا فان التضحية بالنفس كان باعث الحوار في نماذج الفرسان في مثل قول عنترة:

بكرتْ تُخوِّفُني الحتوفَ كأنَّني أصبحتُ من غرَضِ الحتوفِ بمعزلِ

فأجبتها: إنَّ المنَّيةَ منهلٌ لابدَّ أنْ أسقَى بكأسِ المنهلِ

فَاقني حياءكِ لا أبا لكِ، وأعلمي أنِّي أمرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتلِ[5]

ويقرب من هذا المعنى قوله في قصيدة اخرى:

---

[1] الاغاني(طبعة دار الكتب) : 280/7.

[2] دراسات في الادب الجاهلي، محمد التونجي : 88.

[3] شعر المرقش الاكبر: ق884/10.

[4] ديوان امرئ القيس: ق119/16.

[5] ديوان عنترة: ق251/6-252 .

تقولُ أبنةُ العبسيّ قَرّبْ حِمالنا وأقداسَنَا ثمَّ أنجُ إنْ كنتَ ناجيا
فقلتُ لها من يَغنَمِ اليومَ نفسهُ وينظرْ غداً يلقَ الذي كانَ لاقيا[1]

وقوله:

لعمرِ لقد أعذرتُ لو تعذريني وخَشّنتِ صدراً غيبهُ لك ناصحُ
أعاذل لكم من يوم حربٍ شهدتهُ لهُ منظرٌ بادي النَّواجذ كالحُ[2]

وان هذا النمط من محاورة اللائمة الذي ينتهي الى عرض تقريري محض لمفاخر الشاعر يقترب ((من مجرى العرض القصصي في حبكة الحوار، توظيفه في تحديد اطار التجربة النفسية المطروحة))[3]

وان صورة اللائمة يتوخى منها الشاعر ((التخفيف من عنائه بعض التخفيف))[4]. وذلك ما عمد إليه امرؤ القيس في قوله:

فبعضَ اللَّوم عاذلتي فأنّني ستكفيني التجاربُ وأنتِسابي[5]

واخيرا فان وظيفة السرد هي قصة او حكاية او سرد اخبار او احداث حقيقية او خيالية وبوسع هذه الحكاية ان تخبر القارئ بتفاصيل اكثر او اقل وبطريقة اكثر او اقل مباشرة باستخدامها استعارة يسيرة متعارف عليها. واعتماد الحكاية على شخصية واحدة او مجموعة شخصيات وتلعب دورها حسب رؤية كل شاعر[6].

---

[1] ديوان عنترة : ق325/34.

[2] شرح ديوان عنترة: 38.

[3] دراسات نقدية في الادب العربي: 84.

[4] تاريخ الادب العربي قبل الاسلام: 196.

[5] ديوان امرئ القيس: ق97/11.

[6] انظر السرد والوصف، جيراد جنيت، ترجمة مهند يونس ،مجلة الثقافة الاجنبية ، السنة الثانية عشر 1992 : 54.

المبحث الثالث
الصـــورة الفنيـــة

تعد الصورة احدى الوسائل الفنية المهمة التي يعتمد عليها الشاعر في نقل تجربته الشعرية وان دراسة الصورة ومفهومها قد اهتم بها الباحثون القدماء والمحدثون على السواء وذلك لوعيهم الكبير باهميتها لكونها عماد الشعر وقوامه، وهذا ما اكده الجاحظ (ت255 هـ) في قوله: ((الشعر ضرب من النسيج وجنس من التصوير))[1].

اما المحدثون فقد توسعوا في تعريفاتهم للصورة الفنية فمنهم من قال ان الصورة هي ((ثمرة عاطفة الاديب الخاصة وما يشعر به في نفسه ازاء الاشياء بعد ان تمتزج بمشاعره وما يضيفه اليها من حالاته النفسية الوجدانية))[2].

وقال اخر انها ((محصلة الفعل التخييلي الذي يمارسه الشاعر ووسيلته في نفس الوقت))[3].

وقيل ايضا انها تمثل((تشكيلا جماليا تستحضر فيه لغة الابداع الهيئة الحسية والشعورية للاجسام او المعاني بصياغة جديدة تمليها قدرة الشاعر وتجربته، بتعادلية فنية بين طرفين هما المجاز والحقيقة، دون ان يستبد طرف باخر))[4].

وعليه فان الصورة بذلك تعد ((تعبيرا عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر ازاء موقف معين من مواقفه مع الحياة))[5].

وبما ان الصورة تعد تشكيلا لغويا ، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة لذلك فان الشاعر العاشق يحاول ان لا يقدم لنا الصورة على هيئتها بل يستخدم لنا عناصر تعبيرية ((لا تواجه الفكر مباشرة وانما تخاطبها من وراء حجاب وتفضي اليها باساليب انيقة مختارة وبسبل طريفة جانبية، وهنا يكمن سر الابداع الفني وان

---

(1) الحيوان ، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون: 131/3.

(2) اتجاهات النقد الادبي في القرن الخامس الهجري، منصور عبد الرحمن: 368.

(3) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور: 18-19.

(4) الصورة الفنية معيارا نقديا، عبد الاله الصائغ : 159.

(5) قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ، محمد زكي العشماوي : 108.

هذه الاساليب والسبل تتصل بخيال الشاعر واحساسه، وبهذا الحوار الخفي بينهما تنقل الموضوع من صفته الطبيعية العادية الى رفعة الفن وتصوغه صوغا ممتازا))[1]

مستعينا بما توفره الطبيعة حوله من الالوان والصور محاولا ان يجعل الصورة تأخذ في ((الوجدان شكلا نهائيا واضحا لا يشوبه الغموض ولا تمازجه الحيرة))[2].

وان مقصد الشاعر من بنائه لهذه الصور هو ان يعبر من خلالها عن قضاياه واحاسيسه ومواقفه من الحياة والناس من حوله. لذلك نجد ان ((التعبير الرمزي يغلب على التعبير المباشر.. ليصبح الشعر من خلال هذه الصور بناء لغويا مجازيا حافلا بالرموز والمعاني التي تقودنا الى الكشف عن التوترات المختلفة التي كانت تحكم العالم الشعري وما يتصل به من المواقف والقضايا))[3].

وعليه فقد استعان الشعراء العشاق بطائفة من الصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية لغرض التأثير في سامعيهم واكثرها دورا في اشعارهم التشبيه فلم يضعوا شيئا الا قرنوه بما يماثله ويشبهه من واقعهم الحسي حيث ان ((اغلب الصور مستمدة من الحواس الى جانب ما لا يمكن اغفاله من الصور النفسية والعقلية وان كانت لا تأتي بكثرة الصورة الحسية))[4].

ومن المهم التعرف على ان مصدر جمال الصورة الفنية لا يكون بما فيها من محسنات بلاغية وانما ينبع جمالها من كونها صورة فحسب فجماليتها قائمة في ذاتها. وايضا عندما يجمع الشاعر بين ((براعة التصوير ونبل المعنى تحتل الصورة مكانا رفيعا وتحلق في افق اعلى))[5].

وبجانب التشبيهات الكثيرة التي نلقاها في شعر الشعراء العشاق نجد الاستعارة ماثلة في العديد من اشعارهم فضلا عن الكنابة والطباق والجناس والمجاز وغيرها من

---

[1] دراسات فنية في الادب العربي: 226.

[2] دراسات في الشعر الجاهلي: 161.

[3] الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية : 188.

[4] الصورة في الشعر العربي : 30.

[5] الاصول الفنية للشعر الجاهلي: 102.

الفنون البلاغية المعبرة عن قدرة ابداع الشاعر الفنان والتي لا يمكن حصرها في قصائد هؤلاء العشاق.

ويظهر من خلال اشعار العشاق انهم لا يقدمون لنا موصافتهم ساكنة ولا يعرضون معانيهم جامدة بحيث تملها النفس ويعافها الوجدان بل اشاعوا فيها النشاط والحركة فماجت بالحيوية فالشاعر سيتقي اخيلته من العالم الحسي المترامي حوله حيث ان فاعلية الصورة تتعاظم كما تعاظمت قدرتها على تنشيط الاحساسات وان تثير تيارا حركيا في مسارب الخيال وان الصورة لا تكتسب طاقتها وحركتها الا اذا احتوت على الفاظ بعينها ذات طاقة حركية جبارة[1]. ومثال ذلك ما عبر عنه عنترة:

وكأنّما نظرتْ بعينيِ شادنٍ رشأ من الغزلانِ ليس بتوأمِ[2]

فالشاعر حينما اراد التعبير عن جمال العينين اختار لذلك صورة وبث فيها لون من الحركة الرشيقة، حركة الشادن، ولد الغزل حين ينظر الى امه في دلال وحب الوحيد لامه محاولا بذلك ان يفجر ما تخفيه تلك الصورة من تصور مثير وبليغ يعبر عما يشعر به الشاعر من حيث اتجاه الحبيبة (عبلة). وهذا ما يمكن ان يطلق عليه ((بث الحركة في الصورة الثابتة في شعر الغزل الذي يحتفل فيه الشعراء برسم هذه الصورة المثالية لجمال المرأة، من خلال الفاظ لغوية يتخيرونها تخيرا خاصا))[3]. وبما ان الخيال يعد عنصرا اساسيا في بناء الصورة والعاطفة اساس لفعالية الصورة وحيويتها. لذلك فان ((الصورة تتطابق مع الشعور، لان الخيال الناسج للصورة يمنح مادته الخام من اعماق الذات، التي هي بدورها صياغة جبلها الواقع))[4]. ومن هنا تغدو للصورة الفنية علاقة مع الذات والموضوع لذلك قيل ان ((الصورة الشعرية ترتبط بتجربة الشاعر))[5].

---

[1] مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف: 316.

[2] ديوان عنترة : ق195/1.

[3] الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: 238.

[4] مقالات في الشعر الجاهلي: 195.

[5] البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الاموي، سناء حميد، رسالة دكتوراه، اجازتها كلية الاداب جامعة بغداد 1989: 217.

وان الخيال المبدع ((لا يهدف ان يكون ما يشكله من صور نسخا او نقلا لعالم الواقع ومعطياته او انعكاسا حرفيا لانسقة متعارف عليها... وانما يستهدف اثراء الاحساس وتعميق الوعي بالحياة من خلال رؤية شعرية))[1].

وان الشاعر المبدع هو الذي يستطيع ان يصور المعاني الاكثر الفة بين الناس لذلك حاول الشعراء بعامة والعشاق بخاصة ان ينسجوا صورهم من ظواهر البيئة المحيطة بهم ومن هنا يتضح ان الصور والتشبيهات التي ترددت في شعر الشعراء العشاق ((مستمدة من البيئة الطبيعية التي عاش فيها الشعراء))[2].

فالطبيعة لم تكن مصدرا لتصوير الجمال فحسب وانما افاد منها الشاعر العاشق في رسم صور تعبر عن تجربته وتفصح عن مشاعره واحساسه .

وان هذا التصوير لا يمكن له النهوض من دون اللجوء الى المحسنات البلاغية المتمثلة بالتشبيه، والاستعارة ، والكناية ، والرمز وغيرها. فتلك المحسنات هي الوسيلة شبه الوحيدة لرسم صور تمنح التجربة حيويتها وفاعليتها وتكشف عن عوالمها الخفية.

ومن بين المحسنات التي وجدت صدى واسع لدى الشعراء العشاق هو استخدام:
التشبيه:-

لقد لقى التشبيه عناية من قبل البلاغيين والنقاد على السواء ، وذلك لكونه الفن الاكثر استعمالا في كلام العرب فقد جعلوه دليلا على الشاعرية ونجد ان البلاغيين والنقاد جعلوا احسن الشعر هو ((ما قارب فيه القائل اذا شبه واحسن منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه فيه بفطنته على ما يخفي على غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب، وعدل فيه عن الافراط))[3].

فالتشبيه هو ((خلق فني ينبثق من رؤية المبدع واحساسه بالتماثل بين الاشياء للتعبير عن موقف شعوري خاص))[4].

---

[1] البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الاموي: 212.

[2] دراسات في الشعر الجاهلي: 16.

[3] الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني: 243.

[4] البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الاموي: 229.

اما عن فائدة التشبيه فقد قال ابو هلال العسكري (ت 395 هـ) انه((يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا))[1].

وفي شعر الشعراء العشاق كان التشبيه من ابرز الوسائل التي عمدوا اليها في تشكيل صورهم الشعرية. وقد استمدوا صورهم من الطبيعة الحية وغير الحية، وبما انهم كانوا عشاق لذا فقد كان جل اهتمامهم منصب حول المرأة الحبيبة وقد وردت صور كثيرة حينما عمدوا الى وصف جمال محبوباتهم في اشعارهم فهي صفات تجمع بين ((عناصر الالوهية وصفات البشرية))[2]. وعلى الرغم من هذا التصوير الذي يقرن في احيان كثيرة المرأة بالالوهية وما تحويه من عناصر الجمال الانثوي في صورته المثالية فهي غامضة لا تنم عن امرأة بعينها لصلتها بين الشعراء وكذلك لحرص الشعراء العشاق على صفات بعينها شبهوا بها المرأة امثال الغزال والمهاة والنخلة وهي صور كثيرة الورود في الشعر الجاهلي. وفي معجم الشعراء المعني بتشبيه المرأة ، تشبيههم اياها بالبدر ، والبقرة ، والبيضة والدرة ، والدمية ، والرمح ، والسحاب ، والشمس ، والطفل... وشبهوا اسنانها بالاقحوان ، والشعاع ، وبنانها بالعنم وخدها بالمرآة ، وراحتها بالمسك... ووجهها بالصحيفة والدينار ، والشمس ، وكل اولئك مظاهر حسية ،وتشبيهات مادية تدل على اذواقهم وما كان يفتنهم ويسحرهم في صاحباتهم[3].

وقد اولع امرؤ القيس بالتشبيه اشد الولع ، وقد قال ابن سلام (ت 231 هـ) انه ((سبق العرب الى اشياء ابتدعها ، واتبعه فيها الشعراء منها... شبه النساء بالظباء والبيض... واجاد في التشبيه))[4].

وذلك ما نتأمله في هذه الصورة التي يبدو فيها شعر محبوبته التام السواد مشبها بعذق النخلة وهو متداخل لكثرته:

---

[1] الصناعتين :243.

[2] الشعر الجاهلي قضياه الفنية والموضوعية : 263.

[3] المصدر نفسه: 263.

[4] طبقات فحول الشعراء: 255/1، وانظر الشعر والشعراء: 68/1.

وفرعٍ يُغّشى المتنَ أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقنو النَّخلة المتعثكلِ[1]

وقال المرقش الاصغر مشبها شعر حبيبته بالحبال :

ألا حبذا وجهٌ ترينَ بياضهُ ومُنسدلاتٍ كالمثاني فواحما [2]

اما عنترة عندما اراد وصف شعر حبيبته الاسود شبهه بالليل لانطوائه على بعضه ولشدة سواده فقال:

خطفَ الظّلامُ كسارقٍ من شعرها فكأنّما قرنَ الدُّجى بَدياجِ[3]

وقال عبد الله بن العجلان:

كأنَ دمقساً ، أو فروعَ غمامةٍ على متنها ، حيثُ أستقرَّ جَديلُها[4]

فهو قد شبه شعر حبيبته الاسود بالغمامة مترامیا على متنها الابيض فعند استقرار شعرها كأنما استقر وشاح من حرير فان جمال المرأة يشعر الشاعر بالبهجة والسرور ناقلا هذه الاحاسيس في فضاء ابداعه الشعري.

ويبدو ان ادوات التشبيه الاكثر دورانا في ابيات الشعراء (الكاف ، وكأن) وذلك لما لهاتين الاداتين من اهمية في ابراز لفكرة الشاعر. وان استخدام كاف التشبيه مع ان التوكيد لها القدرة على تشكيل صورة تتضمن شعورا اعمق على حمل الانفعال من الكاف وحدها. وهذا ما اكده الدكتور صلاح فضل فقال: ((ان اكثر اشكال التشبيه دورانا في الشعر واعظمها قدرا من الشاعرية والبلاغة هو الذي يستخدم فيه (كأن) لما تقيمه من تخييل وتنهض به من صور فنية... خاصة انها كثيرا ما تتصدر الجملة الشعرية مما يضاعف من قدرتها على استفزاز الخيال ويشحذ فاعليتها في التصوير))[5].

اما الوجه فنجده يسترعي انتباه الشاعر العاشق اكثر من أي جزء فيها فقد كرسوا كثيرا من الشعر لتصوير قسماته وتقاطيعه فهي كالشمس والبدر والمصباح

---

[1] ديوان امرئ القيس: ق16/1.

[2] شعر المرقش الاصغر: ق535/2.

[3] شرح ديوان عنترة : 35.

[4] ديوان الحماسة: 81/2.

[5] انتاج الدلالة الادبية، صلاح فضل: 231.

والدنانير. فقد منحت البيئة الشاعر الخيال الذي صوروا به عواطفهم فقد ((التفتوا الى ما في البيئة من جمال وعقدوا بينه وبين المرأة الحسناء صلة او صلات، مع علمهم ان جمال المحبوبة اقوى فتونا واحلى فنونا))[1]. ولو ان عندهم اجمل مما شبهوا به لالحقوا الحبيبة به.

يقول الجاحظ في هذا المعنى ((وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجارية الفائقة الحسن احسن من الظبية، واحسن من البقرة ، واحسن من كل شيء تشبهه، ولكنهم اذا ارادوا القول شبهوها باحسن ما يجدون ، فيقول بعضهم كانها القمر. وكانها الشمس. والشمس وان كانت بهية فانما هي شيء واحد، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب. ومن يشك ان عين المرأة الحسناء احسن من عين البقرة، وان جيدها احسن من جيد الظبية))[2].

فقد شبهه امرؤ القيس وجه حبيبته بمصباح الراهب فقال:

تضيءُ الظّلامَ بالعشاءِ كأنّها منارةُ ممسي راهبٍ مُتبتلِ[3]

فاراد امرؤ ان يشبه وجه حبيبته بمصباح الراهب ، لانه ينير في الفضاء والظلمات حوله، وذلك ابين لنوره التي تكون مضيئة باستمرار فكذلك وجه حبيبته مضيء كالسراج لحسنها وجمالها وبياضها. فتشبيهات امرئ القيس تنبعث من خيال شاعر عاش في البادية وهي ((تشبيهات حسية مشتقة من الصحراء ومظاهر الحياة لذلك كانت قريبة يسيرة، وقلما نجد له تشبيهات عقلية تحتاج الى شيء من اعمال العقل ومعاناة الفكر))[4].

اما المرقش الاكبر قد عبر عن جمال وجه حبيبته بالدنانير في بياضها ونصعانها فقال:

النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ البنانِ عَنـمْ[5]

---

(1) الغزل في العصر الجاهلي: 327.

(2) رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون: 116/2.

(3) ديوان امرئ القيس: ق17/1.

(4) دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي: 329.

(5) شعر المرقش الاكبر : ق885/10.

ففي هذا البيت وردت ثلاث صور فقد شبه اولا رائحة المحبوبة برائحة المسك ثم شبه الوجه بالدنانير واخيرا شبه اطراف الاكف بشجر العنم التي اغصانها حمراء وهذا يشبه لون البنان المخضبة بالحناء.

وسار عنترة على نفس المنهج فشبه وجه حبيبته كالشمس مرة والبدر مرة اخرى فقال:

أشارتْ اليها الشّمسُ عند غُروبِها تقولُ: أذا أسودّ الدُّجى فاطلعي بعدي
وقالَ لها البَدرُ المنيرُ: ألا أسفري فأنكِ مثلي في الكمالِ وفي السَّعدِ[1]

فقد وصف وجهها بالصفاء والنقاء فهي منيرة كالشمس فاذا غابت حلت مكانها. فالشاعر عقد محاورة بين الشمس وحبيبته فهي تطلب منها ان تطلع بعد غروبها. اما القمر فان كلامه اعذب واجمل فهو قد جعل حبيبة عنترة مساوية له في الجمال والكمال. فما ابلغ ذلك التشبيه. وقال ايضا:

ويطلعُ ضوءُ الصّبحِ تحت جبينها فيغشاهُ ليلٌ من دُجى شعرِها الجعدِ[2]

ويرسم عبد الله بن العجلان صورة حبيبته مشبها اياها بالهلال ومستعينا بالاداة (مثل) قائلا:

غرَّاءُ مثلَ الهلالِ صورتها أو مثل تمثال صورةُ الذهبِ[3]

وان هذه النزعة المادية في تجسيم المعاني والتعبير عنها بصورة حسية كان لها اثرها على الشعر حيث انها حددت الخيال والصور ولم تتح للشاعر ان يتعمق في وصف الخواطر والافكار او يحلل العواطف والاحاسيس فجاء وصفه لمحبوبته واشواقه نحوها وصفا خارجيا باردا ، وذلك لتوفر تلك الصور لدى الشاعر فهي مستمدة من البيئة والحياة البدوية فلا يجد صعوبة في استحضارها فهي واضحة وضوح الصحراء وبسيطة بساطة الحياة البدوية[4].

---

[1] شرح ديوان عنترة: 61.

[2] المصدر نفسه: 61.

[3] تزيين الاسواق: 143/1.

[4] انظر ادب العرب في عصر الجاهلية: 51.

ويستمر الشعراء العشاق في تشبيه محبوباتهم ووصف كل ما بدى لهم من جمالهن وكل ما ابصرته عيونهم. فتشبيه رائحة وطعم الفم قد اخذت الكثير من الشعراء العشاق، فهذا خزيمة بن نهد يجعل فم حبيبته بطعم الزنجبيل فقال:

فتاةٌ كأن رُضاب العصيرِ بفيها يعلٌّ بهِ الزنجبيلُ[1]

ويذهب المرقش الاصغر في تفضيل هذه الصورة وتعقيدها مذهبا اخر فشبه عذوبة ريق حبيبته بالخمر في قوله:

كأن فيها عقاراً قرقفاً نشّ من الدُن فالكأسُ زنومُ[2]

وعبد الله بن علقمة جعل نفسه لا تشفى من ثغرها الذي تشبه رائحته ريح المسك فقال:

وهل أشتفي من ريقِ ثغركِ مرةً كراحٍ ومسكٍ خالط ضربَ النَّحلِ[3]

وعنترة حين يريد وصف صاحبته عبلة بطيب رائحتها، يختار لذلك صورة يبث فيها لونا من الحركة والحياة تتألف من عناصر كثيرة:

وكأن فأرةَ تاجرٍ بقسيمةٍ سبقتْ عوارضَها أليكَ من الفمِ [4]

فهذه المرأة حين تهوي اليه ليقبلها ، تنتشر من فيها رائحة طيبة كالمسك تسبق عوارضها الى انفك.

ان مجرد هذا التصور الحسي لجمال المرأة يقنعك بمدى التشابه الذي وفق الشاعر العاشق الى رؤيته ونقله في تشبيهاته البارعة. حيث ان ((التشبيه الجيد هو حين يقارن الشاعر بين شيئين بينهما اختلاف، فيلفت نظرنا الى الشبه الموجود بينهما على الرغم من ذلك الاختلاف، وكلما كان هذا الشبه اكبر حاجة الى دقة التصوير ونشاط الخيال، كان التشبيه أجود وكان تقديرنا للشاعر اعظم))[5].

---

[1] صحيح الاخبار: 7/3.

[2] شعر المرقش الاصغر: 539/3.

[3] الاغاني(طبعة دار الكتب) : 281/7.

[4] ديوان عنترة: ق195/1.

[5] ادب العرب في عصر الجاهلية: 183.

فالشاعر العشاق حينما يعمد الى التشبيه لا يقصد به التسجيل المادي وانما يستعين به لحمل عاطفته الينا في تمام قوتها وحرارتها.

واذا تجاوزنا الصورة الحسية لدى الشعراء العشاق ان امثل نظرة الى العاطفة عرضها شعر العشاق تتمثل في اشعار يملؤها الاسى على ما فات حين يتذكر الشاعر لحظات السعادة التي مرت، اذا الشاعر العاشق لم يقف عند جمال المرأة الجسدي فحسب وانما فطنوا الى جوانب اخرى وهي الجوانب المعنوية فراحوا يجسدون ويشبهون الامهم التي احسوا بها نتيجة حبهم المفرط وشغفهم بمن يعشقون، حيث ان التشبيه قد امتزج بمشاعر الشاعر العاشق وتلون باحساساته فانجب صورا معبرة ومؤثرة، وما ذلك الا لصدق التجربة العاطفية التي عاناها الشاعر ، ومن الصور التي عبرت عن نفس الشاعر وما تحسه ازاء الحبيب في مواقف مختلفة قول مضاض الجرهمي:

كأني حينَ اطلبهُ وصالاً ويصرمهُ أطالبهُ بدينٍ[1]

وقوله:

كأني أنادي حيةً حينَ أقبلت سقاها فما تزدادُ ألا تغضبا[2]

فهذه الصورة تجدها قد انبثقت من اغوار الشاعر وامتزجت باحاسيسه ومشاعره فهي تخفي وراءها تصورا مأساويا للتجربة الشعورية وهاهنا بالضبط تكمن قدرة الصورة على تفجير العواطف وتثويرها.

وعبر قيس بن الحدادية عن المه مشبها حال قلبه قائلا:

وأني لأنهي النفسَ عنها تجمّلاً وقلبي اليها الدهرَ عطشانُ جائعُ
كأن فؤادي بين شقَّين من عصاً حذار وقوعَ البينِ والبينُ واقعُ[3]

تأخذ هذه الصورة الفنية مسارها المنطقي ، من زاويتها الرئيسة وهي عذاب الشاعر ، فقد جسد قلب الشاعر هذا العذاب الذي يشعر به فالقلب متعطش لها

---

[1] التيجان : 192.

[2] المصدر نفسه: 194.

[3] عشرة شعراء مقلون : ق39/9.

ولكن النفس تنهى عن ذلك. والتعطش والتشوق قوة لا تقهر ولا تغلب، تقتحم حياة الشعراء وتسلبهم راحتهم وتورثهم الهم ومن ذلك ما عبر عنه عبد الله بن علقمة قائلا:

كأن الحشى حَرُّ السَّعيرِ يحشّهُ وقودُ الغضى والقلبُ مستعرا[1]

حيث ان القلوب مادة موروثة في شعر العشاق وذلك لتصوير معاناة الحب والهجران. وقال عروة بن حزام:

وقد تركتْ عفراءُ قلبي كأنّهُ جناحُ غُرابٍ دائمُ الخفقانِ[2]

فقلب عروة كانه جناح غراب دائم الخفقان من حب عفراء ، فالقلوب بين يدي الهوى ليس لها الا ان تكون طائرة ، محاولة الوصول لمن تحب، وقال ايضا:

فويلي على عفراءَ ويلٌ كأنّهُ على النَّحرِ والاحشاءِ حدّ سنانِ[3]

فالشاعر يجسد لنا معاناة حقيقية احسها واقعا من خلال صورة فنية جميلة واكتسبت قوتها من خلال قدرة الشاعر على تشبيه حاله والامه.

الاستعارة:-

تعد الاستعارة من اهم وسائل تشكيل الصورة الشعرية وذلك لقدرتها على التخييل وقد تنبه البلاغيون القدماء لاهمية الاستعارة لما لها من القدرة على التخييل فقال ابو هلال العسكري (ت 395 هـ) ((وفضل الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة انها تفعل في نفس السامع ما لاتفعل الحقيقة))[4].

وقد اوضح عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الخصائص الفنية للاستعارة فقال ((ومن الفضيلة الجامعة منها ان تبرز هذا البيان ابدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد ... ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، انها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ... فانك لترى الجماد حياً ناطقاً... والمعاني الخفية،

---

(1) الاغاني: 281/7.

(2) شعر عروة بن حزام: ق24/7.

(3) المصدر نفسه : ق23/6.

(4) الصناعتين : 289.

بادية جلية... وان شئت ارتك المعاني اللطيفة التي هي خبايا العقل كانها قد جسمت حتى رأتها العيون))[1].

والاستعارة في رأي عبد القاهر الجرجاني ((ان تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجري عليه))[2]. وقيل عن خصائص الاستعارة ((تشخيص المعنويات وتشخيص المجردات، وخلع الحياة على ما لا حياة فيه، فتصبح المعنويات والامور المجردة شاخصة امام الاعين، ويصير فاقد الحياة بالاستعارة حيا متحركا))[3]. لذلك فان بعض النقاد قالوا ان ((الصورة التي تعتمد على الاستعارة تكون ابعد خيالا واكثر دقة والصق بالفن... وذلك ان الاستعارة في نظرهم تمثل مرحلة النضوج والرقة الفنية وقوة التصوير وبعد الخيال))[4]. حيث يمكن للشاعر من خلال الاستعارة ان يخلق علاقات جديدة مبتكرة تثير الدهشة فتحفز لها الذهن وتستمتع بها النفس العاشقة وهي بذلك تعد ((مجالا حافلا بالرموز والمعاني التي تقودنا الى الكشف عن التواترات المختلفة التي تحكم العالم وما يتصلى به من المواقف والقضايا))[5].

فان احلال لفظة مكان اخرى ينشأ عنه ((رد فعل خيالي ينتهي بمعاني جديدة بسبب ما تكتسبه المعاني القديمة من اضاءة وزخرف وسحر بياني وشعري))[6].

وفي مقدمة الشعراء العشاق الذين وردت في منجزهم الشعري الاستعارة هو امرؤ القيس فقال:

---

(1) اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق احمد مصطفى المراغر بك: 49-50.

(2) دلائل الاعجاز: 53.

(3) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، بسيوني عبد الفتاح: 231.

(4) ادب العرب في عصر الجاهلية: 79.

(5) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: 187.

(6) الاصول الفنية للادب: 110.

وأن كنتِ قد ساءتكِ خليقةٌ فَسُلّي ثيابي من ثيابكِ تنسلِ[1]

حيث ان كلمة الثياب تستوي في مدلوها استعارة تصديحية بمعنى القلب وهو يسلم لصاحبته ويرضى بكل شيء منها وان تكون قد ساءها شيء منه فعليها ان تنتزع قلبه من قلبها ان استطاعت الى ذلك سبيلا.

فهو قد منح القلب صفة لا يمتلكها الا الكائنات الحية حيث ان الكلمة (تنسل) تعنى سقوط الريش والوبر وهي صفة مختصة بالطيور والحيوانات.

فيحاول الشاعر ان يقرب الينا بانه كان ((مقيدا من غير لا حول ولا قوة يتمنى التحرر مما فيه ولو كان تحرره في صورة من تجرد عن كل شيء وخسر كل شيء))[2].

وقوله:

وما ذرفتْ عَيناكِ ألاَّ لتقدحي بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ[3]

فهنا العين لا تقدح بالسهام وانما تنظر فاراد بذلك ان عيونها لا ترسل اليه نظرات وانما ترسل اليه سهاما تصيب قلبه فان تأثير نظرتها كان في قلبه ما للسهام من اثر. فهنا استعارة قد حذف المشبه (النظر) وابقى المشبه به (سهميك) وجاء يقربنه داله على المشبه وهو العين فهي استعارة تصريحة.

فما اجمل التعبير عن العيون وما تصيبه في قلوب المحبين ففيها تأثير عظيم فهي، ((تحي في النفوس محبة الحياة، وتشيع اسعادا لمن يرنو اليها، أو ترنوا اليه... وشجاعة القلب النابض بالحب تظهر في تلقي ما توحى اليه الحياة عبر العينين))[4].

وقد صرح عبد الله بن العجلان عن فعل العيون وتأثيرها فيه وما ادخلت في قلبه من المشقة والعناء فقال:

---

[1] ديوان امرئ القيس: ق13/1.

[2] بناء الصورة الفنية في البيان العربي: 351.

[3] ديوان امرئ القيس: ق13/1.

[4] ادب العرب في عصر الجاهلية: 185.

أتتنى سهامٌ من لحاظِ فأرشقتْ بقلبي ولو أستطيعُ ردّ أرددتها [5]

[5] تزيين الاسواق: 141/1.

فقد استعار السهام بنظر العين فهي استعار تصريحية حيث حذف المشبه وهو (العين) وابقى المشبه به وهو (السهام) وجاء بقرينة وهي (لحاظ) فهي عين لا ترمي بنظرات عذبة وانما سهام قاتلة.

وقد تتميز بعض صور العشاق بقدرة الشاعر على النفاذ في صميم الاشياء الدقيقة التي ربما لا يلتفت اليها الاخرون ومتابعتها ومن ثم تصويرها كما يبدو في تصوير عنترة لاثر النظرة في قلبه بوقع النبل التي يصعب شفاؤها فقال:

يا من رمتْ مُهجتي من نَبلِ مُقتلتها بأسهمٍ قاتلاتٍ برؤها عَسِرُ [1]

ويصور مرة اخرى وقع السهم العميق الاثر الذي لا يخطأ اثره قائلا:

رمتْ عبيلةُ قلبي من لواحظها بكلّ سهمٍ غريقٍ النزعِ في الحورِ

فأعجبْ لهُنّ سِهاماً غير طائِشَةٍ من الجُفونِ بلا قَوسٍ ولا وترِ [2]

وبين المرقش الاكبر حاله وما فعلت اسماء به في صورة قوامها الاستعارة قائلا:

وأسماءَ همُّ النفسِ أن كنتَ عالماً وبادى أحاديثُ الفؤادِ وغائبهُ [3]

فمكمن الاستعارة في لفظة (الفؤاد) حيث قرنه بصفة لا يمتلكها الا الانسان وهو الحديث. وكانما اراد ان يثبت ان النفس لو كان باستطاعتها التكلم لتعبر عن الالم لفعلت.

وقد ابدع الشاعر في بناء صورته على التضاد المثير في قوله (بادي، غائب) أي الظاهر والخفي فهو تجسيد للمعاني التي تختلج في نفس الشاعر وتعظيم لحاله فهي تمثل المعاناة سواء كانت حاضرة أو غائبة ، وقال عبد الله بن العجلان:

جديدةِ سربالِ الشّبابِ كانّها سقتْهُ بردي نمتها غُيولها [4]

حيث ان السربال في الاصل معناه الدرع فاستعارة عن غضارة الشباب ونضارته فهي في عنفوان الشباب وهو قد حذف النضارة وجاء بقرينة وهي الشباب لتدل عليه.

---

[1] شرح ديوان عنترة: 66.

[2] المصدر نفسه: 71.

[3] شعر المرقش الاكبر: ق888/12.

[4] ديوان الحماسة: 80/2.

وترد الاستعارة في ابيات الشعراء العشاق شاخصة في التشخيص فيحاول الشاعر ان يرتفع بالاشياء المحيطة به الى مرتبة الانسان مستعيرا لها صفاته ومشاعره فتبرز نابضة بالحياة وبذلك تقوى الاستعارة عندما تستعرض في الاشياء غير الحية وكأنها مخلوقات انسانية مدركة وهو ما يسمى بالاندماج الوجداني فهذا الاندماج كانه انتقال بحياتنا واحساسنا من نظامنا العادي الى نوع اخر تتعمق فيه صلتنا بما حولنا فنشعر بانه جزء منا واننا جزء منه[1].

واغلب صور العشاق مستمدة من البيئة غير الحية محاولين ان تشاركهم مشاعرهم فهو يرى الاشياء كلها من خلال عاطفته فيضفي عليها من الاحاسيس والمشاعر التي يحس بها من ذلك قول عنترة الذي استعار الشمس ليشبه بها حبيبته:

رفعو القبابَ على وجوهٍ أشرقتْ فيها فغنَّيت السُّها في الفرقدِ

والشّمسُ بين مُضَرَّجٍ ومُبَلَّجٍ والغُصنُ بين مُوشَحٍ ومُقَلَّدِ[2]

فالشاعر حاول ان يمزج بين عاطفته والبيئة المحيطة به بان شبه اشراق الوجوه بالفرقد والقباب التي سترها الفرقد وباستعارة هذا الاشراق بالشمس الصافية. وقال المرقش الاكبر:

دقاقُ الخصورِ لم تُعفَّر قُرُونها لشجوٍ ولم يحضُرنَ حُمّى المَزَالفِ[3]

فهو قد استعار صفة الحيوان ونسبها للانسان وهي وصف الظفائر بالقرون فقد حذف المشبه (الشعر) وجاء بقرينة هو (التعفر) اذا هي استعارة تصريحية.

الكناية:-

ان الكناية كغيرها من المحسنات ذات اهمية في تشكيل الصورة الشعرية وهي نمط من التعبير يؤدي المعنى بصورة غير مباشرة، يرى ابو هلال العسكري (ت 395هـ) ان الكناية هي ((ان يكنى بالشيء، ويعرض به ولا يصرح على حسب ما

---

[1] انظر الاصول الفنية للادب: 110.

[2] شرح ديوان عنترة: 59.

[3] شعر المرقش الاكبر: 880/6.

عملوا باللحن والتورية عن الشيء))[1]. وعرفها عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ((ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى المعنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به اليه ويجعله دليلا عليه))[2]. ويمكن ان يطلق عليها ايحاءات المعنى لذلك يسميها عبد القاهر (معنى المعنى) حيث ان ((معنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى اخر))[3]. وهذا ما يمثل بالكناية والاستعارة والتمثيل.

وان استخدام هذه السبل لا يعد تغيرا في المعنى حيث ((اعلم ان سبيلك اولا ان تعلم ان ليست المزية التي تثبتها لهذه الاجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تدعي لها في انفس المعاني التي يقصد المتكلم اليها يخبره، ولكنها في طريقة اثباته لها وتقريره اياها))[4] .

ويرى اخرون ان الكناية ((لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ))[5]. اذا الكناية هي ((ضرب من العدول عن لفظ يقرر معناه حقيقة وصراحة والاتيان بلفظ اخر يؤدي هذا المعنى في شيء من التأويل على ان تكون هناك علاقة لازمة بين اللفظتين))[6].

ومن مزايا وخصائص الكناية ان ((تضفي على المعنى جمالا وتزيده قوة... وافادة المبالغة في المعنى، لان التعبير عن المعنى الكنائي بروادفه وتوابعه له من القوة والتأكيد ما ليس في التعبير عنه باللفظ الموضوع له))[7]. وقيل عن محاسنها ((تفخيم المعنى في نفوس السامعين))[8].

---

[1] الصناعتين: 368.

[2] دلائل الاعجاز: 52.

[3] المصدر نفسه: 203.

[4] المصدر نفسه: 56.

[5] الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: 183.

[6] الصورة الفنية في البيان العربي: 328.

[7] علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: 68.

[8] المصدر نفسه: 270.

ومن امثلة الكناية قول امرئ القيس:

كبكرِ مُقاناةِ البياضِ بُصفرةٍ غَذاها نميرُ الماءِ غيرَ المحلَّلِ[1]

فهو يورد (كبكر المقاناة) فيكني بها عن شرف المرأة وصيانتها فهي نقية وصافية كنقاء البيضة الاولى من بيض النعام، حيث ان الاولى لا يخلص بياضها خلوص سائرها. فالمرأة نقية مثلها ولا يخالطها شيء.

يجب ان لا ننسى لما للخيال من دور فاعل في رسم المعاني التي تعرض من خلال الكناية. وقد برع الشعراء العشاق في عرض تلك المعاني فيكفي امرؤ القيس عن المرأة المعشوقة المترفة (بنوؤم الضحى) قائلا:

وتُضّحي فَتيتُ المسكِ فوقَ فِراشها نوؤمُ الضُّحى لم تنتطِقْ عن تفضُّلِ[2]

ثم كنى الشاعر نفسه عن نعومة المرأة التي يعشقها وتاثير الذر فيها في قوله:

من القاصراتِ الطَّرفِ لو دبَّ مُحولٌ من الذَّرِ فوقَ ألاتبِ منها لاثَّرا[3]

فهو يكنى بـ (المحول) الذي يعني الصغير حيث انها بيضاء ويؤثر فيها أي شيء حتى لو كان بمقدار الذر لبياضها ونعومتها ورقة بشرتها.

وقال المرقش الاكبر:

وفي الحيِّ أبكارٌ سبينَ فؤادهُ غُلالةَ ما زوَّدنَ، والحبُّ شاعفي
نواعمُ أبكارٌ سرائرُ بـدَّنٌ حِسانُ الوجوهِ لَيِّناتُ السوالفِ[4]

فان الشاعر قد كنى بلفظة (البكر) تأكيدا على صفة العذرية فيها وانها حرة كريمة .

وكنى المرقش الأصغر عن المرأة المترفة بقوله:

في كلّ مُمسى لها مِقطرةٌ فيها كِباءٌ مُعدٌّ، وحميـمْ
لا تصطلي النَّارَ باللّيلِ ولا تُوقظُ للزَّادِ، بّلهاءُ نـوؤمْ[5]

---

(1) ديوان امرئ القيس: ق16/1.

(2) المصدر نفسه: ق17/1.

(3) المصدر نفسه: ق68/4.

(4) شعر المرقش الاكبر: ق880/6.

(5) شعر المرقش الاصغر: ق539/3.

فهو يريد ان يكنى عنها بكونها امرأة شريفة منعمة مكفية وإنها تنام متى شاءت وبعيدة عن الفواحش لأنها لا تعرفها.

وقد كنى عنترة عن الحبيبة بالشاة وهي صفة للحيوان ولكنه جعلها للمرأة قائلا:

يا شاةَ ما قنصٍ لمن حلَّت لهُ حرمتْ عليَّ وليتها لم تحرُمِ[1]

فان الذي يحصل لهذه الحبيبة يفرح كما يفرح الصياد بحصوله واصياده للشاة اذا فقد عنم.

وقد كنى عنترة عن المرأة المصونة الشريفة الكثيرة الحياء انها غضيضة الطرف فقال:

دارٌ لأنسةِ غضيضِ طرفُها طوعِ العناقِ لذيذةِ المتبسّمِ[2]

فهذه كناية عن عفتها وحيائها وانها عندما تنظر، تنظر بنظرة فاترة كما هي نظرة المريض السقيم.

وقال عبد الله بن العجلان:

وحقةِ مسكٍ من نساءٍ لبستها شبابي وكاسٌ باكرتني شمولها[3]

فهو كنى عن المعشوقة بقوله (حقة مسك) وذلك لطيب رياها ورائحتها كظرف المسك.

وان من ضمن موضوعات الكناية هو الرمز وهو من اقسامها وفروعها وصارت دراسة صورته ودلالته الايحائية من المواضيع المهمة التي تهم دارسي البلاغة. ثم ان الشعراء العشاق اتخذوا من الرمز طريقا للتعبير عما يريد حيث ان المبالغة في وصف الحبيب ووصف الوجد والشوق والالم فتأخذ من الرمز خير طريق للتعبير بها من ذلك قول المرقش الاكبر الذي وصف جمال حبيبته بان رمز لها بأحياء تلك الارض كلما مرت منها فقال:

أينما كنتِ أو حللتِ بأرضٍ أو بلادٍ أحييتِ تلكَ البلادا[4]

---

[1] ديوان عنترة: ق213/1.

[2] المصدر نفسه: ق184/1.

[3] ديوان الحماسة: 80/2.

[4] شعر المرقش الاكبر: ق888/11.

لاشك في ان هذه الصورة تجمع المبالغة والرمز والايحاء فنرى الارض الميتة قد احيت بعد ان حلت بها حبيبته. وهذا يجعل المعنى ارسخ في الذهن وتأثيره اقوى في النفس.

حيث ان فاعلية الصورة تتعاظم كلما تعاظمت قدرتها على تنشيط الاحساسات شريطة ان يكون في مقدورها ان تثير تيارا حركيا في مجالات الخيال وتفجيرا لا ارادياً في العاطفة وان الصورة لا تؤدي طاقتها الا اذا احتوت على الفاظ بعينها ذات طاقة حركية جبارة، حيث ان الصورة التي قدمها امرؤ القيس تخفي وراءها تصورا مأساويا للعيش والحياة[1].وذلك في قوله:

ظللتُ ردائي فوقَ رأسي قاعداً أعدُّ الحصى ما تنقضي عبراتي[2]

فشاعرنا هاهنا ينبئنا امة في حالة نفسية من القلق والهم والحزن ، وصور لنا حالته ببناء بديل عن عبارات صريحة مباشرة مثل (انا حزين). وذلك لان ((التصوير الرمزي على الرغم من خفائه قريب الى المتلقي لا يتيه في الاغراب ولا ينقطع عن المقصود بكثرة وسائطه واختلال سبله))[3].

وصرح عروة بن حزام معبرا عن المه بالرمز فقال:

تحمّلتُ من عفراءَ ما ليس لي به ولا للجبالِ الراسياتِ يدانِ[4]

فهو قد ابتكر صورة تعبر عن عظيم عذابه وتمزقه نتيجة حبه لعفراء فهو تحمل من هذا الحب ما لم تتحمله الجبال الراسيات بعظيم قوتها ومقدار ثباتها فما ابرع ما يصور العاشق المعذب.

وقد لجأ بعض الشعراء العشاق الى الحيوان ليعبروا من خلالها عن افكارهم وعواطفهم دون البوح بها بصورة مباشرة محاولا عكس ما يشعر به على الحيوان الذي يصفه ويمثله في قصيدته من ذلك قول عنترة:

---

[1] انظر مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف: 316-317.

[2] ديوان امرئ القيس : ق78/6.

[3] الصورة الفنية في البيان العربي: 334.

[4] شعرة عروة بن حزام : ق13/2.

ظعنَ الذينَ فراقهم أتوقَّعُ وجرى ببينهمُ الغرابُ الأبقعُ[1]

فالشاعر يصور حزنه والمه نتيجة رحيل المحبوبة فالحيوانات ترمز الى حالات نفسية يحس بها الشاعر وعبر عروة بن حزام عن المه من خلال الرمز بالغراب فقال:

ألا يا غرابي دمنةِ الدارِ بّيننا أبا لصَّرمِ من عفراءَ تنتحبانِ[2]

وكأنما خلق الشاعر علاقة بينه وبين هذا الطائر وهي علامة توحي بالالم والفراق فهو رمزا للشؤوم حيث يصور من خلالهم سخطهم من الفراق ومشاعرهم التي تفيض بالغيظ والالم.

فبذلك نجد ان هذه الالفاظ قد ارتفعت من مستواها المادي الى مستوى الايحاء والرمز والذي يحوي في طياته معاني الحب والالم والخوف والجزع والامل في الوقت نفسه.

وان النصوص التي لا تكشف عن نفسها وعن المقصود منها بسهولة ويسر تكون ((اكثر فاعلية وتأثيرا في المتلقي من النصوص الواضحة ، فالتأمل والتفكير يمتع المتلقي شريطة الا يستغلق المعنى وتلك سمات البناء والتصويري الناجح))[3].

وقد كان الطلل يرمز الى حالات نفسية يشعر بها الشاعر العاشق فهو يحاول من خلاله ان يعبر عن لواعج نفسه فالطلل يرتبط بتجربة الشاعر وما تلك الاجواء النفسية التي يوحي بها الطلل الا تعبير عن تجربة الشاعر العاشق القائمة على التذكر والتشوق والحنين. من ذلك قول عبد الله بن العجلان عندما وقف على طلل من يحب:

عاودَ عيني نصبها وغرورها أهمُّ عُراها أم قذاها يَعُورها
أم الدارُ أمست قد تعفَّت كأنَّها زبورُ يمانٍ نقشتهُ سطورها[4]

---

[1] ديوان عنترة : ق262/8.

[2] شعر عروة بن حزام: ق16/3.

[3] البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الاموي: 248.

[4] الاغاني (طبعة دار الثقافة): 249/22.

فهو رمز الى تلك الطلل بانها سطور كتب محت فأصابه ذلك بالهم والحزن الشديد على خراب الديار وتغيرها.

وقال قيس بن الحدادية:

سقى اللهُ أطلالاً بنعمٍ ترادفت بهنَّ النوى حتى حللن المطايا

فان كانت ألايامُ يا أمَّ مالكٍ تُسلّيكم عني وتُرضي الأعاديا

فلا يأمنن بعدي امرؤ فَجَع لذَّةِ من العيش أو فجعَ الخطوبِ العوافيا[1]

فاننا نحس من خلال هذه اللوحة الطللية مقدار حزن الشاعر على ايام مضت فقد وصف مظاهر التبدل والتغير التي حلت بالارض التي عاشت فيها محبوبته (نعم).

ومن ذلك نحس ان الصورة التي ارتفعت من مستواها المادي الى مستوى الايحاء اصبحت ذات طاقة تعبيرة اقوى واشد فهي تحوي بين طياتها معاني الثبات والديمومة للحب الصادق الذي شعر به الشاعر العاشق ولا تزال تلك الالفاظ ترمز الى ما في النفس من تعلق بأمل ينير لها طريقها في عتمت الفراق.

[1] عشرة شعراء مقلون: ق43/15.

المبحث الرابع
المبالغــة والغلــو

من القيم الفنية التي اهتم وتنبه اليها البلاغيون والنقاد العرب هو موضوع (المبالغة). وذلك لاحساسهم بقيمتها البلاغية فتحدث عنها واكثروا الكلام فيها.

والملاحظ على البلاغيين انهم قد ربطوا المبالغة بموضوع (الافراط في الصفات) فقال بعضهم ان احسن الشعر اكذبه لان ((قائله اذا اسقط عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه الى اعلى الرتبة، وظهر قوته في الصياغة وتمهر في الصناعة واتسعت مخارجه وموالجه فتصرف في الوصف كيف شاء لان العمل عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصادقة والتحقيق [1].

فمعنى ذلك انه كلما ابتعدت المسافة بين الوصف والموصوف ظهر الشعر في مرتبة عالية من الصياغة والصنعة وتوسع الفكر في التصور والتخيل.

وقال ابن المعتز (ت296هـ) ان الإفراط في الصفات هي من ((محاسن الكلام والشعر))[2].

ويؤكد ابن طباطبا (ت 322هـ) ان الشعراء في الجاهلية وصدر الاسلام كانوا يميلون الى استخدام الكذب في الشعر فيكون ((الاغراق في الوصف، والافراط في التشبيه))[3].

اما قدامة بن جعفر (ت337 هـ) قال ((ومن انواع نعوت المعاني المبالغة وهي ان يذكر الشاعر حالا من الاحوال في شعر لو وقف عليها لاجزاه ذلك في الغرض الذي قصده. فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكر من تلك الحال ما يكون ابلغ في ما قصد))[4].

---

[1] شرح ديوان الحماسة، محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق احمد امين وعبد السلام محمد هارون: 11.

[2] البديع ، ابن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي: 106.

[3] عيار الشعر : 9.

[4] نقد الشعر : 146.

والمبالغة لدى أبي هلال العسكري (ت 395هـ) هي ((ان تبلغ بالمعنى اقصى غاياته ، وابعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه في ادنى منازله واقرب مراتبه))[1].

وجعل مثال المبالغة قول امرؤ القيس:

فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضعاً فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُغيَل[2]

فهو قد اراد المبالغة في وصف محبة المرأة له فقال: اني الهيتها عن ولدها الذي ترضعه لمعرفته بشغفها به، وشفقتها عليه في حال ارضاعه اياه.

ويؤكد ايضا على الشاعر عندما يشبب بأمراة يحب ان يكون دالا على ((شدة الصبابة وافراط الوجد والتهالك في الصبوة))[3].

ويرى ابن رشيق (ت456 هـ) ان الناس مختلفون في المبالغة فمنهم من ((يؤثرها، ويقول بتفضلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة))[4].

وقال ابن وهب الكاتب ((اما المبالغة فان من شأن العرب ان تبالغ في الوصف والذم كما من شأنها ان تختصر وتوجز وذلك لتوسعها في الكلام واقتدارها عليه ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه)) [5].

وقد عدت المبالغة لدى بعض البلاغيين والنقاد من قبيل المحسنات المعنوية التي تدرج في علم البديع فقال ابن طباطبا ((الشعر هو ما ان عري من معنى بديع لم يعر من حسن الديباجة وما خالف هذا فليس بالشعر))[6].

ويؤكد ابن طباطبا ايضا عدم ((الاقتصار على ذكر المعاني التي يغير عليها دون الابداع فيها والتلطيف لها لئلا يكون كالشيء المعاد المملول))[7].

---

(1) الصناعتين: 365.

(2) ديوان امرئ القيس: ق12/1.

(3) الصناعتين : 129.

(4) العمدة: 53/2.

(5) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب ، تحقيق احمد مطلوب ، وخديجة الحديثي: 153.

(6) عيار الشعر : 17.

(7) المصدر نفسه : 23.

اما الغلو فقد عرفه ابو هلال العسكري (ت 395هـ) هو ((تجاوز حد المعنى والارتفاع منه الى غاية لا يكاد يبلغها الغلو))[1]. وقيل في الغلو هو ((تجاوز حد الشيء والافراط فيه. أو بلوغ اقصى الغاية فيه))[2].

ومن هنا يبدو الغلو شاخصا في المعاني والصور الشعرية التي يقدمها الشاعر، اذا فالغلو والاغراق يدخلان في باب المبالغة. والمبالغة لا تأتي تحسينا وتزيينا للكلام كما هو معروف عن المحسنات المعنوية ولكن يقتضيها السياق الشعري وترتبط به. والسياق وحده الذي يمنحنا القدرة على الحكم على المبالغة بوجوده أو عدمه.

فمن خلال هذه الاراء يتضح ان البلاغيين قد استقر لديهم معنى المبالغة في محاور ثلاثة:

الاول: ان تكون المبالغة من قبل الافراط في الاوصاف.

الثاني: استخدام المحسنات البديعية.

الثالث: الابداع في المعاني.

والملاحظ ان ((المعين الذي يرفد المبالغة عند الشعراء هو الخيال فمن خلاله يتمكن الشاعر من التعبير عن المعنى بطريقة تبتعد عن الواقع وتدنو من المحال، وذلك ما يثير المتلقي ويبعث في نفسه الدهشة والمتعة في آن))[3]، ولذلك يقال ان ((الجمال الفني هو تقليد الطبيعة تقليدا ايحائيا تمثيليا حيا، فعلى الفن ان ينشئ فينا عاطفة الحياة والحقيقة لا الوهم بهما فقط))[4]. ويجب ان لا يقوم بتقليد الطبيعة تقليدا اعمى يحوي جميع التفاصيل أي يجب ان يكون التقليد معبر عن العواطف التي يثيرها الموقف. لذلك يقال ((ليس غرض الفنان ان يحاكي الواقع محاكاة لا تصرف فيها، فينقل صور من الطبيعة أو من المرأة خلوا من عاطفته وخياله ولكنه يحاكي الطبيعة ويستخدمها ويضيف اليها.. والشاعر الذي يصف المرأة

---

[1] الصناعتين : 357.

[2] الغلو في صور الحب الشعرية، احمد اسماعيل النعيمي، جريدة العراق، الاربعاء 4 آذار 1998 : 3.

[3] البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الاموي: 104.

[4] تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري : 35.

على حالها بغير ان يضيف على وصفه من خياله وعاطفته مثله مثل المصور الذي يلتقط بالمصورة المنظر))[1].

ويبدو ان موضوعات المبالغة عند الشعراء العشاق كانت تنصب في اتجاهين:

الاول: هو المبالغة في اوصاف الحبيبية وتعظيم جمالها، وهذا يمثل الجانب المادي اوالحسي في شعرهم.

والثاني: هو سياقات شعر الحب التي تعبر عن حرقة الشوق والهوى وشدة الوجد واللوعة واللهفة. وهذه المبالغة تمثل الجانب المعنوي وهي سمة مميزة لشعر العشاق وهذا ما اكده قدامة في نعنت النسيب فقال:

((ان يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت عنه الادلة على التهالك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على افراط الوجد واللوعة))[2].

وقال ابو هلال العسكري (ت 395هـ) ((ان يكون النسب دليل التدله والتحير.. وقيل لبعضهم : ما بلغ من حبك لفلانة! فقال: اني ارى الشمس على حياطاتها احسن منها على حيطان جيرانها))[3].

ويبدو ان المبالغة في شعر الحب المعبر عن اللوعة والحرقة طبيعية لا تكلف فيها وذلك لعمق المعاناة وصدق التجربة التي كان يحس بها الشاعر العاشق في نفسه ازاء المحبوبة.

فالاشعار التي جاء بها الشعراء العشاق وعبروا من خلالها عن عظيم صفات المرأة كثير حيث كان للشاعر في ((نضارة وجه المرأة متعة نفسية وفي ابتسامتها محفز له على اقتحام الصعاب ، فاذا رضيت عنه شعر بان الدنيا بعرضها وطولها راضية عنه))[4].

وان الشعراء العشاق قد برعوا في تشبيه النساء والمبالغة في وصفهن فامرؤا القيس قد وصف ريق حبيبته وجعله مشوبا بالخمر والماء الصافي وريح الخزامي فقال:

---

[1] الغزل في العصر الجاهلي : 28.

[2] نقد الشعر : 134.

[3] الصناعتين: 131.

[4] المرأة في الشعر الجاهلي: 89.

كأنَّ المُدامَ وصوبَ الغمام وريحَ الخُزامَي ونشرَ القُطُرْ

يُعلُّ به بردُ أنيابها أذا طرَّب الطائرُ المستحرّ [1]

فان رائحة فم حبيبة امرئ القيس طيبة في الوقت الذي تتغير فيه رائحة الافواه. ولكن فمها بقي عذب الرائحة. وقال في هذا المعنى المرقش الاكبر:

وربّ أسيلةَ الخدين بكرٍ مُنعمةٍ لها فرعٌ وجيدُ

وفو أشرِ شتيتُ النبتِ عذبٌ نقيُّ اللونِ براقُ بردُ [2]

فانها مبالغة في وصف طيب الرائحة ومبالغة في وصف جمال الفم الذي هو نقي اللون. وان المرأة التي رفعها الجمال لها من ((المزايا والقدرات ما يعليها عن مرتبة البشر.. فهي اذ تبدو فجأة لعيني حبيبها، يبهره جمالها وجلالها فيبهت وينسى ما يريد منها))[3]. لذلك عظموا وبالغوا في جمالها فجعل عنترة ريق حبيبته خمرا ممزوجة بالعسل فقال:

وبين ثناياها إذا ما تبسّمتْ مديرُ مُدامٍ يمزُجُ الرّاحَ بالشَّهدِ [4]

ووصف قيس رائحة فم حبيبته بانه طيب ولا سيما في وقت الليل فقال:

يُطيفُ بها حرّانَ صادٍ ولا يرى إليها سبيلاً غير أن سيطالـعُ

بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً من الليلِ وأخضلَّتْ عليكَ المضاجعُ [5]

فالشاعر العاشق يحاول ان يخلص الاشياء من اسر الواقع ويمنحها بهجة وجمالا حيث كل شاعر ((يصوغ حبيبته بالصورة التي يريد ويهوى وهي بالتاكيد تغايير قليلا أو كثيرا صورتها في الواقع))[6].

فمثلا الشاعر العاشق لم يكتف بنعت وجه حبيبته بالبياض بل جعل خياله يذهب لجعل الوجه وضاء ومشرقا ومنيرا كما ينير المصباح في الظلام من ذلك ما صرح به امرؤ القيس قائلا:

---

[1] ديوان امرئ القيس: ق157/29.

[2] شعر المرقش الاكبر: ق875/2.

[3] الحب بين تراثين : 67.

[4] شرح ديوان عنترة: 61.

[5] عشرة شعراء مقلون: ق38/9.

[6] الرحلة في القصيدة الجاهلية: 167.

تُضيءُ الظَّلامَ بالعشاءِ كأنَّها منارةُ مُمسى راهبٍ متبتّلِ[1]

وقال ايضا:

يضيءُ الفِراشَ وجهها لضَجيعها كمصباحِ زيتٍ في قناديل ذُبَّالِ[2]

فان اشراق وجهها اضاء الفراش اثناء نومها بالليل وتلك مبالغة جميلة. وشبهوها بالدنانير في الاشراق، قال المرقش الاكبر:

النشَّرُ مسكٌ والوجوهُ دنا نيرُ وأطرافُ البنانِ عَنمْ[3]

ومنهم من جعل الحبيبة كالهلال في صورتها أو كالتمثال من ذهب في اشراقها من ذلك ما صرح به عبد الله بن العجلان:

غرَّاء مثلَ الهلالِ صُورتِها أو مثلَ تمثالِ صورةِ الذهبِ [4]

وقول عنترة:

أشارتْ إليها الشّمسُ عند غُروبِها تقولُ إذا أسوّدَ الدُّجى فاطلعي بعدي[5]

اذا يبدو ان الشاعر قد فاته ان الشمس لا تطلع بعد الغروب، فلو اختار البدر أو القمر ما كان له ان يخرج الصورة الى المحال أو المبالغة، فهو بهذا يحاول ان يعظم جمال حبيبته التي تشبه الشمس لبياضها وسطوعها.

وان هذه المبالغة التي نتلمسها في اشعار هؤلاء الشعراء العشاق قد اشتقت مادتها من الخيال الذي يعد المعين الذي يرفد الشاعر بمادته لان الشاعر يحاول ان يبتعد عن الواقع في صوره لذلك يقول ملارمي: ((ان تسمية الشيء في القصيدة معناه حذف ثلاثة ارباع النعيم الذين يتألف من غبطة الحزر التدريجي... فأنت اما ان تبرز حالة نفسية فتعمد الى التلويح بشيء حينا بعد حين واما ان تختار مقابل ذلك شيئا ما وتستخلص منه حالة نفسية بسلسلة من تفكيك الغموض))[1].

---

[1] ديوان امرئ القيس : ق17/1.

[2] المصدر نفسه: ق29/2.

[3] شعر المرقش الاكبر: ق885/10.

[4] تزيين الاسواق : 143.

[5] شرح ديوان عنترة: 61.

[1] دراسات فنية في الادب العربي: 300.

وان ((الخيال لا ينشئ تركيبات غير حقيقية وانما يظهر المعاني المخبوءة في الاشياء فعمله عمل التأويل يعمد الى اخفاء الظاهر واظهار الظاهر))[2].

اذا الخيال ((لا يجيء بجديد في المادة وانما يجيء بجديد في الصورة))[3].

ويظهر الخيال في ((ناحية التجميل والايضاح والتصوير في التشبيه والمجاز))[4].

وان الشاعر حينما يعمد الى الخيال لا يعمد اليه فقط عندما يريد المبالغة وانما يوظفه في رؤاه المعتدلة ايضا فالخيال مادة الشعر كله المعتدل والمبالغ.

وبما ان للمبالغة قيمة فنية معنوية في العمل الشعري فانها على الرغم من ذلك ((لا تأتي تحسينا وتزينا للكلام كما هو معروف من المحسنات المعنوية ولكن يقتضيها السياق الشعري وترتبط به ارتباطا عضويا لا محيد عنه في النص المبدع))[5].

وفي ضوء مبدأ ضرورة المبالغة في شعر الحب نجد ان الشعراء العشاق لم تقتصر لديهم المبالغة على تعظيم صفات المرأة المادية بل شملت الصفات المعنوية والخلقية، من ذلك ما صرح به المرقش الاكبر قائلا:

أينما كنتِ أو حللتِ بأرضٍ أو بلادٍ أحييتَ تلكَ البلادا [6]

ومنهم تراه عندما تمر ذكر حبيبته به يشعر وكأنما الارض تدور به وهو واقف وتلك مبالغة على عظيم ذكرى الحبيبة التي تمر بالشاعر من ذلك قول المرقش الاصغر:

---

[2] المصدر نفسه: 355.

[3] الاصول الفنية للادب: 92.

[4] المصدر نفسه: 10.

[5] البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الاموي: 107.

[6] شعر المرقش الاكبر: ق888/11.

صحا قلبهُ عنها على أنّ نِكرةً إذا خطرتَ دارتْ به ألارضِ قائما [1]

وهذا شعور عنترة فهو اذا ما اومض برق من سماء حبيبته خفق قلبه وارق ليله، واذا شم ريح الخزامي ذكره بنسيم بلادها ، فقال:

إذا خفقَ البَرقُ من حبّهم أرقتُ وبتُّ حليفَ السُّهادِ

وريحُ الخُزامي يُذكّرُ أنفي نسيمَ عَذَارى وذات ألاياديِ [2]

فهذه المبالغة التي يمر من خلالها عن المه وحزنه وشدة الوجد وحرقة الهوى، والخشوع والتوسل للحبيب تحاور الشعراء والعشاق عليها وغدت سمة مميزة لشعرهم فانهم حينما يحبون ((يتشربون العشق حتى سويداء الفؤاد))[3]. وهذا ما اكده امرؤ القيس قائلا:

أغرّكِ منّي أنَّ حُبَّكِ قاتلي وأنّكِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ

وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتقدحي بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ [4]

وهذه مبالغة في وصف فعل الحب في الحبيب فان هذا الحب قاتله وانها مهما تأمره سينفذ طلبها وان عيناها عندما تذرف الدمع فأنها تذهب بقلبه كله.

وقول:

فللهِ عينا من رأى من تفرُّقٍ أشتَّ وأنأى من فراقِ المحصَّبِ [5]

فهو عظم ويبالغ في امر الفراق وقد شبه حاله بحال فراق المحصب وهو موضع رمى الجمار بمنى، وانما ذكر فراق المحب لانه يرمى فيه من كل جهة ثم يتفرقون بعد انقضاء الحج، وبأخذ كل واحد منهم الى جهته، فلا فراق اشد منه.

وان عروة بن حزام يبدو الالم اقوى واعمق في نفسه فأن بكت اعين المحبين دمعا فعينه تبكي دما على فقد من يحب وذلك لما بلغت وطأة القهر بالشاعر العاشق:

---

[1] شعر المرقش الاصغر: ق535/2.

[2] شرح ديوان عنترة: 44.

[3] الغزل العذري دراسة في الحب المقموع: 189.

[4] ديوان امرئ القيس: ق13/1.

[5] المصدر نفسه: ق43/3.

أعفراءُ كم من زفرةٍ قد أذقتني وحزنٍ الحَّ العينَ بالهملانِ
وعيناي ما أوفيتُ نشزاً فتنظرا بمآقيهما ألا هما تكفانِ
فلو أنّ عيني ذي هوى فاضتا دماً لفاضتْ دماً عيناي تبتدرانِ[1]

وغدا عنترة متعلقا بحبه لدرجة انه يرى النعيم في قربها ويرى الشقاء في بعادها فقال:

نعيمُ وصلكِ جنّاتٌ مزخرفةٌ ونارُ هجركِ لا تبقي ولا تذرُ[2]

ويكاد يشترك العشاق في تجسيم مشاعرهم وكأنهم اسرى مع تأكيدهم انهم راضون بأسرهم ولا يريدون الفكاك منه، وان الآم الحب مهما قست وصبرهم مهما طال فهم لا يطلبون الخلاص لان الحب قدرهم وهم راضون به[3]. لذلك عبروا عن عفتهم واخلاصهم للحبيب حتى وان اتيح لهم اللهو فهم معرضون عنه ومن ذلك ما انشده مضاض الجرهمي قائلا:

عفيفٌ عن الفحشاءِ في كلّ حالةٍ إذا ما أبيحَ اللهو يوماً ازاءهُ[4]

وكذا فعل عنترة حينما صرح بأنه لا يريد من النساء غير عبلة وانه يعف عن سواها:

ولئن سألتَ بذاكَ عبلةَ خُبِّرت أن لا أريدُ من النساءِ سواها
وأجيبها إمَّا دعت لعظيمةٍ واعينها وأكفُّ عمَّا ساها[5]

فهو متمسك بحبها ولا يريد غيرها ويجيبها ان دعت لعظيمة نزلت بها فيعينها على دفعها.

وكذلك اوضح المرقش الاصغر انه لا يستطيع ترك من يحب وسيتبعها اينما ذهبت او حلت ، فقال:

أفاطمَ لو أنّ النساءِ ببلدةٍ وأنتِ بأخرى لا تّبعتكِ هائما[6]

---

[1] شعر عروة بن حزام: ق22/6.
[2] شرح ديوان عنترة : 66.
[3] الحب بين تراثين: 88-89.
[4] التيجان: 195.
[5] ديوان عنترة: ق308/25.
[6] شعر المرقش الاصغر: ق536/2.

ومن قبيل المبالغة هو ما قاله عروة بن حزام الذي اقسم مؤكدا عدم نسيانه حبيبته معبر عن ذلك في قوله:

فو اللهِ لا أنساكِ ما هبَّتِ الصبا وما عقبتها في الرياحِ جنوبُ
فواكبداً أمست رُفاتا كأنـما يُلذِّعها بالموقداتِ طبيبُ[1]

فهذه المبالغة في الحب متأتية من شدة الشوق والصبابة والهيام عند الشعراء العشاق وهناك فكرة تتردد في جوانب الشعر العربي اتكأ عليها الشعراء وتعاوروا عليها في اشعارهم وهذه الفكرة تتصل بالنسيب والحب وهي نحول العشاق حيث نجد فيض من الاشعار التي تصف النحول والتفنن في التعبير عنه فالشاعر في بعض الاحيان يدعى النحول ليسترحم حبيبته وان المبالغة كانت هي الشكل المعتمد في هذا المضمار أي مضمار وصف النحول وكثر الهوى لدى الشعراء العشاق ولا يقف الامر عند المبالغة البسيطة وانما يعمد الشاعر الى الاتيان بالصور البديعية الطريفة ولو ابتعدت عن الواقع كل البعد[2].

من ذلك ما انشده المرقش الاكبر:

أغالبكَ القلبُ اللَّجوجُ صبابـةً وشوقاً إلى أسماءِ أم أنتَ غالبهُ؟
يهيمُ ولا يعيا بأسماءِ قلبـهُ كذلك الهوى أمرارهُ وعواقبـهُ
وأسماءُ همُّ النفسِ أن كنتَ عالماً وبادي أحاديث الفؤادِ وغائبـهُ
إذَا ذَكرتها النفسُ ظلتُ كأننـي يزعزعني قفقاف وردٍ وصالبهُ[3]

وقال امرؤ القيس:

فبتُّ أكابد ليل التِّمـا م والقلبُ من خشيةٍ مُقشعرّ[4]

فقد بات اطول ليلة من ليالي الشتاء ساهرا مغموما يقاسي آلم الحب وعبر عنترة عن حبه بانه يرمى قلبه باسهم من الشرر فقال:

يا عبلَ نارُ الغرامُ في كبـدي تَرمي فُؤادي بأسهمِ الشَّررِ[5]

---

[1] شعر عروة بن حزام : ق30/9.

[2] انظر دراسات فنية في الادب العربي: 90-92.

[3] شعر المرقش الاكبر: ق888/12.

[4] ديوان امرئ القيس: ق158/29.

وقد وصلت المبالغة بعنترة الى انه اذا استلزم شفاءها ان يكون دواءها دمه لفعل فقال:

وأحبَّ ان أشفيكِ غير تملقٍ والله من سقمٍ أصابكِ من دمي [1]

اما عروة بن حزام فعبر عن الالم الذي يحسه نتيجة حبه وان لا شفاء له من هذا الحب مهما وصفوا له من دواء فانشد:

على كبدي من حبِّ عفراءَ قرحةٌ وعيناي من وجدٍ بها تكفانِ

...

فما تركا من رُقيةٍ يعلمانـا ولا شربةٍ، ألا وقد سقيانـي

فما شفيا الدَّاءَ الذي بي كلَّـهُ وما ذخرا نُصحاً ، ولا ألوانـي[2]

وان أي فراق بين العاشقين يحيل الحب الى مرض وذلك لان الشاعر العاشق يتسم الحب لديه ((بالديمومة والسرمدية))[3]. ومن ذلك ما قاله عبد الله بن علقمة:

إذا غُيبتْ عنّي حُبيشةُ مرةً من الدَّهرِ لم أملكِ عزاءً ولا صبرا

كأنّ الحشى حرُّ السَّعير يَحُشّهُ وقودُ الغضى والقلبُ مستعـرا[4]

فهو قد بالغ في وصف حاله ان فارق الحبيب وجعل قلبه مثل الجمر الذي يستعر في النار.

اما اذا راود الحبيب ذكر الحبيبة فأن ذلك وقع اخر في نفس الشاعر فشعورهم بالاضطراب والحيرة والدهشة في بعض الاحيان وعبر المرقش الاصغر عن ذلك قائلا:

صحا قلبهُ عنها على أنَّ نِكـرةً إذا خطرت دارتْ به ألارضَ قائما

ألا يا آسلمى ثم أعلمي أن حاجتي أليكِ، فَرُبّي ، من نوالكِ فاطما[5]

---

[5] شرح ديوان عنترة: 76.

[1] جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام: 439/2.

[2] شعر عروة بن حزام: ق12/2-14.

[3] الغزل العذري94.

[4] الاغاني (طبعة دار الكتب) : 281/7 ، وانظر تجريد الاغاني، 910/2.

[5] شعر المرقش الاصغر: ق534/2-536.

فهو يعبر باسلوب مبالغ وجميل عن ان الارض تدور به اذا ما تذكر من يحب وانه لا يستطيع البعاد عنها لذلك يطالبها بالرفق به.

اما عروة فقال:

وأني لتعروني لذكراكِ رعدةٌ لها بين جسمي والعظامِ دبيبُ

وما هو إلا أن أراها فُجاءةً فأبهتَ حتَّى ما أكادُ أجيبُ

وأصرفُ عن رأي الذي كنتُ أرتأي وأنسى الذي حُدّثْتُ ثمَّ تغيبُ[1]

وتظهر المبالغة واضحة لدى عروة بن حزام حين يؤكد انه لا ينسى حبيبه ويتذكرها في كل وقت حتى عندما يرى الشمس فقال:

فلستُ برائي الشَّمسِ ألاّ ذكرتُها وآل إليّ من هواكِ نصيبُ

ولا تُذكرُ ألاهواءُ ألاّ ذكرتُها ولا البُخلُ الا قلتُ سوفَ تثيبُ[2]

ومن المبالغة استطالة الشاعر العاشق ايام البعاد وان قصرت، من ذلك ما صرح به قيس بن الحدادية قائلا:

وحسبكِ من نُأي ثلاثةِ أشهر ومن حزنٍ أن زادَ شوقكِ رابعُ[3]

ومن المبالغة ايضا ذكر الشاعر للموت وبأنه لا يموت سوى العاشق في هذه الدنيا فقال المرقش الاكبر:

واذا ما سمعتِ من نحو أرضٍ بُمحبّ قد ماتَ أو قيلَ كادا

فأعلمي- غير علم شك- بأني ذاك ، وأبكي لمصفدٍ أن يفادا[4]

وهذا ما يراه عروة بن حزام ايضا من حيث ان مصير كل عاشق هو الموت وان بقاءه هو الشيء الغريب والعجيب:

وما عجبي موتُ المحبينِ في الهوى ولكن بقاءُ العاشقين عجيبُ[5]

وقد تصل مبالغة الشاعر العاشق بان يجعل حبه فوق حب الجن والانس معا:

---

[1] شعر عروة بن حزام: ق28/2.

[2] المصدر نفسه: ق30/2.

[3] عشرة شعراء مقلون: ق38/9.

[4] شعر المرقش الاكبر: ق888/11.

[5] تزيين الاسواق: 85/1.

لو أنّ أشدَّ الناسِ وجداً ومثلــهُ من الجنِ بعد ألانسِ يلتقيانِ

فيشتكيانِ الوجدِ ثُمَّتَ أشتكي لاضعف وجدي فوقَ ما يجدانِ[1]

وبعض الشعراء ذهب الى اكثر من ذلك بأن جعل جل مبالغته ينصب في وصف بطولته واقدامه وتحديه امام من يحب، ويصور نفسه بصورة يكاد الفكر ينفرها لشدة ما فيها من مبالغة من ذلك ما قاله ابو نصر البراق:

لأفرجَنَّ اليومَ كُلَّ الغُمـمِ من سبيهم في اللّيل بيضِ الحرمِ
صبراً الى ما ينظرونَ مُقدمي أنّي أنا البَّراقُ فوقَ ألادهـمِ
لأرجعنَّ اليومَ ذاتَ المبسمِ بنتَ لُكيزَ الوائلي ألارقـمِ[2]

فهو يصرح بأنه سيزيل كل هم وغم وذلك عندما يسترجع السبايا ويستوعد الاعداء وينتظرون مقدمه وهو ممتطي جواده الادهم لانهم سيفاجأون بقوته وبطولته.

اما بشر بن عوانة فقد صور نفسه بصورة الاسد عندما واجه الاسد في طريقه فقال:

أفاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشـرا
إذاً لرأيتِ ليثاً زار ليثـاً هزبراً لأغلباً لاقى هزبـرا[3]

وان الشعراء العشاق قد صاغوا صورا مختلفة لاحوالهم ومشاعرهم واحاسيسهم من خلال اشعارهم من ذلك ان يحمد الشاعر صبره وتجلده ومبالغا فيه وانه قادر عل مواجهة الالم نظير ذلك ما قاله عنترة:

إذا رشقتْ قلبي سهامُ من الصدِ وبدَّلَ قُربي حادث الدّهرِ بالبعـدِ
لبستُ لها درعاً من الدهرِ مانعا ولاقيتُ جيشَ الشوقِ مُنفرداً وحدي[4]

اما عروة بن حزام فقد شبه صبره وتجلده بالجبال ويستعين بالله على تحمل الصعاب فقال:

تحمّلتُ من عفراءَ ما ليس لي به ولا للجبالِ الرّاسياتِ يـدانِ
فيا ربّ أنتَ المستعانُ على الذي تحملتُ من عفراءَ منذُ زمانِ[1]

---

[1] شعر عروة بن حزام : ق24/7.

[2] شعراء النصرانية: 145.

[3] شرح مقامات بديع الزمان : 462-463.

[4] شرح ديوان عنترة: 56.

ويتضح مما تقدم ان اختلاف موضوعات واساليب المبالغة يعود كله الى سبب مهم وهو ان المعشوقة كانت ((شغل حبيبها الشاغل، فلا يفكر الا بها، ولا يرى او يسمع ما عداها))[2]. وان صورة المرأة في الشعر الجاهلي((مثالية دائما حتى لتقرب ان تكون وثنا يعبد ... وقد غالوا في حرصهم عليها مكنونة ، ونادرا ما وصفوها وصفا حقيقيا يعكس واقعها بل يوجد مثال دائم للجمال يتفق عليه في كل جزئياته))[3].

وان الشاعر العاشق قد اتخذ للحبيبة في ((سويداء قلبه وطنا وجعل لها سكنا))[4]. وعلى الرغم من استخدام المبالغة لدى العديد من الشعراء العشاق بخاصة ولكننا نجد ان بعضهم قد جنح الى صدق مشاعره فكانوا لا يعدلون عن الحقائق ويصوغون خيالاتهم ومشاعرهم من غير زيف ولا تزوير فهذه هي القاعدة العامة التي تمنع ان نجد لها خروجا يخالف ما ينادي به نقاد الخطاب الشعري[5].

واخيرا نشير الى ان باعث هذه المبالغة في اشعار الشعراء العشاق التي بدت واضحة في الاشعار المعبرة عما يكابده الشاعر من وجد وهيام وعشق نحو المرأة الحبيبة هو ((ان الشاعر ما سمي بهذا الاسم الا لكونه يشعر بما لا يشعر به غيره وذلك يسوغ ان يعده النقاد انه ولج ابواب الغلو والمبالغة والافراط والاغراق في تصوير مظاهر الاشياء واثارته العاطفة))[6]

---

(1) شعر عروة بن حزام : ق13/2.

(2) الحب بين تراثين : 70.

(3) الادب العربي في العصر الجاهلي: 37.

(4) الحب عند العرب : 22.

(5) انظر الاصول الفنية للشعر الجاهلي: 80.

(6) الغلو في صور الحب الشعرية : 3.

۞ الاختيارين ، الأخفش الأصغر (ت 315 هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق، 1394 هـ – 1974م.
۞ اللألي في شرح آمالي القالي، ابو عبيد البكري الاوبني (ت 487هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1354هـ –1936م.
۞ شعر عروة بن حزام، تحقيق د. ابر أهيم السامرائي و د. احمد مطلوب، نشر في مجلة كلية الآداب ،–جامعة بغداد، العدد التاسع ، حزيران 1961م.
۞ شعر المرقش الأصغر، صنعه د. نوري حمودي القيسي، مستلة من مجلة كلية الآداب العدد الثالث عشر.
۞ شعر المرقش الاكبر، د. نوري حمودي القيسي ، مجلة العرب السعودية،– الجزء السادس، السنة الرابعة 1970م.
۞ الصناعتين، الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395 هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1371هـ – 1952م.

الخاتمة

لقد آن لنا ان نضع نهاية لدراستنا فان لكل بداية نهاية ولكل عمل خلاصة وختام، بغية ان نكشف عما حققته هذه الدراسة من نتائج موجزين إياها في السطور الآتية:

ان الحب حتى العشق الذي تحدثنا عنه يعد الرافد الثر الذي يظلل اريجة الندي مشاعر الإنسانية ليمنحها سر البقاء ويمكنها من السعي والاجتهاد ومواجهة الصعاب، وليس هناك أدل وأروع على هذا الحب الإنساني من قصص الشعراء العشاق في العصر السابق للإسلام.

1- أما محصلة النتائج التي توصلنا إليها من خلال (التمهيد) فهي التعرف على مفهوم العشق بمعناه اللغوي والاصطلاحي بعد الاعتماد على عدد من المعجمات والمصادر التي توضح هذا المفهوم. وخلاصته: ان العشق هو فرط الحب وتجاوز حد المحبة ويقال رجل عشيق أي كثير العشق ، وقد سمي العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل شجرة العشقة إذا قطعت.

ويتبين ان العشق يمثل أعلى درجات المحبة وان مجمل مستويات المحبة مندرجة فيه مثل الشوق والوجد والغرام لأنه يشتمل على جميعها.

وتبين لنا ان العشق مراتب ومرادفات حيث أفضى ذلك الى اختيار أسماء كثيرة له اختصرها بعضهم في سبعة أو ثمانية أسماء وارتفع بها آخرون الى خمسين او ستين اسما.

وقد اختلفت آراء العلماء في تحديد عدد مرادفات العشق وذلك كل حسب وجهة نظره فقد عزي بعضهم كثرة الترادف إلى انه كلما ازداد اهتمام الإنسان بشيء معين وضع له مسميات كثيرة سواء أكانت قريبة ام بعيدة عنه.

أو أن يكون الترادف ناتجا عن اهتمام العلماء والباحثين بالألفاظ ذات الطابع الوصفي التي تدل على مستوى او درجة من مستويات العشق أو درجاته من خلال استقصاء الدلالة المعجمية للفظة محاولين الربط بينها وبين الدلالة الاصطلاحية التي اكتسبتها اللفظة من تداولها مع قرائن ملازمة لها وبذلك تصبح مرادفة لها.

ونتيجة لهذه الأسباب نلاحظ ان بعضهم قد ذهب إلى رفض فكرة الترادف وذلك من منطلق ان لكل لفظة منها تدل على رتبة ما من مراتب العشق.

- لقد حاولت – ان جاز التعبير – الدراسات التي تعرضت لمصطلحات العشق ان ترسم سلما تصاعديا عاطفيا لتلك المترادفات ولكن على الرغم من ذلك لم تتفق تلك الآراء على حسم مشكلة تسلسل تلك الألفاظ وذلك لكونها متداخلة الدلالة. فقد رتبها بعضهم في أربع مراتب وهذا كان ترتيب الجاحظ أما محمد بن داود فقد جعل السلم التصاعدي في سبع مراتب وابن الجوزي يجعلها في ثماني مراتب أما ابن قيم الجوزية فقد بلغت لديه المراتب خمسين اسما ولكن من دون ترتيب بعينه. فضلا عن آراء متعددة كثيرة متباينة.

ولكن من الواضح ان ترتيب العلماء لتلك المصطلحات اعتمد على الأصل اللغوي لألفاظ العشق في حين اعتمد آخرون على معايير أخرى. لذلك تداخلت الدلالات واضطربت المراتب.

- أما بواعث العشق فذلك أيضا دخل فيه التباين فنجد طائفة قد عزت هذه الظاهرة إلى بواعث داخلية كامنة في ذات الإنسان مرجعها تركيبه الخلقي والجسمي وذلك كان رأي الفلاسفة والحكماء والأطباء. فهم متفقون تقريبا على رأي ان العشق من فعل النفس وهو كامن في الدماغ والقلب والكبد وكلما قوي ازداد صاحبه في اللجاج وشدة القلق وان حدوث العشق لا يكون الا بازدواج النفسين نتيجة تشاكل النفوس وتمازج في الطباع المخلوقة.

وهناك طائفة أخرى عزت هذه الظاهرة إلى بواعث خارجية ، من حيث ان القلب ليس وحده دائما مركز العشق بل تشاركه الحواس الأخرى كالبصر والسمع واللمس وذلك لان النفس حسنة تولع بكل شيء حسن، فالعشق هو ميل طبيعي في الإنسان نحو الأشياء الجميلة الحسنة ، لذلك نجد من عد العشق معاناة وذلك تبعا للنظر ، ثم ينكشف للعاشق من خلال النظر خصال وجمال المعشوقة. وبعضهم قد ارجع دوافع العشق إلى بواعث اجتماعية او بيئية ذات صلة بحياة الفرد.

ويتضح لنا من خلال هذا الباعث - على سبيل المثال لا الحصر - ان عشق الأعراب راجع إلى فراغه الطويل الذي لم يجدوا وسيلة يقطعونه ويقتلونه بها غير العشق. وهذا ما أكده الجاحظ وداود الأنطاكي في هذا الجانب.

- ❖ وأخيرا فان خلاصة ما خرج به التمهيد هو ان عاطفة العشق ليست سوى صلة طبيعية بين الذكر والأنثى وهذه الصلة تختلف بدورها بين كل شخصين باختلاف مزاجهما وطبائعهما وتأثرها بالمجتمع وتقاليده المتوارثة ومشاعره النفسية.

2-أما حصيلة (الفصل الأول) فقد تمثلت في عرض لقصص العشاق وإبراز الملامح المشتركة والسمات البارزة بينهم من خلال قصصهم فتبين ان تلك القصص تكاد تتشابه في العموم وتختلف في التفاصيل، فالشاعر تقع عينه على فتاته فيعشقها ثم يقول فيها شعرا تتناقله الركبان ثم يخطبها من أهلها فيرفضون وربما يتم الزواج بين العاشقين ولكن قد يحدث طارئ يفرق بينهما فلا يزيد العاشق إلا حبا وهياما.

- ❖ والملاحظ على قصص الشعراء العشاق هو التوحد في الحب وذلك ان يختار الشاعر امرأة بعينها ويبقى محبا لها وهذا يمثل نوعا من ألوان التماسك الروحي بين الشاعر العاشق والمعشوقة، لذا نجد ان اغلب قصص الشعراء العشاق تنتهي نهايات حزينة وذلك لموت العاشق - أحيانا - وهذا راجع إلى عدم ظفر الشاعر بمن يحب لأسباب كثيرة منها الأعراف والتقاليد او زواج الحبيبة بغير من تحب.

لقد تبين من خلال قصص العشاق انهم كانوا يتعرضون إلى صعاب كثيرة تكدر عليهم صفوة عيشهم منها الوشاة والمفترين والأجراس والرقباء الذين عانى منهم عدد كبير من الشعراء.

- ❖ فضلا عن تأكيد حقيقة مهمة اتضحت معالمها من خلال استقراء قصص العشاق هو ان العذرية لا ترتبط بعصر محدد فهي مرحلة تتولد نتيجة الظروف التي يعيشها المجتمع لذلك فان النواة الأولى لبروز هذا النوع من العشق كان في العصر الجاهلي لا الأموي ولكن يبدو ان شهرة العشاق الجاهليين لم تبلغ من السعة التي حضي بها العشاق الأمويون . إذا العشق وقصص الغرام في العصر الأموي وما تلاه ما هو إلا امتداد للعصر الجاهلي.

وأخيرا يتبين لنا من خلال هذا الفصل تشابه اغلب قصص الشعراء العشاق في حبهم لابنة العم، ويغدو عشقا يسمو عن الابتذال والإسفاف فهو حب عذري بابهى صورة حتى دخلت بعض قصص العشق في عداد الأساطير.

3-أما حصيلة (الفصل الثاني) بمباحثه الخمسة فقد تمثلت بتحديد مكابدات العاشق فدللت تلك المكابدات على عمق المعاناة التي كان يحس بها الشاعر العاشق إزاء من يحب فضلا عن غزارة وجدانهم وخصوبة خيالهم.

ويتضح لنا ان من أهم الأسباب التي تولد المكابدة لدى الشاعر العاشق هو وقع الظلم الذي يلحق به ويمكن ان ندرج تحته كل أنواع المعاناة التي عاناها في ظل تجربته العاطفية. مع اختلاف أساليبهم ووسائلهم في التعبير عن تلك المعاناة ، فمنهم من وجد في البكاء سبيلا لإظهار المعاناة ، وآخر اتخذ الشكوى منفذا له، وراح بعضهم يمني النفس بالأمل والتفاؤل والأقدام والتحدي تعبيرا عن معاناته ، فكل ذلك يمثل رؤيا صادقة لما يعاني.

- ❖ لقد زخر الشعر الجاهلي بعامة والعشاق بخاصة بمقدمات تتدفق بالحياة وجعلوها ركيزة مهمة استند إليها الشاعر العاشق للتخفيف عن معاناته وهمومه وحرمانه ممن يحب ويحاول من خلالها التصريح بحاجاته ويبث فيها لواعجه وحبه. ومن تلك المقدمات الطلل ، رحلة الظعن، طيف الخيال وغيرها. وفي كل تلك المقدمات تظهر رنة الحزن واضحة يحاول من خلالها ان يعبر عن صدق تجربته والوفاء بعهوده.
- ❖ ولقد تبين لنا ان هناك عوامل وأسباب مهمة تساعد على تولد المعاناة عند الشاعر منها، العامل البيئي وهذا يرجع الى طبيعة الحياة الصحراوية التي كان الشاعر الجاهلي يعيشها حيث فرضت عليه الترحال والتنقل المستمر من مكان إلى آخر من اجل العشب والماء وهذا بالطبع يؤثر في حياة الشاعر العاشق المسبب رحيله عن المعشوقة وابتعاده عنها- أحيانا - إلى الأبد لذلك تردد لدى الشعراء الشكوى من الحرمان وضن الوصال وخلف الميعاد ومن ثم يؤدي إلى يأس الشاعر المفضي به - في بعض المواقف - الى الموت في نهاية المطاف. وذلك ما أفصحت عنه مقدمات الطلل ورحلة الظعن والنسيب ليعبر به عن هذا الرحيل.

أما العامل الآخر فهو الباعث الاجتماعي الذي أدى بالشاعر إلى تكبد المعاناة وولدت لديه الألم والتحسر ، حيث ان المجتمع الذي يحيط به قلما يؤيده في عشقه بسبب الأعراف والتقاليد في جهة واشتهار هذا العشق على الملأ من جهة أخرى. لان الحياة الجاهلية كانت تحرم على الفتى الزواج بالفتاة التي تغزل بها أو

افتضح أمر حبه لها لذلك ارتبط لديه الحب بواقع اجتماعي صارم ينتهي به إلى الفراق الأبدي وعدم الظفر بالمحبوبة.

أما القيد الأخر الذي يتضمنه الباعث الاجتماعي هو الرقباء والأحراس الذين يعدون الخطوات على العشاق المحب فيقفون حجر عثرة في طريقه وهم يعدون من آفات الحب التي يتعرض لها العاشقون ويسببون لهم القلق والتوجس والخوف ويجب ان لا ننسى ما للوشاية من دور فقد كانت وطأتهم اشد وأمر على العاشق. وهذا الأمر فرض على الشاعر الاحتراز منهم لتجنب الفضيحة والوشاية، إذا الشاعر العاشق كان ينطلق في قصيدته من دوافع نفسية يستوحيها ولا يقتصر على تقاليد فنية بطبعها.

أما الباعث الأخير الذي يولد المكابدة عند الشاعر العاشق هو الباعث النفسي، فهو متعلق بذات العاشق وما يشعر به من قلق إزاء من يعشق لإحساسه بالغربة والضياع المتولد في داخله. لذلك نجد ان العشق لا يتخذ مظهرا واحدا فهو هادئ عند بعضهم وثائر عند آخرين. حيث ان بعض النفوس تحاول ان تخضع مشاعرها لسيطرة العقل فتجعلها هادئة وبعض النفوس تتحرر من سيطرة العقل لذلك تكون ثائرة متمردة .

❖ لقد استطاع الشاعر العاشق ان يعبر عن عاطفته ومعاناته بأساليب متباينة منها الإقدام والتحدي وسيلة لعرض عشقه فالعربي بطبيعته محب للفروسية والشجاعة والحرب وما هذه إلا صور من صور الحب، ولون من ألوانه. ويجب ان لا ننسى ما للبيئة الصحراوية من اثر في بلورة تلك الخصال.

ثم إن الأغراض التي عمد إليها الشاعر العاشق في شعره لم تكن في كثير من الأحايين قاصدا إليها قصدا، بل كانت روح الحب وعواطف الهوى هي التي تحركه وكانت هذه الأغراض تتصل بالغزل بهذا السبب او ذاك فالتغني بالشجاعة والإقدام عند بعضهم لم يكن بعيدا عن روح الغزل التي ينشدها في شعره.

لقد حاول الشاعر العاشق ان يستقي صوره وأخيلته ومعانيه من الجمال والطبيعة المحيطة به، فبعد اليأس الذي رمز له بالطلل تتفتح له بوارق الأمل والتفاؤل لذلك اتخذ جمال المرأة رمزا لأمله. على الرغم من ان الشاعر العاشق كان يرى في قصة

عشقه ومأساتها ما يقض مضجعه لكن ذلك لا يعني انه أهمل صورة أنوثتها وجمالها وإنما كان يمزج بين جمالها الجسدي والروحي مما جعلها جديرة بعشقه الأبدي المتفرد المتسم بالصدق والوفاء والإخلاص.

4-أما ما تضمنه (الفصل الثالث) الذي خصص لدراسة (التشكيل الفني في خطابات الشعراء العشاق) من خلال محاوره المختلفة، ففي مبحث الخصائص اللفظية والمعنوية يتبين ان أسلوب هؤلاء الشعراء قد تميز بالرقة واللطافة والجزالة وهي صفة لشعر الغزل وشعر العشاق بخاصة. وهي صفة قد أكدها العديد من الأدباء والنقاد القدماء أمثال قدامة بن جعفر، والقاضي الجرجاني ،وابن رشيق القيرواني وغيرهم.

وكان للبيئة اثر في شعر الشاعر ألفاظه ومعانيه ، وذلك يرجع إلى اختلاف الطبائع تركيب الخلق فلا يمكن فصل قصيدة الشاعر العاشق عن البيئة التي يحيا في ظلها.

- والملاحظ على أشعار العشاق هو اشتراكهم بترديد ألفاظ بعينها وذلك راجع لتوحد تجاربهم العاطفية تقريبا في مضامينها وأبعادها فترددت لديهم ألفاظ دالة على مضامين القلب والحب والهوى والعشق والوجد والهيام والصبابة والتبل فضلا عن ألفاظ الشكوى والحرمان والألم والعذاب والقتل والمرض والأجراس والوشاية. وما يستخدم منها للإفصاح عن الآم العشق مع الأساليب التي تعبر في اصل وضعها عن انفعال الشاعر المتألم مثل ، الاستفهام والنداء والقسم والاستغاثة وغيرها مع اتصاف أشعارهم- في الأغلب الأعم - بالوضوح والسلاسة في الخيال والأفكار فكانت بعيدة عن الإغراق والاتجاهات الفلسفية إلى جانب الصدق في معانيهم وذلك لأنها الشاعر العاشق يعبر عما يشعر به حقيقة لما يختلج في نفسه ولا يتكلف فيها.
- أما مبحث السرد والحوار فقد بدا من خلالهما ان شعر العشاق كثيرا ما يجنح إلى الأسلوب القصصي محاولين ان يصفوا من خلاله لقاءهم مع من يعشقون ويذكرون ما دار في اللقاء من أحاديث وحوارات وذلك لان الأسلوب القصصي يعد

مجالا متاحا أمام الشاعر العاشق. ولقد سرد لنا العديد منهم حكاياتهم مع من يعشقون بأسلوب قصصي مثير.

❖ ويلاحظ على القصص التي سردها لنا الشعراء العشاق بأنها قد تنوعت وشملت حكايات الظعن والبطولة والفروسية فضلا عن السرد الذي يتضمن وصف حكايات الحب التي تأججت بين قلوب هؤلاء العشاق.

ولعل عنصر الحوار ابرز ظاهرة فنية في الاتجاه القصصي لجأ إليه كثير من الشعراء العشاق في تجربتهم الشعرية بوصفه عاملا يضفي على الشعر حيوية وذا اثر في رسم الشخصيات ، وان استخدام الحوار كان لدوافع شتى منها لتأكيد معايير البطولة والشجاعة أو إثبات عواطف العشق والغرام والحب. فضلا عن كونه يعكس لنا ارتباط الحوار بالحالة النفسية للشاعر.

❖ وفي معرض دراستنا للصورة الفنية في خطابات الشعراء العشاق توضح لدينا ان الشعراء الجاهليين لم يكونوا ماديين في وصفهم للمرأة فقط، بل عنوا بالجمال المعنوي والنفسي أيضا، لذلك قدروا جمال المعشوقة ماديا ومعنويا وصورا عشقهم لها وحنينهم إليها وتقديرهم لجمالها الخلقي والخلقي في آن واحد.

مع تغلغل عدد غير قليل من المحسنات اللفظية والمعنوية التي تشمل التشبيه والاستعارة والكناية لما لهذه الوسائل من قدرة على تحريك الإحساس والخيال تجاه تلك الصورة المرسومة.

فقد شبهوا المعشوقة بالشمس والبدر والغزال محاولين ان يستمدوا من البيئة اجمل ما فيها ويلحقون جمال المعشوقة به دليلا على حبهم وصدق عاطفتهم.

وأخيرا يتبين لنا من خلال استقراء دواوين الشعراء العشاق ان المبالغة وان وصلت إلى – مستوى الغلو – قد ترددت في بعض صورهم ومعانيهم إذ المبالغة ظهرت واضحة وذلك لأنها تعبر عما يكابده الشاعر من وجد وهيام وصبابة وعشق لمن يجب محاولا من ذلك ان يجسم تلك المشاعر والأحاسيس الوجدانية التي تختلج نفس الشاعر العاشق.

❖ ولقد اتخذت المبالغة لدى الشعراء العشاق اتجاهين الأول اهتم في وصف جمال الحبيبة وتعظيم ذلك الجمال وبلوغ أعلى الدرجات والثاني وصف حرقة الشوق والهوى وشدة اللهفة التي يحس بها الشاعر نتيجة تجربته العاطفية الأليمة.

وختاما نود القول ان هذه الدراسة عالجت العشق الذي ينبئ عن سمو العاطفة وصفاء النفس للشعراء الذين حلقوا في سماء الخيال الرفيع والوجدان الحي.

فأن أصبنا فذلك مبتغانا وحسبنا الله انه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع

اولا : المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري ، د. منصور عبد الرحمن، القاهرة ، 1397 هـ - 1977 م .
- أدب العرب في عصر الجاهلية ، د. حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت، 1404 هـ - 1984م.
- الأدب العربي في العصر الجاهلي ، محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف الجامعة ، الإسكندرية - مصر ، 1985م.
- الأدب القصصي عند العرب ، موسى سليمان ، مطبعة دار الغد ، الطبعة الثانية ، بيروت ، 1956م.
- الأزمنة والأمكنة ، ابو علي المرزوقي الافهاني (ت 421 هـ)، مطبعة مجلس دار المعارف الكائنة في الهند - حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى ، 1332هـ.
- أساس البلاغة، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، دار صادر ، بيروت ، 1399هـ - 1979م.
- وطبعة مصر في مطابع الهيئة المصرية العامة ، الطبعة الثالثة ، 1985م.
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) ، وعلق على حواشيه احمد مصطفى المراغي بك ، مطبعة الاستقامة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1367هـ - 1948م.
- الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر ، الطبعة الأولى ، 1955م.
- الأسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام، د. احمد إسماعيل النعيمي، دار سينا للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1995م.
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ابو بكر محمد بن هشام الخالدي (ت 380 هـ) وأبو عثمان سعيد بن هشام الخالدي (ت 390

هـ) ، تحقيق محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1965م.

۞ الاشتقاق ، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت 321 هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الثانية، 1399هـ - 1979م.

۞ الاصمعيات ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت 216هـ)، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية، 1964م.

۞ الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، مطبعة العلوم ، القاهرة ، 1368هـ - 1949م.

۞ الأصول الفنية للشعر الجاهلي، د. سعد إسماعيل شلبي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1982م.

۞ الأعلام ، خير الدين الزركلي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1389هـ - 1969م.

۞ الأغاني ، ابو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (ت356 هـ) ، مطبعة دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، 1971م.

وطبعة اخرى مصورة عن طبعة دار الكتب مطابع كوستانسوماس وشركاه ، القاهرة.

۞ الأمالي ، ابو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت 310هـ) ، عالم الكتب ، بيروت، مكتبة المتنبي ، القاهرة. د.ت.

۞ الأمالي ، ابو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1344هـ - 1926م.

۞ أمير الشعراء في العصر القديم، محمد صالح سمك ، مصر 1932م.

۞ إنتاج الدلالة الأدبية، صلاح فضل، القاهرة ، الطبعة الأولى، 1987م.

- الإيضـاح فـي علـوم البلاغـة (المعـاني والبيـان والبـديع) مختصـر تلخـيص المفتاح ، الخطيب القزويني (ت 739 هـ) ، تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، مطبعة السنة المحمدية ، مصر، د.ت.
- البديع ، عبد الله بن المعتز (ت 296 هـ) ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1364 هـ - 1945م.
- البرهان في وجوه البيان ، ابو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، تحقيق د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد ، الطبعة الأولى 1386 هـ - 1967م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق ، د.كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ – 1987م.
- البنـاء الفنـي للقصـيدة العربيـة، محمـد عبـد المـنعم خفـاجي، دار الطباعـة المحمدية بالازهر، القاهرة ، الطبعة الأولى. د. ت.
- البيان والتبيين ، الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر (ت255 هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني، مصر، الطبعة الخامسة 1405 هـ – 1985م.
- تاج العروس في جواهر القاموس، محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت 1205 هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان ، د. ت.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، المطبعة الجونية، لبنان 1967م.
- تاريخ الأدب العربي، احمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، القاهرة ، الطبعة الثالثة والعشرون ، د. ت.
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، الطبعة الثالثة، 1960م.
- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، 1960م.

- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1385 هـ – 1965 م.
- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د. نوري حمودي القيسي، و د. عادل جاسم البياتي، ود. مصطفى عبد اللطيف، دار الحرية للطباعة، بغداد ، 1399 هـ – 1979م.
- تاريخ العرب مطول ، د. فيليب حتي، ترجمة د. ادورد جرجي، و د. جبرائيل جبور، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع – بيروت، الطبعة الثالثة 1961م.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ابن حجر العسقلاني احمد بن علي (ت 825 هـ) ، تحقيق علي محمد اليجاوي، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، د. ت.
- تجريد الأغاني، ابن واصل الحموي (ت 697 هـ)، تحقيق د. طه حسين، وإبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة، 1374هـ – 1955م.
- تزيين الأسواق في أخبار العشاق، للعلامة داود الانطاكي (ت 1008هـ)، دار حمد ومحيو ، الطبعة الأولى 1972م.
- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس الى ابن أبي ربيعة، د.شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الخامسة، د. ت.
- التنبيه والاشراف، ابو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي (ت 345هـ)، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1893م.
- تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت 370 هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، وراجعه محمد علي النجار، دار القومية العربية للطباعة – مصر 1384هـ – 1964م.
- التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى 1347 هـ.

- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ، د.ت.
- جمهرة الامثال، ابو هلال العسكري (ت 395هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة، الطبعة الأولى 1384 هـ – 1964م.
- جمهرة انساب العرب، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456 هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة 1391 هـ – 1971م.
- جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري (ت 321 هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى 1345هـ.
- الحب بين تراثين، ناجية مراني، مطبعة أشبيلية، بغداد ، الطبعة الثانية 1985م.
- الحب عند العرب، احمد تيمور، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأولى 1383هـ – 1964م.
- الحب في التراث العربي، د. محمد حسن عبد الله، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مطابع الانباء، الكويت 1401 هـ – 1980م.
- حب وبطولة ، سليمان العيسى، مطبعة الشرق، حلب سوريا، د.ت.
- الحماسة البصرية ، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري (ت 659 هـ) تحقيق مختار الدين احمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى، 1383هـ – 1964م.
- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت 808هـ)، تحقيق حسن الهادي حسين ، طبع بمطبعة محمد علي صبيح بالأزهر ، مصر 1929م.

- الحيـاة العاطفيـة بـين العذريـة والصـوفية دراسـات نقديـة ومقارنـة حـول ليلـى والمجنـون فـي الأدبـين العربـي والفارسـي ، تـأليف محمـد غنيمـي هـلال ، مكتبـة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية 1960م.
- الحياة والموت في الشعر الجاهلي، د. مصطفى عبد اللطيف جياروك ، دار الحرية للطباعة، بغداد 1397 هـ – 1977م.
- الحيوان ، للجاحظ (ت 255 هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر، الطبعة الأولى 1359هـ – 1940م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية ، عبد القادر ابـن عمـر البغـدادي (ت 1093 هـ) ، دار صـادر ، بيـروت، الطبعـة الأولـى، د.ت.
- دراسات فنية في الأدب العربي، د. عبد الكريم اليافي، مطبعة جامعة دمشق 1382هـ – 1963م.
- دراسـات فـي الأدب الجـاهلي، د. محمـد التـونجي ، مطبعـة الشـرق ، حلـب 1980م.
- دراسات في الأدب العربي، د. باقر عبد الغني، مكتبة العاني، بغداد، الطبعة الأولى 1976م.
- دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ، عمر فروخ، دار لبنان للطباعة والنشر بيروت 1403 هـ – 1987م.
- دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي، محمد عبد القادر احمد، مكتبة النهضة ، مصر ، الطبعة الأولى 1402 هـ – 1982م.
- دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي، محمد عبد القادر احمد ، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة ،الطبعة الأولى 1403 هـ – 1983م.
- دراسات في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي ، بغداد 1972م.
- دراسات في الشعر العربي، عبد الرحمن شكري، وهي مجموعة بحوث نشرت بالرسالة والثقافة والمقتطف والهلال، جمعها وحققها وقدم لها الدكتور محمد رجب

البيومي، الناشر للدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، الطبعة الاولى 1415 هـ – 1994م.

۞ دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود عبد الله الجادر، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل، 1990م.

۞ دراسة الحب في الأدب العربي، د. مصطفى عبد القادر، دار المعارف ، مصر ، 1972م.

۞ دراسة الشعراء ، بدأ به المرحوم الأستاذ محمد حسن نائل المرصفي ، وقام بإكماله من بعده الأستاذ إبراهيم الابياري والأستاذ عبد الحفيظ شلبي، مطبعة الاستقامة ، بمصر ، الطبعة الأولى 1363 هـ – 1944م.

۞ دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، عفت محمد الشرقاوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1979م.

۞ دلائل الإعجاز في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) صحح اصله الأستاذ محمد عبدة والأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، مطبعة المنار ، القاهرة، الطبعة الثانية 1331 هـ – 1912م.

۞ ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، ،المطبعة النموذجية، نشر مكتبة الاداب ، القاهرة 1950م.

۞ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة 1984م.

۞ ديوان بشار بن برد، لناشره ومقدمه وشارحه ومكمله الأستاذ محمد طاهر ابن عاشور ، ملحقات الديوان راجعه وصححه محمد شوقي امين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1386هـ – 1966م.

۞ ديوان الحماسة ، ابو تمام حبيب بن اوس الطائي، شرح التبريزي، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، د. ت.

۞ ديوان عنترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي ، القاهرة 1964م.

- ديوان المفضليات ، ابو العباس المفضل بن محمد الضبي (ت 178هـ)، شرح ابي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، مطبعة الآباء اليسوعيين 1920م.
- ديوان الهذليين ، ابو سعيد السكري (ت 270هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة، 1385هـ- 1965م.
- ذم الهوى، ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد ،مراجعة محمد الغزالي ، مطبعة السعادة ، القاهرة، الطبعة الأولى 1381هـ – 1962م.
- الرحلة في القصيدة الجاهلية ، وهب رومية ، مطبعة المتوسط، الطبعة الثالثة، 1982.
- رسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1377هـ- 1957م.
- رسائل الجاحظ (ت255 هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، 1964م. ورسائل الجاحظ ، جمعها ونشرها حسن السندوبي ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، الطبعة الأولى 1352هـ –1933م.
- روح العصر دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، د. عز الدين إسماعيل ، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الاولى 1972م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت 1397هـ – 1977م.
- الزهرة، ابو بكر محمد بن ابي سليمان بن داود الاصفهاني (ت 297 هـ)، اعتنى بنشره د. لويس نيكل البوهيمي، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت 1351هـ –1932م.
- سيرة عنترة بن شداد ، وهي السيرة الفائقة الحجازية ، مطبعة العامرة الشرفية ، مصر ، الطبعة الثانية 1322هـ.

- شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي احمد بن محمد بن الحسن (ت 421هـ)، نشره وحققه احمد امين، وعبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1953م.
- شرح ديوان عنترة، تحقيق امين سعيد، المطبعة العربية ، مصر ، د.ت.
- شرح شواهد التلخيص المسمى معاهدا التنصيص ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي (ت 963هـ) ، وبهامشه كتاب بدائع البدائة للأديب علي بن ظافر الازدي (ت623 هـ) المطبعة البهية المصرية، 1304هـ- 1898م.
- شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، للشيرشي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني القاهرة ، الطبعة الثانية 1381 هـ - 1962م.
- شعراء الأعراب، خليل مردم بك، شرحه وقدم له عدنان مردم بك، مؤسسة الرسالة - سورية - الطبعة الأولى 1398هـ- 1978م.
- شعراء النصرانية، الأب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين ، بيروت، د. ت.
- الشعر الجاهلي قضاياه الفنية الموضوعية ، د. إبراهيم عبد الرحمن محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1400هـ - 1980م.
- شعر الطبيعة في الأدب العربي، د. سيد نوفل، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية، د.ت.
- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ)، تحقيق احمد محمد شاكر، طبعة دار الثقافة ،بيروت 1964، وطبعة دار المعارف ، مصر 1966م.
- شهيرات النساء ، إعداد خليل البدوي، دار أسامة للنشر، عمان الأردن، الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393 هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 هـ - 1987م.

- صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الاثار، تأليف محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي، مطبعة الأمام، مصر، د.ت.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور،دار الثقافة، القاهرة 1974م.
- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، 1976م.
- الصورة الفنية معيارا نقديا، د. عبد الإله الصائغ، مطابع دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الأولى 1987م.
- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، د. علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1401هـ - 1981م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ)، قرأه وشرحه، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة د.ت.
- طوق الحمامة في الألفة والالاف، ابو محمد علي بن حزم (ت 456هـ)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، قدم له الأستاذ إبراهيم الابياري، مطبعة حجازي، القاهرة 1369هـ - 1950م.
- الظرف والظرفاء، ابو الطيب محمد بن يحيى الوشاء، طبع بمطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى 1304هـ - 1898م.
- العشاق الثلاثة، زكي مبارك، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، لبنان 1971م.
- عشرة شعراء مقلون، صنعه الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1411هـ - 1990م.
- علم البيان دراسة تحليلية بمسائل البيان، بسيوني عبد الفتاح فيود، دار الامين للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية، 1418هـ - 1998م.
- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (456هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة 1972م.

- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ)، تحقيق د. طه الحاجري و د. محمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة، القاهرة ، 1956م.
- العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد 1981م.
- الغزل تاريخه وأعلامه ، عمر بن أبي ربيعة جميل بن معمر ، تأليف جورج غريب ، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت ، د.ت.
- الغزل العذري دراسة في الحب المقموع، يوسف اليوسف، دار الحقائق ، دمشق، الطبعة الثانية، 1982م.
- الغزل عند العرب، جان كلود فادية ، ترجمة إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، 1979م.
- الغزل في العصر الجاهلي، احمد محمد الحوفي ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة، 1973م.
- الفروسية في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية، 1984م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ابو عبيد البكري الاوبني (ت487 هـ)، حققه وقدم له د. عبد المجيد عابدين و د. إحسان عباس ، الخرطوم ، السودان ، الطبعة الأولى ، 1958م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ)، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، 1974م.
- في الرواية العربية عصر التجميع، فاروق خورشيد ،دار غريب للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1975م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آباذي الشيرازي (ت 817هـ) دار العلم للجميع ، بيروت ، د.ت.
- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور ، دار النجاح للطباعة والنشر، بيروت ، 1973م.

- القصة في مقدمة القصيدة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي، د.علي جابر المنصوري ،مطبعة الجامعة، بغداد ، الطبعة الأولى ، د.ت.
- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، 1979م.
- كتاب الاختيارين ، الأخفش الأصغر (ت 315 هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق، 1394 هـ - 1974م.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395 هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1371هـ - 1952م.
- اللألي في شرح آمالي القالي، ابو عبيد البكري الاوبني (ت 487هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1354هـ –1936م.
- لب اللباب في تحرير الأنساب، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) مصر، د.ت.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت 711هـ)، ، دار صادق ، بيروت 1955 م.
- لغة الشعر بين جيلين ، د. إبراهيم السامرائي، دار الثقافة، بيروت ، د.ت.
- المؤتلف والمختلف، الامدي، ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ)، تحقيق عبد الستار احمد فراح ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة، 1381هـ – 1961م.
- المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، ابو الفتح عثمان ابن جني (ت 392هـ)، مطبعة المدني ، دمشق ، 1348 هـ.
- مجمع الأمثال ، ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت 518هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية 1303 هـ– 1955م.

- المحبر ، ابو جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245 هـ) رواية ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، وقد اعتنى بتصحيح هذا الكتاب د. ابلزة ليختن، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، د.ت.
- مختارات الشعر الجاهلي، أو دواوين الشعر الستة الجاهليين، الاعلم الشنتمري شرح وترتيب عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة الفجالة ، مصر ، الطبعة الرابعة 1387 هـ – 1968م.
- المختار من كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي (ت850 هـ)، اختيار محمد عبد اللطيف بن الخطيب ، مراجعة علي الجندي، مطابع دار الكتب العربية، القاهرة 1960م.
- مدامع العشاق ، زكي مبارك ، مطبعة الرحمانية ، 1965م.
- المرأة في الشعر الجاهلي ، د. علي الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد 1960م.
- المرثاة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان إسماعيل ، مطبعة الزهراء ، بغداد، الطبعة الأولى 1974م.
- المزهر ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، مصر ، د.ت.
- المستقصى من أمثال العرب، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية 1397هـ– 1977م.
- مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ (ت 699هـ)، تحقيق هـ. بيتر ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1379هـ – 1959م.
- مصارع العشاق، ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج القارئ (ت 500هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1378هـ – 1958م.
- معجم الشعراء ، للمرزباني ، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت 384هـ)، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية 1379هـ– 1960م.

- معجم ألقاب الشعراء، سامي مكي العاني ، مطبعة النعمان ، النجف الأشراف 1971م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت 487هـ)، تحقيق مصطفى السقا، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية وبيت المغرب القاهرة ، الطبعة الأولى 1364هـ- 1945م.
- معجم مقاييس اللغة ، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، د.ت.
- معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي، بدوي طبانة، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1378هـ- 1958م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ، دار العلم للملايين، بيروت ، مكتبة النهضة بغداد ، الطبعة الثانية 1979م.
- المفضليات ، المفضل الضبي (ت 178هـ)، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1964م.
- المفضليات وثيقة لغوية وأدبية ، د.علي احمد علام، دار أبها للثقافة والنشر، الرياض ، الطبعة الأولى 1405هـ- 1984م.
- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق بيروت، لبنان ،الطبعة الرابعة 1985م.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر الاموي، د. حسين عطوان ، مطبعة دار الجيل بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية 1407هـ – 1987م.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، د. حسين عطوان ، مطبعة دار الجيل بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية 1408هـ – 1987م.
- الموزانة بين شعر ابي تمام والبحتري ، ابو القاسم الحسن بن بشر الامدي (ت370 هـ)، تحقيق السيد احمد صقر، مطبعة دار المعارف ، مصر 1380هـ- 1960م.

- موسوعة الشعر العربي، اختارها وشرحها وقدم لها مطاع صفدي ، وايليا حاوي ، اشرف عليها د. خليل حاوي ، تحقيق احمد قدامة ، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت 1974.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة 1343هـ.
- نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي (ت 1775 م- 1180هـ)، المطبعة الوهبية ، مصر 1293 هـ- 1876م.
- نقد الشعر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت 337هـ)، تحقيق عبد المنعم محمد خفاجي، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.
- وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، حياة جاسم، مطبعة الجمهورية، بغداد، 1972.
- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري حمودي القيسي، دار الطباعة وللنشر ، جامعة الموصل، 1394هـ- 1974م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ)، تحقيق وشرح محمد ابو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب، القاهرة ، الطبعة الثالثة، 1952م.

ثانيا: الرسائل الجامعية

- البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي، سناء حميد البياتي، رسالة دكتوراه ، أجازتها كلية الآداب - جامعة بغداد - 1409هـ- 1989م.
- سيرة عنترة بن شداد دراسة تحليلية فلكلورية ، احمد محمد الشحاذ، رسالة دكتوراه ، أجازتها كلية الآداب - جامعة بغداد - 1399هـ- 1979م.
- صورة المرأة في الشعر العربي الأموي، ساجدة هاشم احمد الحيالي، رسالة ماجستير ، أجازتها كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - 1409هـ - 1988م.

۞ القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام، احمد إسماعيل محمد النعيمي ، رسالة ماجستير ، أجازتها كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - 1405هـ- 1985م.
۞ الليل في الشعر العربي قبل الاسلام، رغد عبد النبي شنين المراشدي، رسالة ماجستير ، أجازتها كلية التربية - جامعة بغداد - 1422هـ- 2001م.
۞ ملامح السرد القصصي في الشعر العربي قبل الإسلام، حاكم حبيب، رسالة ماجستير ، أجازتها كلية الآداب - جامعة بغداد - 1407هـ - 1986م.

ثالثا:- المجـــلات والدوريـــات

۞ تراث الحب في الأدب العربي قبل الإسلام، د. عادل جاسم البياتي، مجلة آداب المستنصرية ، العدد التاسع -بغداد 1983م.
۞ الحب والعشق والتوجه الاجتماعي، د. نوري حمودي القيسي، مجلة آفاق عربية، العدد التاسع - بغداد 1976م.
۞ رمز المرأة في أدب ايام العرب، د. عادل جاسم البياتي ، مجلة آفاق عربية ، العدد الثاني عشر، السنة الثانية 1977م.
۞ السرد والوصف، جيراد جينت، ترجمة د. مهند ينوس، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الثاني، السنة الثانية عشر 1992م.
۞ الشعراء العشاق والحب العذري، د. احمد اسماعيل النعيمي، جريدة العراق ، النافذة الثقافية، السبت 11 شعبان 1422هـ -27 تشرين الاول 2001م.
۞ الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، مجلة آفاق عربية ، العدد الحادي عشر، السنة الثانية 1977م.
۞ شعر عروة بن حزام، تحقيق د. ابر أهيم السامرائي و د. احمد مطلوب، نشر في مجلة كلية الآداب ،-جامعة بغداد، العدد التاسع ، حزيران 1961م.
۞ شعر المرقش الأصغر، صنعه د. نوري حمودي القيسي، مستلة من مجلة كلية الآداب العدد الثالث عشر.
۞شعر المرقش الاكبر، د. نوري حمودي القيسي ، مجلة العرب السعودية،-الجزء السادس، السنة الرابعة 1970م.

- الغلو في صور الحب الشعرية، د. احمد إسماعيل النعيمي، جريدة العراق، النافذة الثقافية، الأربعاء 1418هـ- 4 آذار 1998م.
- المفارقة موضوعا شعريا قبل الاسلام، د. احمد إسماعيل النعيمي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد - العدد التاسع ، السنة الثانية 1998م.
- مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي الحديث ، مرشد الزبيدي ، مجلة الأقلام، العدد الثامن، السنة الرابعة والعشرون 1989م.
- مقدمة القصيدة الجاهلية ، يوسف خليف، مجلة المجلة المصرية، العدد الثالث والتسعون ، السنة التاسعة 1965م.
- ملامح من الشعر القصصي في الأدب العربي، د. نوري حمودي القيسي، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد الرابع والعشرون 1399هـ-1979م.

ABSTRACT

This thesis considers the study of a group of poets who have been known lovers. They were described as the Arab loves as being.

Champions of love stories for this reason we preferred to quality them accordingly.

The thesis consists of three parts each with a number offer searches dealing with historical, technical and psychological aspects trying the love concept and its meaning because it is the little of our thesis from the linguistic and terminology logical paint of view ending in its motives and initiative which the preface included.

The second part concerned with their suffering through the study of poetry speech.

This part is composed of five researches. In the third part we tried to analogs their suffering and so the little of this part was (The technical form in the lover pots speech) and it contains four researches.

As regards the resultant that we have reached from this thesis it was possible to know the concept of love linguistically and terminology logically, its degrees, synonyms, and names.

The motives and initiatives that lead to love is different, same say it is, internal, others say it is external.

We notice that lover stories have common criteria differ in details bat general they are the same through the ends of these stories, difficult and pain.

The thesis insisted on the extent of suffering that the poet encounters cowards his lover and softness of their conciseness.

They tried to utilize nature surrounding them and its bright colour to show his happiness or sad many of the expressed their ideas and experiments in stories and dialogues, because this opens the way show their tales.

At the end I would like to say that this thesis considered noble love showing us the super emotion and clean psyche of the poet lover.

Poets lovers of Period Before Islam
Study Technical Subjective

A Thesis Submitted by:

Hiyam Sultan Mahdi Khalaji

To the Council of College of Education for Girls As a partial Fulfillment of M.A. Degree Requirements in Arabic Language & Literature.

Supervised by:

Prof. Ahmed Esmeel Mohammed Al-Naami

1423 2003